الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

معهد
الحضارة الإسلامية

الخراسانيون ودورهم السياسي والعلمي في العصر العباسي الأول

132 هـ ـ 232 هـ

749 م ـ 846 م

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد الطالب :
نجيب بن خيرة

إشراف الأستاذ الدكتور :
عبد اللطيف صوفي

السنة الجامعية
1415 هـ ـ 1416 هـ
1994 م ـ 1995 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

« البقرة ١٤٠ »

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــداء

إلى ولي نعمتي والدي - رحمه الله -

إلى والدتي .. التي حضنتني رعايتها صغيرا، وطوقتني أياديها كبيرا . أتقدم مع أخي وأخواتي عرفانا ببعض حقها . وإكبارا لجهادها وصبرها سائلين المولى عزوجل أن يكلأها بحفظه ويبلغنا رضاها . وذاك سبيل رضاه . إنه سميع مجيب .

. نجيب .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لا يشكر الناس ، لا يشكر الله »(*) .

أتقدم بهذا الجهد المتواضع ذاكرا بالتقدير والعرفان كل من أسهم في إنجاز ه ، وإخراجه إلى النور ، وأول من ينبغي علي شكره في هذا المقام ، المشرف على هذه الرسالة ، **الأستاذ الدكتور : عبد اللطيف صوفي** ، رجل العلم والأدب ، وعنوان الدقة والأمانة والإخلاص .. الذي لم يدخر جهدا في تقديم العون لي في أحرج الظروف ، فجزاه الله عني كل خير ،وأبقاه ذخرا لطلاب العلم والمعرفة ، ولا يسعني إلا أن أردد قول الشاعر :

وإني وإن بالغت في الشكر والثنا ... فإني مُقِرٌ بالقصور وبالعجز
ولكن ربي ـ بالذي قد صَنَعْتَهُ ـ ... يجازيك عني فهو أعظم من يجزي

وممن يطيب لي شكره في هذا المقام أيضا رئيس قسم التاريخ بجامعة بغداد **الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي** ، وفاء لكرمه ، وتوجيهه ، وجميل إحسانه ، وما أهداه لي من مصادر ومراجع ومظان كانت العمدة والأساس لهذا البحث .

وممن أرغب في الإشادة بفضله أيضا المشرف السابق على هذه الرسالة **الأستاذ الدكتور محمد أمين صالح** كفاءَ ما بذله من نصح وإرشاد وتصويب .

كما أتقدم بخالص شكري لإدارة مكتبة مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ـ في جامعة أم القرى ـ بمكة المكرمة ـ رئيسا وأعضاء ، وإلى إدارة مكتبة الأسد بدمشق ، الذين قدموا لي كل التسهيلات أثناء وجودي بينهم قصد الإطلاع والمراجعة .

ولن أختم شكري دون التنويه بفضل أساتذتي الأجلاء في معهد الحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، الذين سهروا على تكويني وتوجيهي ، وأخص بالذكر فضيلة **الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي**، وإلى إدارة المعهد الرشيدة التي كانت لي في كل وقت عونا وسندا .

فجزاهم الله جميعا عني كل خير .

(*) رواه أبو داود في السنن ، 353/4 ، وأحمد في مسنده 95/2 .

ـ فهرس الموضوعات ـ

ـ الإهداء .

ـ شكر وتقدير .

ـ المقدمة .

التمهيد .

1ـ لمحة جغرافية عن خراسان 1

2ـ علاقة العرب بخراسان قبل الفتح الإسلامي 3

3ـ الفتح الإسلامي لخراسان 6

4ـ الحركة العلمية في خراسان قبل العصر العباسي 8

4 ـ 1 ـ أهمية خراسان في تاريخ الحضارة 8

4ـ 2 ـ ملامح الحركة العلمية في خراسان 11

الباب الأول :

الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول 15

الفصل الأول : 1ـ خراسان من الهجرة العربية إلى قيام الدولة العباسية 16

1.1ـ الهجرة العربية والإستيطان في خراسان 16

1.1.1ـ الهجرة العربية بعد الفتح الإسلامي 16

2.1.1ـ الإستيطان بعد الفتح ومظاهره 20

2.1ـ الصراع القبلي وأثر الإدارة الأموية 23

3.1ـ الوضع الإقتصادي والإجتماعي في خراسان 35

4.1ـ الدور الخراساني في إسقاط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس 42

1.4.1ـ علاقة عرب خراسان بالدولة الأموية. 42

2.4.1ـ تنظيم الدعوة العباسية وانطلاقها. 44

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ الفصل الثاني : 2 ـ دور الخراسانيين في المعارضة السياسية 59
2.1ـ الحركات الثورية في خراسان..... 60
2.2ـ حركات المعارضة بعد نهاية أبي مسلم الخراساني 69
2.2.1ـ حركة سنباذ. 71
2.2.2ـ حركة أستاذ سيس. 73
2.2.3ـ حركة المقنع الخراساني. 75
2.2.4ـ حركة عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي. 81
2.2.5ـ حركات الخوارج 83

الفصل الثالث : 3ـ الخراسانيون ودورهم في الإدارة العباسية 88
3.1ـ الوزارة. 88
3.1.1ـ أصل الوزارة وأهميتها..... 88
3.1.2ـ الوزارة العباسية قبل الفضل بن سهل..... 89
3.1.3ـ وزارة الفضل بن سهل. 91
3.2 الجيش. 96
3.2.1ـ تنظيم الجيش العباسي 96
3.2.2ـ الدور الخراساني في تنظيم الجيش العباسي 98
3.3ـ الإمارة 100
3.3.1ـ الطاهريون والإمارة 100
3.3.2ـ الطاهريون في خراسان 103

الباب الثاني : الخراسانيون ودورهم العلمي في العصر العباسي الأول. 107

الفصل الأول : 1ـ التعليم في خراسان..... 108
1.1ـ طلب العلم وفضله 108
1.2ـ الرحلة في طلب العلم..... 109
1.3ـ إهتمام الخلفاء ووزرائهم بالحركة العلمية 112
1.4ـ المؤسسات التعليمية في خراسان..... 116

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1ـ1.4ـ التعليم في الجوامع والمساجد..... 116
1ـ2.4ـ نشأة المدارس المستقلة 118
1ـ3.4ـ خزائن الكتب..... 121
1ـ4.4ـ حركة الوراقين..... 124

الفصل الثاني : 2ـ إسهامات الخراسانيين في العلوم النقلية 128
1.2ـ القراءات..... 128
2.2ـ الحديث..... 131
3.2ـ التفسير..... 136
4.2ـ الفقه..... 141

الفصل الثالث : 3ـ إسهامات الخراسانيين في العلوم العقلية..... 144
1.3ـ علم الفلك..... 144
2.3ـ الطب 151
3.3ـ التصوف..... 154
1.3.3ـ البيئة الخراسانية والزهد 156
2.3.3ـ أعلام التصوف في خراسان 157

- الخاتمة..... 166
- قائمة المصادر..... 169
- قائمة المراجع..... 178
- مقالات الدوريات..... 186
- الرسائل الجامعية..... 187
- فهرس الأماكن والبلدان 188
فهرس الأعلام 194

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة :

إن الحضارة جهد بشري غير منتهٍ ، لكل أمة فيها حظ مهما قَلّ ، ولكل أمة فيها نصيب مهما ضؤل ، وليس لجنس من البشر أن يدعي الأولية في كل منجزات الحضارة ، وعلومها ، ومعارفها ... ويزعم أن جهوده هي النهر في مجراه الكبير ، وكل جهود غيره فرع منه أو رافد إليه ...! إن هذا المنطق مرفوض من الوجهة العلمية والتاريخية على حد سواء .

من هذا المنطلق أساسا يكون بحث إقليم معين ، ومدى مشاركة أهله في قيام دولة إسلامية ، سياسيا ، وحضاريا ، هو من الأهمية بمكان ، ولعله من نافلة القول أن الحضارة الإسلامية في العصر العباسي شاركت في بنائها عناصر من أجناس مختلفة ، إنصهرت وتلاقحت ، فكانت لحمة للحضارة وسداها ، طيلة خمسة قرون من الزمان .

ـ وإقليم « خراسان » ـ والذي هو موضوع هذا البحث ـ لا ينكر دارس للتاريخ أهميته في قيام الدولة العباسية ، ولا مدى مشاركة أهله في الحياة السياسية والعلمية .. ففيه برز عدد من كبار القادة السياسيين كأبي مسلم الخراساني ، والفضل بن سهل ، وطاهر بن الحسين ... ومنه خرج جلة العلماء من المفسرين ، وأصحاب الحديث، والمؤرخين ، والأطباء ، والمتكلمين ، والمتصوفة ، وفي شتى العلوم المختلفة ..

ويكفي أن نعرف أن منهم . الطبري ، والإمام مسلم ، والإمام أحمد بن حنبل ، والترمذي ،والبيهقي ، والحاكم النيسابوري ... لندرك أهمية هذه المنطقة ، وعُلُوَّ كعب أبنائها في السياسة والعلوم ، وأهمية تاريخها بالنسبة لنا ، ولحضارتنا .

ولكنه لما كان الضياع مقصودا ، والإهمال متعمدا ، فقد طُمست معالم كثيرة من تاريخنا الإسلامي في تلك المناطق ، وحُجبت عنا أحوال تلك البلاد ، وانقطعت عنا أخبارهم ، إذ لا مُتنقل منها ، ولا متحدث باسمها ، ولا زائر إليها .. وأصبح الجزء الأكبر من خراسان ـ والذي يعرف الآن باسم بلاد التركمان ، وكان يشكل جمهورية من جمهوريات الإتحاد السوفياتي ويسمى « تركمانستان » ـ جزءا يكاد يكون مجهولا عند أبناء المسلمين الذين أنمحت من فكرهم مراكز الحضارة الإسلامية في بلاد المشرق ، كمرو ، ونيسابور، وزمخشر ، وبلخ ، والطالقان ... فجدير اليوم بالباحثين في تاريخ الحضارة الإسلامية أن يحيوا ما اندثر من ذلك التاريخ ، فيكشفوا حقائقه ،ويعرفوا به ، إجلاء لماضيهم المشرق ودعما لحاضرهم الناهض ، ومستقبلهم المنشود .

والواقع أن الكتابة حول تاريخ بلاد المشرق الإسلامي بعامة وتاريخ أواسط آسيا المسلمة على الخصوص لا تزال أقسام التاريخ في الجامعة الجزائرية يعوزها التخصص فيه . وأظن أن البحث في هذا الميدان ليس في المشارقة محصورا ، ولا عليهم بمقصورٍ .. لأن التاريخ إذا اندرست معالمه ، وطُمست رسومه ، فذلك تقصير من أهل المشرق والمغرب جميعا ، لأنهم فرطوا في جزء خطير من دولتهم ، وتراثهم ، وحضارتهم .

ومن هنا كان اهتمامي بدراسة هذا الموضوع ، الذي وجدته يشدني إليه منذ مراحل دراستي الجامعية الأولى ، وينمو كلما لاحت لي صفحات مشرقات منه ، حتى ترسخت لدي القناعة الكافية لخوض غماره ، وتحمل الصعاب من أجل إعداده وإنجازه .

وقد انتظم هذا البحث في بابين ، احتوى كل باب منهما على ثلاثة فصول مسبوقة بتمهيد عن جغرافية بلاد خراسان ، وقد إلتزمت فيها بماذهب إليه "ياقوت الحموي" من أن إقليم خراسان لا يعني إلا ما دون نهر جيحون أما ما وراءه فذلك يعرف ببلاد "ما وراء النهر" . وعن علاقة العرب بأهلها ، قبل الفتح الإسلامي ، ومكانة خراسان في تاريخ الحضارة ، ثم فتحها بعد ذلك في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبعدها خاتمة تضمنت ملخصا عن أهم الأفكار الواردة فيه .

أما الباب الأول :

فقد جعلته بعنوان الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول ، ومنه ثلاثة فصول .

في الفصل الأول : تحدثت عن الهجرة العربية إلى خراسان بعد الفتح و الإستيطان فيها ، وأهم مظاهر ذلك الإستيطان ، والصراع القبلي بين الكتلتين العربيتين العدنانية والقحطانية ، وأثر الإدارة الأموية في ذلك ، مع عرض صورة عن أزمة الوضع الإقتصادي والإجتماعي التي ظهرت في خراسان ، مما أدى إلى سقوط دولة بني أمية ، وقيام دولة بني العباس ، بينما تضمن الفصل الثاني ، الحديث عن الخراسانيين ودورهم في المعارضة السياسية ، والحركات الثورية التي قامت بعد مقتل أبي مسلم الخراساني ، كحركة سنباذ ، وأستاذ سيس ، والمقنع الخراساني ، إلى حركات الخوارج ، كما استعرض الفصل الثالث دور الخراسانيين في الإدارة العباسية ، وقد أوردت لذلك أمثلة لهذا الدور في الوزارة " الفضل بن سهل " وفي الجيش " أهل خراسان " وفي الإمارة " الطاهريون " .

أما الباب الثاني : فقد اختص بعرض الحياة العلمية خلال العصر العباسي الأول ودور الخراسانيين فيها ، وفيه ثلاثة فصول :

أفردت **الفصل الأول** منه للحديث عن التعليم في خراسان ، والرحلة في طلب العلم ،

وإنشاء المؤسسات التعليمية ، واهتمام الخلفاء والوزراء بالعلوم وأثر ذلك . أما **الفصل الثاني** فقد رصد إسهامات الخراسانيين في العلوم النقلية من قراءات، وحديث ، وتفسير ، وفقه ، وقد قدمت لكل علم من هذه العلوم بمقدمة أبرزت فيها كيف تطور هذا العلم إلى غاية العصر العباسي الأول وكيف اهتم أهل خراسان به . بينما تابع **الفصل الثالث** إسهامات الخراسانيين في العلوم العقلية مثل : علم الفلك ، والطب ، والتصوف .

وبما أن إقليم " خراسان " هو واحد من أقاليم الدولة العباسية خلال عصرها الأول فقد تحدثت عن الحياة العلمية في إطار هذا العصر ، وأي مظهر من مظاهر ازدهار العلم في الدولة فإنه يشمل خراسان بالضرورة .

وإذا كانت هذه الدراسة قد تجاوزت الحد الزمني لفترة البحث ـ وهو العصر العباسي الأول ـ فذلك لأن وحدة الموضوع اقتضت تتبع العلماء في كل فن إلى أواخر القرن الثالث الهجري ـ أي سنة 300 هـ ـ فوفاة عالم من العلماء بعد سنة 232 هـ ، لا يمنع أن يكون قد عاش فترة من عمره قبل سنة 232 هـ إذا اعتبرنا أنه عاش قرنا من الزمان كحد أقصى لعمر الإنسان

ومثال ذلك : جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي (ت ـ 300 هـ) ، فقد أدرجته ضمن علماء خراسان ، على اعتبار أنه عاش القرن الثالث للهجرة كله .

والحقيقة أنني لاقيت صعوبات جمة في البحث عن المعلومات التي تتحدث عن الحياة العلمية في خراسان وذلك لندرتها ، وصعوبة استخراج تراجم العلماء في كل فن من المصادر القديمة ، وقد كلفني ذلك الكثير من الجهد ، والوقت ، والسفر لجلب المراجع التي تُيسر لي استقاء المعلومات ، وعرض التواريخ ، وترتيب الحوادث .

وقد لازم البحث عددا لا بأس به من المصادر العربية ، اختلفت نسبة الإفادة منها تبعا لقرب المؤلف من النطاق التاريخي لفترة البحث ، مع التعويل بالدرجة الأولى على مصادر التاريخ العربي الإسلامي ، وكتب السير والتراجم ، التي كانت عماد هذه الرسالة ، مع الإستعانة بالمراجع الحديثة ، التي أفدت منها في تفسير الأحداث ، ودراستها ، وحسن تناولها .

ولما تعددت المصادر التي استقى البحث منها مادته العلمية ، فإن ذلك بلا شك مسوغ أكيد لضرورة عرض وتقديم كيفية الإستفادة منها .وأول هذه المصادر :

"تاريخ الرسل والملوك" ـ المعروف بتاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (234 هـ ـ 310 هـ) . وهو من المصادر الأساسية التي لا غنى عنها

لكل كاتب في التاريخ الإسلامي ، وقد أفدت منه في الباب الأول من الرسالة خاصة فيما يتعلق بالإستيطان العربي في خراسان ، والنزاع القبلي فيها ، وأثر الإدارة الأموية في ذلك . كما ظل تاريخ الطبري بالنسبة للبحث مصدرا رئيسا عن الثورة العباسية ، وقيام خلافة بني العباس بعد ذلك .

وقد أفاد البحث أيضا من كتاب "**أخبار الدولة العباسية ـ وفيه أخبار العباس وولده**" ـ لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري . وبالتحديد فيما يتعلق بالدعوة العباسية وتنظيمها في خراسان ، والأساليب التي اتبعتها لاستقطاب رؤساء القبائل العربية هناك ، وكذلك السكان العرب المستقرين في مرو . واستقى البحث مادته أيضا من "**الكامل في التاريخ**" لعزالدين بن أبي الحسن علي بن محمد الشيباني بن الأثير الجزري (555 هـ ـ 630 هـ) الذي ابتداه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة . أي قبل وفاته بسنتين ، متبعا في ذلك نظام الحوليات ، قائما منهجه على الإختيار والتأليف ، لا على النقل والسرد . وقد أفدت منه في إطار بعض النصوص التاريخية التي اعتمد عليها البحث . وبخاصة فيما يدور حول قيام الدولة العباسية والحركات الثورية المناوئة لها بعد ذلك .

ومن المصادر الجغرافية التي كانت أساس البحث كتاب "**معجم البلدان**" لياقوت أبو عبد الله بن عبد الله الحموي (ت ـ 626 هـ) لأنه يقدم معلومات مفصلة عن بلاد خراسان من مدن ، وقرى ، وكور ، ودساكر ... مما يجعل المعلومات التاريخية تسير على ضوء المعطيات الجغرافية الصحيحة .

وقد جرى في البحث أيضا الإستفادة من مصادر السياسة الشرعية ككتاب "**الأحكام السلطانية**" للماوردي (ت ـ 450 هـ) وكتاب " الوزراء والكتاب " للجهشياري (ت ـ 331 هـ) وكتاب " **الفخري في الآداب السلطانية** " لابن الطقطقي (ت ـ 709 هـ) وخاصة في الفصل الثالث من الباب الأول حول الوزارة وتنظيم الجيش والإمارة في عهد الطاهريين .

أما الباب الثاني : من البحث فقد اعتمدت فيه على جملة من كتب التراجم والطبقات والسير ككتاب " **وفيات الأعيان** " لابن خلكان (ت ـ 681 هـ) وكتاب " **تاريخ بغداد** " للخطيب البغدادي (ت ـ 463 هـ) الذي أورد فيه كل تراجم أهل بغداد من الملوك والأمراء والوزراء والأشراف ، ومن حملة العلم كالقراء ، والمفسرين ، والمتكلمين من

سائر النحل ، والمتصوفة ، والأطباء ، والخطاطين ، والإخباريين والنسابين ... وكل من نبغ فيها أو ورد عليها من غير أهلها . وكتاب " **تهذيب التهذيب** " **لابن حجر العسقلاني** (**ت ـ 852 هـ**) وكتاب " **الطبقات الكبرى** " **لابن سعد** (**ت ـ 230 هـ**) ، وكتاب " **شذرات الذهب** " **لابن العماد الحنبلي** (**ت ـ 1089 هـ**) .

أما عن المراجع الحديثة التي أفدت منها أيضا فقد أوردت لها في آخر الرسالة ثبتا يظهر شموليتها وتنوعها مما أمد البحث بمعلومات لازمة في الموضوع .

ولست أدعي لهذه الدراسة أنها استيعاب واستقصاء .. فإنها لا تتجاوز شق الطريق ، ونصب المعالم ، والتمهيد للرُواد .. فما زال كثير من الموضوعات جديرا بأن يفرد ببحث مفصل مستقل ، فأرجو أن أكون قد وفقت ـ بجهد متواضع ـ للكشف عن دور الخراسانيين في السياسة والعلوم إبان العصر العباسي الأول ، وأملي أن يكون هذا البحث مُجديا في بابه إن لم يكن جديدا .. فحسبي جمع ما تفرق ، وربط ماانفرط ، ويفضل الناصحين المخلصين أسأل المولى عزوجل أن يوفقني إلى إكمال النقص ، وإصلاح الخطأ ، وتلافي التقصير ، والحمد لله أولا وآخرا ، وهو الموفق والهادي إلى كل رشاد .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التمهيد

1 ـ لمحة جغرافية عن خراسان :

خراسان : هي إسم من كلمتين فارسيتين هما : « خر » و « سان » ومعناهما : بلاد الشمس المشرقة (1)

وهي منطقة طبيعية واسعة تحيط بها الجبال من الجنوب فتكون لها حدودا ، فتتاخمها مناطق قومس (2) وقوهستان (3) ، وسجستان (4) ، وغزنة (5) ويساير أرضها من الشرق نهر جيحون ، وتتصل من الشمال بصحراء خوارزم.ويحدها من الغرب بحر الخزر.(6) و من الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ، ويعد بلاد ماوراء النهر منها ، وليس الأمر كذلك ، لأن بلاد ماوراء النهر ، تعتبر إقليما مستقلا عن خراسان ويعضد هذا الرأي قول ياقوت الحموي : « فأما ما وراء النهرفهي بلاد الهياطلة (7) ، ولاية برأسها » (8) كما أنه من الناحية الجغرافية منفصل عن خراسان بنهر جيحون وهو ـ أي إقليم ما وراء النهر ـ أكثر ارتباطا بتركستان لاستيطان قبائل الترك شماله وشرقيه .

وخراسان في جملتها عبارة عن أراض منخفضة يقل ارتفاعها عن 1000 م ، تشمل السفوح الجبلية المشرفة على الأراضي التي تعرف ببلاد التركمان ، وهو موقع جعل المنطقة قليلة الأمطار ، لبعدها عن البحار ، وإحاطتها بالمرتفعات التي تقف في وجه الرياح القادمة من الغرب المحملة بالسحاب ، ويعد بحر الخزر ضعيف الاثار أو عديمها لضيقه وانخفاظه ،

(1) دائرة المعارف الإسلامية تعريب أحمد الشنتاوي وأخرون مادة « خراسان »

(2) قومس كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، وهي في وسط جبال طبرستان ، ومن مدنها المشهورة بسطام ، بيار أنظر ياقوت معجم البلدان ط 1 ، مصر مطبعة السعادة 1906 ج 7 ، ص 185

(3) قوهستان وهو تعريب كوهستان ومعناه موضع الجبال ، وهو تعني البلد المتصل بالجبال التي بين هراة وسجستان فتحها عبد الله بن عامر بن كريز في أيام عثمان بن عفان سنة 29 هـ أنظر ياقوت معجم البلدان ج 7 ، ص 187

(4) سجستان وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة ، تقع جنوب هراة وتتصل بها سجستان أنظر ياقوت معجم البلدان ج 5 ، ص 37

(5) غزنة وهي مدينة عظيمة ، وولاية واسعة في طرف خراسان وهي حد بين خراسان والهند أنظر ياقوت معجم البلدان ج 6 ص 289

(6) بحر الخزر وهو بحر واسع عظيم الماء كثير السمك كبير ويسمى البحر الخزري ، وبحر سمي بمدينة الخزر وهو بحر طبرستان وجرجان ، أنظر ياقوت معجم البلدان ج 1 ص [illegible]

(7) الهياطلة إسم لقبائل كانت تسكن بلاد ما وراء النهر ، وتعود إلى أصول تركي

(8) أنظر ياقوت معجم البلدان ج [illegible] ص 370

وانغلاقه ، ووقوعه أيضا وراء الجبال التي تقف كأنها في الجهة الغربية منه مما جعل المنطقة ذات مناخ صحراوي أو شبه صحرواي ، إذ أنها تتلقى أمطارا تقل عن 200 مم ، والبقاع التي تقل أمطارها عن هذه الكمية تعد صحراوية .

إلا أن الجداول المنسابة من الجبال الشاهقة التي تتلقى لارتفاعها الأمطار أو تغطيها الثلوج ، والتي تقع خـــارج نطاق خراسان ، ولكنها تجري إليها «تجعل من تلك الصحراء واحات خضراء على طول مجاريها ، وبلادا عامرة تشجع البدو الرحل على الإستقرار . (1)

وتشتمل خراسان على عدد من أمهات المدن مثل " نيسابور ـ هراة ـ مرو ـ بلخ " (2) وتعرض فيما يلي إلى لمحة موجزة عن كل بلد من هذه البلاد لما لها من أهمية في إقليم خراسان سياسيا وحضاريا. **نيسابور :** وهي في الفارسية الحديثة ـ نيشابور ـ مشتقة من « نيوشاه بور » ومعناه في الفارسية القديمة ،موضع الطيب ـ وفي صدر الإسلام كان يطلق على نيسابور : أبرشهر ، ومعناه : مدينة الغيم » وبهذه التسمية ظهرت في الدراهم القديمة التي ضربها الخلفاء الأمويون والعباسيون (3) ، وفيها يقول أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :

أيا سهري بليلة أبرشهر ذممت إلي نوما في سواها (4)

مـرو : هي مرو الشاهجان ، ومعناها : " نفس السلطان " بالفارسية ، وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها. والنسبة إليها مروزي (5) ، تمييزا لها عن « مرو الروذ » وهي مدينة بينها وبين مرو الشاهجان أربعون فرسخا ، وهاتان المدينتان هما : المروان ، وقد جاء ذكرهما في الشعر كثيرا أضيفت إحداهما إلى الشاهجان وهي العظمى ، والثانية إلى نهر بنيت عليه ليحصل الفرق بينهما ، والنسبة إليها مرورذي (6) ، وقد وصفها القزويني بقوله : « طيبة كثيرة الخيرات ، وافرة الغلات ، في أهلها من الرفق ، ولين الجانب ، وحسن المعاشرة» (7) .

---

(1) أنظر : محمود شاكر . **خراسان** . ط .4 ، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1986 ، ص . ص .6 ، 10 .

(2) أنظر : الإصطخري . **مسالك الممالك** . ليدن : (د . ن) ، 1927 ، ص . 253 ، وانظر أيضا : ابن حوقل . **صورة الأرض** . بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، (د . ت) ، ص .358 .

(3) كي لسترنج . **بلدان الخلافة الشرقية** . بغداد : مطبعة الرابطة ، 1954 ، ص . 424 .

(4) إبن حوقل . **صورة الأرض** . ص .361 .

(5) محمود شاكر . **خراسان** . مرجع سابق . ص . 48

(6) ابن خلكان . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . ط. 1 . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . 1367 هـ . ج. 1. ص. 52 .

(7) القزويني . **آثار البلاد وأخبار العباد** . بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، 1399 هـ / 1979 م . ص.

وانغلاقه ، ووقوعه أيضا وراء الجبال التي تقف كأنها في الجهة الغربية منه مما جعل المنطقة ذات مناخ صحراوي أو شبه صحراوي ، إذ أنها تتلقى أمطارا تقل عن 200 مم ، والبقاع التي تقل أمطارها عن هذه الكمية تعد صحراوية .

إلا أن الجداول المنسابة من الجبال الشاهقة التي تتلقى لارتفاعها الأمطار أو تغطيها الثلوج ، والتي تقع خـــارج نطاق خراسان ، ولكنها تجري إليها ، تجعل من تلك الصحراء واحات خضراء على طول مجاريها ، وبلادا عامرة تشجع البدو الرحل على الإستقرار . (1)

وتشتمل خراسان على عدد من أمهات المدن مثل " نيسابور ـ هراة ـ مرو ـ بلخ " (2) ونعرض فيما يلي إلى لمحة موجزة عن كل بلد من هذه البلاد لما لها من أهمية في إقليم خراسان سياسيا وحضاريا. **نيسابور :** وهي في الفارسية الحديثة ـ نيشابور ـ مشتقة من «نيوشاه بور» ومعناه في الفارسية القديمة ،موضع الطيب ـ وفي صدر الإسلام كان يطلق على نيسابور : أبرشهر ، ومعناه : مدينة الغيم » وبهذه التسمية ظهرت في الدراهم القديمة التي ضربها الخلفاء الأمويون والعباسيون (3) ، وفيها يقول أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :

أيا سهري بليلة أبرشهر ذممت إلي نوما في سواها (4)

مرو : هي مرو الشاهجان ، ومعناها : " نفس السلطان " بالفارسية ، وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها. والنسبة إليها مروزي (5) ، تمييزا لها عن « مرو الروذ » وهي مدينة بينها وبين مرو الشاهجان أربعون فرسخا ، وهاتان المدينتان هما : المروان ، وقد جاء ذكرهما في الشعر كثيرا أضيفت إحداهما إلى الشاهجان وهي العظمى ، والثانية إلى نهر بنيت عليه ليحصل الفرق بينهما ، والنسبة إليها مرورذي (6) ، وقد وصفها القزويني بقوله : « طيبة كثيرة الخيرات ، وافرة الغلات ، في أهلها من الرفق ، ولين الجانب ، وحسن المعاشرة» (7) .

---

(1) أنظر : محمود شاكر . **خراسان** . ط .4 ، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1986 ، ص . ص .6 . 10 .

(2) أنظر : الإصطخري . **مسالك الممالك** . ليدن : (د . ن) ، 1927 ، ص . 253 ، وانظر أيضا : ابن حوقل . **صورة الأرض** . بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، (د . ت) ، ص .358 .

(3) كي ليسترنج . **بلدان الخلافة الشرقية** . بغداد : مطبعة الرابطة ، 1954 ، ص . 424 .

(4) إبن حوقل . **صورة الأرض** . ص .361 .

(5) محمود شاكر . **خراسان** . مرجع سابق ، ص . 48

(6) ابن خلكان . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . ط. 1 . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . 1367 هـ ، ج. 1. ص. 52 .

(7) القزويني . **آثار البلاد وأخبار العباد** . بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، 1399 هـ / 1979 م ، ص. 456

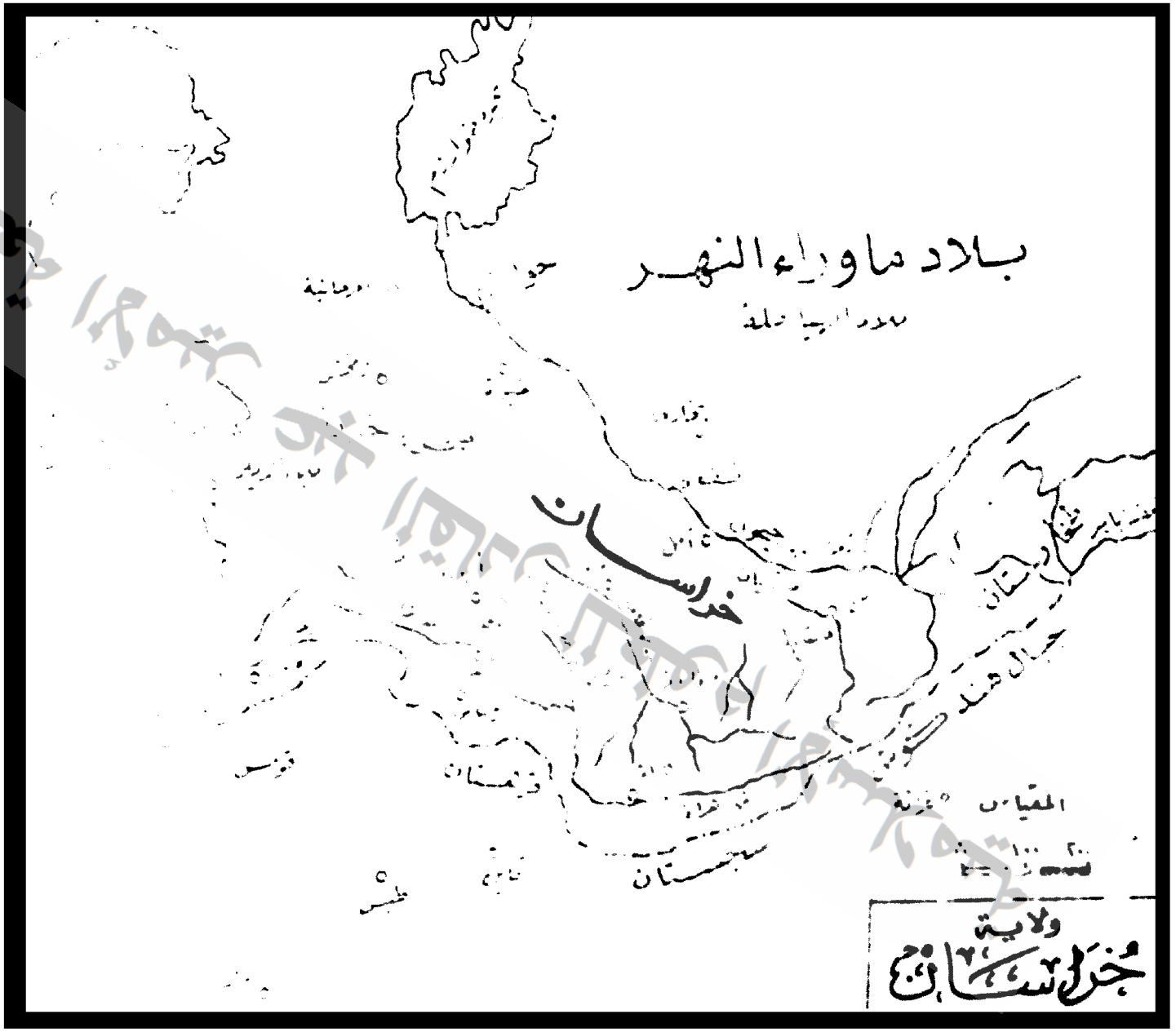

عن كتاب : خراسان - لمحمود شاكر : ص 85

بلخ : مدينة تاريخية قديمة ، كانت تحمل إسم (باكتريا) ، وتقع على نهر يعرف باسمها ، وهي إلى الغرب من مدينة (مزار شريف) ، على مسافة 100 كلم منها تقريبا ، ويذكرها ياقوت الحموي فيقول: « وبلخ من أجمل مدن خراسان ، وأذكرها ، وأكثرها خيرا ، وأوسعها غلة ، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم » (1) ويقال لنهر جيحون نهر بلخ . (2)

هراة : وهي أكبر بلاد خراسان ـ تقع في البلاد المعروفة اليوم بأفغانستان والنسبة إليها هروي ، وتقع على مجرى نهر (هاري) ، ولعل اسمها مشتق منه ، وتنتشر حولها السهول ، وتؤول إليها مياه السفوح الغربية ومنحدرات الجبال . (3) .

2 ـ علاقة العرب بخراسان قبل الفتح الإسلامي :

إذا كان العالم المعاصر يتصل بعضه ببعض اتصالا يختلف في القوة والضعف ، ويتباين في السلام والحرب ، وفي المودة والعداء ، ويتفاوت في التأثر والتأثير ، فقد كان العالم القديم شبيها إلى حد كبير في هذا بالعالم الحديث ، على ما بين العالمين من فروق في وسائل الإتصال ، وطبيعتها ، وسرعتها ، وقوتها ، وما ينجم عنها من تبادل ، وأخذ ، وعطاء .

من هذا المنطلق كانت أمة العرب والفرس تربطها علائق وروابط وصلات امتدت جذورها إلى ما قبل الإسلام ، ثم علت سوقها وتفرعت أغصانها بعد الإسلام ، فالتاريخ يحدثنا أن صلات قديمة جداربطت بين العرب والفرس قبل أن تؤسس إمارة الحيرة بقرون ، فقد أدى العرب الجزية للملك « قورش » بخورا ولبانا في عام 550ق.م اذ استولى الفرس على أكثر الهلال الخصيب واتصلوا بالعرب ، واحتكوا بهم احتكاكا مباشرا ، ثم استعان « قمبيز » بالعرب في غزو مصر عام (525 ق. م) فمدوه بالإبل ، وزودوا قواته بالماء ، وساعدوه مساعدة كبيرة ، لولاها لما استطاع أن يصل إلى مصر ، و بعد ذلك بثلث قرن ساعد العرب الفرس في حملتهم على اليونان عام (492 ق. م) (4) . ومن صلات العرب بالفرس ما نقف منه على حقائق عامة ، مثال ذلك: أن بطونا من ربيعة ومضر استقرت في سواد العراق والجزيرة ، فصارت لهم ديار ومراع ، كما استقرت تنوخ غربي الفرات من الحدود الفارسية إلى أن أنشأ لهم سابور إمارة الحيرة عام 240 م . وأمر عليهم

---

(1) ياقوت . **معجم البلدان** . ج. 2 ، ص. 263 .

(2) محمود شاكر .**خراسان** . مرجع سابق . ص. 55 .

(3) المرجع نفسه . ص. 55 .

(4) أحمد محمد الحوفي . **تيارات ثقافية بين العرب والفرس** . ط. 3 ، مصر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر . 1978 ، ص. 5 .

عمرو بن هند ، وكان التجار الأعاجم يقدمون إلى مكة قبل أن يلي هاشم التجارة ، فيشتري منهم الفرس ، ويتبايعون فيما بينهم ، وقد اختص نوفل بن هاشم بالتجارة مع فارس وعقد معها حلفا ، ومعاهدة تجارية . (1)

وكانت التجارة صلة وصل بين فارس واليمن أيضا ، فقد جرت العادة أن يرسل الفرس قوافلهم التجارية ، ويقوم على أمره أدلاء من العرب ، بل وتنتقل هذه التجارة بين القبائل العربية من خفارة قبيلة إلى خفارة قبيلة أخرى ، وهذا يعني أن هناك علاقة تجارية قائمة بين الفرس والعرب قبل الإسلام (2) .

وتعتبر إمارة " الحيرة " في أرض العراق إمارة عربية من حيث أن حكامها المناذرة من العرب اليمانيين (3) ، غير أن هذه الإمارة تقوم على أمر الفرس أكثر من أهتمامها بالشؤون العربية (4) ، وبعبارة أخرى هي أشبه ما تكون بولاية فارسية صغيرة ، تمنع العرب من التحرش بالفرس أو الرعي في أراضيهم وتصطدم بالغساسنة الذين هم للروم بالشام ، كالمناذرة للفرس في العراق (5) .

ولم تكن القبائل العربية لترضى دائما بما منحه الفرس لإمارة الحيرة من حيث كونها واسطة العقد بين العرب والأكاسرة بل ربما احتك العرب مباشرة بالفرس عن طريق الرعي في سواد العراق (6) ، أو بالإستيطان في الأراضي الفارسية (7) ، أو بمهاجمة قوافل التجارة (8)

---

(1) حسين مجيب المصري .**صلات بين العرب والفرس والترك** . القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية.1971،ص. 28 .

(2) أنظر : السيد عبد العزيز سالم . **تاريخ الدولة العربية** . بيروت : دار النهضة العربية . 1971 . ص. 95 .

(3) ينتمي المناذرة إلى بني نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث من بني لخم المنتمين إلى يشجب بن سبأ بن قحطان . أي أنهم من القحطانيين اليمانيين .أنظر : ابن حزم . **جمهرة أنساب العرب** . تحقيق عبد السلام محمد هارون . مصر : دار المعارف ، 1962، ص. 422 .

(4) أول من ملك الحيرة من المناذرة ، عمرو بن عدي اللخمي اليماني . وقد شهد عهده قيام دولة بني ساسان . أنظر : علي موسى بن سعيد الأندلسي ، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب** . ط . 1 : عمان : (د . ن).1982.ج.1ص.269 .

(5) أنظر : ابن الأثير . **الكامل في التاريخ** . ط. 5 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1985، ج. 1 ، ص. 326 .

(6) كما فعل العرب وأكثريتهم من تميم أيام سابور ذي الأكتاف (ت 379 م) أنظر : المسعودي . **مروج الذهب ومعادن الجوهر** . ط. 3 . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مصر : مطبعة السعادة ، 1958 ، ج. 2 ، ص . 43 .

(7) نفذ بنوبكر الوائليون إلى الأراضي الفارسية . وحصل زعيمهم قيس بن مسعود على إقطاعات في أراضي الأبلة وما جاورها من قبل كسرى . أنظر : ابن الأثير . **الكامل** . ج. 1 ، ص. 289 .

(8) من ذلك قيام العرب بالإستيلاء على السواد أيام قباذ بن فيروز ملك فارس . أنظر : الطبري . تاريخ . ج. 2 ، ص. 95 .

بالإضافة إلى أن هناك بعض العلاقات الدينية التي كانت تربط بين العرب والفرس ، فنجد أن المذاهب النصرانية في البلاد العربية كانت اثنان : ـ المذهب النسطوري (1) ـ والمذهب اليعقوبي (2) .

وقد تعلم عرب العراق من النساطرة وكان مركزهم في الحيرة ، ومن الحيرة تسربت النصرانية إلى الجزيرة العربية ، وتعلم نصارى العرب السريانية فكتبوا ورتلوا بها ، وقد دخلت النسطورية العربية إلى بلاد اليمامة ، وعمان ، ومواطن أخرى ... ومن اليمامة انتقلت إلى نجران واليمن .. وذلك بواسطة القوافل التي كانت بين اليمن والحيرة (3) .

ومع تقدير العرب لما كان عليه الفرس من سطوة وقوة ، ورفعة شأن ، إلا أنهم كانوا على درجة كبيرة من الإعتزاز بأنفسهم ، وآية ذلك أن النعمان بن المنذر وهو من أمراء الحيرة التابعين للفرس أبى أن يزوج كسرى إحدى بناته وأفضى ذلك إلى حرب في يوم مشهور عرف بيوم "ذي قار" ، انتصرت فيه قبيلة بكر بن وائل على الفرس (4) .

---

(1) المذهب النسطوري : ينسب إلى نسطور الذي كان بطريق القسطنطينية سنة 431 م . ومذهب النساطرة هو محاولة للعودة إلى التوحيد أو القرب منه . ويذهب إلى القول بأن مريم لم تلد إلهاً ، لأن ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً ، ولأن المخلوق لا يلد الخالق . فمريم ولدت إنساناً ، ولكن كان آلة للاهوت . وعلى هذا فمريم لا تسمى والدة الإله ، بل والدة المسيح الإنسان

وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته ، أي اتحد عيسى بعد الولادة بالأقنوم الثاني اتحاداً مجازياً فمنحه الله محبة ، ورضيه النعمة ... وقد وضع نسطور بذلك الأساس للقول بطبيعتين في المسيح . وقد اعتبر ذلك بدعة من نسطور ، ولذلك طرد من منصبه . وتوفي من القسطنطينية ولكن مذهبه لم يمت . وأحياه فيما بعد غلاة مسيحيي إسمه « برصوما » ... انتشر في الشرق ولا يزال حتى الآن شائعاً في العراق والموصل والجزيرة . أنظر : أحمد شلبي المسيحية ط 8 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1984 ، ص 192 .

(2) المذهب اليعقوبي : ينسب هذا المذهب إلى راهبة مشهور إسمه يعقوب السروجي . ذهب إلى القول بأن للمسيح أقنوم واحد ، طبيعة واحدة ، ومشيئة واحدة ، تمت بعد الإتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج . ولذلك فالعذراء تدعى نحو والدة الإله فهي لم تلد إنساناً عادياً ، وكلمة « الإله الابن » اتقلبت لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح . وينتشر هذا المذهب في مصر والنوبة والحبشة ، وهو نفسه المذهب الأرثوذكسي الذي كان رد فعل لعقيدة نسطور . أنظر : أحمد شلبي المرجع السابق ، ص 193

(3) حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، ط 1 ، بيروت : مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1984 ، ص 184

(4) هذا اليوم قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بي » . وكانت وقعة « ذي قار » لتمام أربعين سنة من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة بعد أن بعث ، وقبل بعد أن هاجر . في رواية أخرى ، بعد وقعة بدر بأشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة . أنظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج 1 ، ص 278 . وانظر أيضاً : عاصد اللحام ، معجم المعارك الحربية ، ط 1 ، بيروت : دار الفكر المعاصر ، 1990 ، مادة « ذوقار »

وكثيرا ما كانت الحملات الفارسية توقع بالعرب في جزيرتهم وفي أطرافها الشمالية والشمالية الشرقية لرفضهم الإذعان لمشيئة عمال الفرس وأساورتهم ، وذلك في حملة سابور ذي الأكتاف على العرب ، كما في يوم " الصفقة " بأرض البحرين (1) .

ونبلغ آخر القول في الصلة بين العرب والفرس قبل الإسلام بذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، والراجح أنه ولد عام الفيل زمن حكم كسرى أنو شروان ، وكان على الحيرة يوم ولد عمرو بن المنذر بن أمرئ القيس .. وتواترت الأخبار بأنه في الليلة التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ارتج إيوان كسرى ، وهوت منه إحدى عشرة شرفة كما خمدت نار الفرس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة (2) .

3 ـ الفتح الإسلامي لخراسان :

بعد معركة نهاوند (3) عام 22 هـ / 644 م (4) التي انتصر فيها المسلمون على الفرس انتصارا مؤزرا ، قرر خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أخذا بنصيحة الأحنف

---

(1) ويقال له يوم « المشقر » نسبة إلى حصن شهير في « هجر » من أرض البحرين ومن خبر هذا اليوم أن كسرى أنوشروان أوعز إلى المكعبر عامله على البحرين أن يحتال على بني تميم ويقتلهم لتهبهم فافعله . أنظر : ابن الأثير . **الكامل** . ج. 1 ص. 275.

(2) حسين محيب المصري **صلات بين العرب والفرس والترك** مرجع سابق ص. 37

(3) نهاوند : يقال إنها من بناء نوح عليه السلام أي نوح وضعها وإنما إسمها نوح أوند . فخففت وقيل نهاوند . وقيل إن أصلها بنو هاوند فاختصروا منها . ومعناه : الخير المضاعف وهي مدينة قبلة همذان . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج. 8 . ص 329

(4) تفيد إحدى الروايات أن فتح خراسان قد تم في عام 18 هـ . وهذه الرواية ذكرها سيف بن عمر الأسيدي التميمي . وأشارت بعض المصادر كالطبري . وابن الأثير لرواية سيف هذه . غير أن الطبري وابن الأثير أدرجا فتح خراسان ضمن حوادث عام 22 هـ مما يدل على أنهما لم يأخذا بهذه الرواية . والقول أن فتح خراسان قد تم في عام 18 هـ قول يصعب قبوله . لأن المسلمين لم يكونوا آنذاك قد قضوا على دولة الفرس في البلاد الواقعة بينهم وبين خراسان . بل ويحول بينهم وبينها قوات ضخمة حشدها « يزدجرد » آخر الملوك الساسانيين ليواجه بها القوات الإسلامية . وكان « يزدجرد » قد إلتجأ إلى « حلولا » بعد سقوط « المدائن » العاصمة الساسانية فحشد بها جموعا ضخمة . غير أنه أخفق . وفر إلى « أصبهان » في عام 19 هـ . وهناك احتشد إليه ما يقارب المائة ألف مقاتل . وجههم إلى نهاوند لكن المسلمين بقيادة النعمان بن المقرن المزني هزموا جيشه في عام 21هـ في أرض نهاوند . وسميت المعركة « فتح الفتوح » لعظمتها . وبعد هذه المعركة فر يزدجرد إلى خراسان . وهنا تكون الرواية التي تشير إلى أن فتح خراسان قد تم عام 22 هـ أولى بالقبول .

أنظر : عبد الرحمن فريح العمار . **القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي** . دراسة تاريخية حضارية ـ مكة المكرمة ـ قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية . كلية الشريعة . جامعة أم القرى . 1410 هـ / 1990 م . (رسالة دكتوراه) . ص 37

بن قيس (1) ـ الإنسياح في بلاد فارس ، ودفع قوات المسلمين إلى أنحاء تلك المملكة كلها ، فعقد ألوية لسبعة من القادة عهد إليهم فتح أرض فارس كلها ، وكان ممن سار إلى خراسان الأحنف بن قيس التميمي ، على رأس جيشه حتى دخل خراسان من الطبسين (2) ، فافتتح هراة عنوة ، واستخلف عليها صحار بن فلان العبدي ، وبعث الأحنف من هراة مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى نيسابور ، وسار هو نحو مرو الشاهجان عن طريق نهر هراة فامتلكها واستخلف عليها حارثة بن النعمان ، ومنها سار إلى مرو الروذ ، ليلاحق يزدجرد الذي فر إليها ومنها إلا بلاد ما وراء النهر .

كما كان قد بعث الحارث بن حسان السدوسي إلى سرخس ... وربعي بن عامر التميمي إلى طخارستان (3) ، ورغم سقوط هراة ونيسابور وسرخس ، إلا أن بعض شعب خراسان كان قد تحصن أو شذ عن الخضوع والتسليم فيما بين نيسابور وطخارستان . ولكن بعد فرار يزدجرد تتابعت جموع الشعب الخراساني إلى الصلح والدخول في ذمة المسلمين ، وكتب الأحنف بن قيس إلى الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بفتح خراسان ، فكتب عمر إلى الأحنف : « أما بعد فلا تجوزن النهر (نهر جيحون) واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم خراسان ، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر ، وإياكم أن تعبروا فتفضوا ». (4)

أما طبرستان (5) فقد تم فتحها على يد سويد بن مقرن المزني ، إذ أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عندما جاءه البشير بفتح الري (6) كتب إلى نعيم بن مقرن أن يقدم أخاه سويدا إلى قومس التي لم يصادف فيها مقاومة من حماتها ، ففتحها سلما وعسكر فيها ،

---

(1) الأحنف بن قيس السعدي التميمي : يكنى أبا بحر ، واسمه الضحاك بن قيس ، كان قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وقد كان أحد الحلة الحكماء ، يعد في كبار التابعين بالبصرة ، توفي بالكوفة في إمارة مصعب بن الزبير سنة 67 هـ . أنظر : ابن حجر ، **الإصابة في تمييز الصحابة** ، بيروت : دار الكتاب العربي (د . ت) ، ج 1 ، ص 135 .

(2) الطبسين : تثنية طبس ، وهي بالفارسية دارسة ، وهي العربية الطبس هو الأسود من كل شيء ، وهما بلدتان كل واحدة منها يقال لها طبس أحداهما طبس العناب ، والأخرى طبس التمر ، والعرب تسميها باب خراسان كانت أول فتوح المسلمين في خراسان . أنظر : ياقوت ، **معجم البلدان** ج 6 ، ص 27

(3) طخارستان : ولاية واسعة من نواحي خراسان ، وهي عليا وسفلى ، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون ، والسفلى أيضا غربي جيحون . أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ج 6 ، ص 31

(4) أنظر : أحمد عادل كمال ، **سقوط المدائن** ط 5 ، بيروت : دار النفائس ، 1987 ، ص 300 .

(5) طبرستان : وهي بلدة واسعة بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل ، وقصبتها آمل . أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ج 6 ، ص 17

(6) الري : وهي من أمهات البلاد وقصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا . أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ج 4 ، ص 355

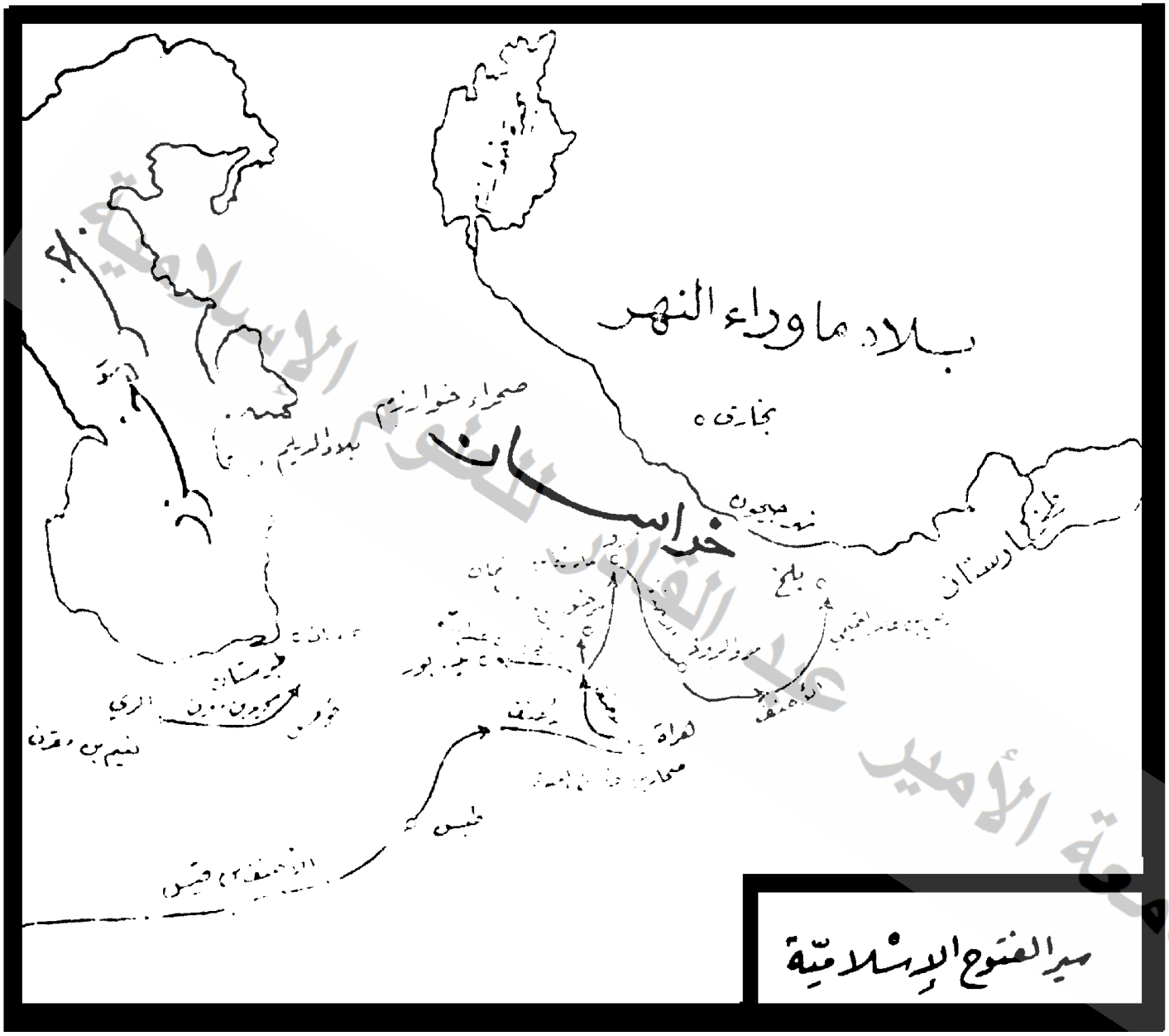

عمله كتاب : خراسان - لمحمود شاكر ص 18

ثم سار إلى بسطام (1) إحدى مدنها فأقام بها .ومنها كاتب ملك جرجان يدعوه إلى الصلح أو القتال ، فبادر الملك الفارسي بالصلح وطلب الأمان والمنعة على أن يدفع الجزية ، ثم سار الأحنف بن قيس إلى الطالقان (2) ففتحها صلحا (3) .. ولم يود الأحنف أن يجاوز النهر عملا بوصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ ومن الواضح هنا أن عمر لم يكن يود الإلتحام بالترك أو الصغد اكتفاء بفتح فارس إلى أقصى حدودها ـ وحسبن نقول فارس فلا بد أن يحضرنا أنها كانت إحدى القوتين العظميين آنذاك ، وقد صارت برمتها إلى المسلمين الذين قاموا يرثون الأرض وما عليها في حين كانوا يدوخون القوى الأخرى ويقتطعون من أرضها .

أما يزدجرد الثالث فقد ظل المسلمون يطاردونه ويستولون على بلاده حتى هجر بلاده ، وضعف أمره ، إلى أن قتل بخراسان في خلافة عثمان بن عفان سنة 31 هـ ، وبموت يزدجرد زالت الدولة الساسانية ، وتحققت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ـ بتمزيق ملك الأكاسرة .

واستطاع المسلمون الفاتحون أن يمدوا سلطانهم في المناطق الجديدة ، ويختلطوا مع الأمم التي دخلوا أرضها فاتحين ، مبشرين بالدين الجديد وباعثين في الشعوب المقهورة الأمل والحرية والإنطلاق .

4ـ الحركة العلمية في خراسان قبل العصر العباسي

4 ـ 1 ـ أهمية خراسان في تاريخ الحضارة :

لعبت خراسان دورا بارزا في تاريخ الحضارة الإنسانية بعامة ، وفي تاريخ الحضارة الإيرانية بخاصة ، فقد نبغ فيها عدد غير قليل من الملوك ، والقواد ، والأمراء ، قبل الميلاد بقرون عدة ، ازدهرت على أيديهم مختلف ألوان الحضارة ، وكان أشهرهم " طهمورث " صاحب الفضل الأكبر في بناء عدد من المدن الخراسانية وتعميرها . وقد اتخذ نيسابور ـ على ما ذكره المسعودي ـ « موطنا له ، وعاصمة لملكه » (4) .

---

(1) بسطام : بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور . أنظر : ياقوت . معجم البلدان . ج. 2 ، ص. 180.

(2) الطالقان : بلدتان أحدهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ . أنظر : ياقوت . معجم البلدان . ج. 6 ، ص. 7 .

(3) عن فتح خراسان أنظر : عادل كمال . سقوط المدائن . ط. 5 ، بيروت : دار النفائس ، 1987 ، ص. 295 . وأنظر : محمود شاكر . خراسان . . مرجع سابق . ص. 14 ، رفيق العظم . كتاب أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة ، ط. 6 ، بيروت : دار الرائد العربي ، 1983 ،ص. 718 . ابن أعثم الكوفي . كتاب الفتوح . ط. 1 ، بيروت : دار الندوة الجديدة ،(د. ت) ، ج. 2 ، ص.ص. 80،78 .

(4) المسعودي . مروج الذهب . ج . 1 ، ص . 222 .

وكان من آثاره العمرانية بناء مدينة " آمل ، وطبرستان ، وبابل ، وكردآباد ، ونيسابور .. " ويعتبر طهمورث أول من أدخل استعمال الحرير والإفادة من الصوف على أوسع نطاق ، وأمر بتدوين ما عرف من العلوم والأفكار في ذلك العصر على الصخور ، وكان الصوم أول ما عرف في عهده لديهم ، فقد أصاب البلاد قحط نحو عشر سنوات ، كانت سنين عجافا . ففرض حينذاك الصوم ، واتخذ له نظاما خاصا ومدة معينة ، وقد فرض الصوم والعمل معا حتى تمكنت البلاد من التغلب على تلك الشدة ، واجتازت الأزمة بسلام ، وما لبث أن صار هذا الصوم بعدها وسيلة للتقرب إلى الله ... ومن أهم ما اتسمت به إصلاحات طهمورث أيضا الحرية الدينية ، فقد ترك لكل شخص حريته الكاملة في أداء طقوسه الدينية ، ومراسيم عبادته ، والتعبير عن أفكاره طيلة مدة حكمه التي دامت ثلاثين سنة على ما يروي المؤرخون (1) .

وينسب بناء القهندز (2) في مرو لطهمورث ، وقيل أن طهمورث كان أول من استعمل الخط البهلوي (3) في الكتابة ، وإذا صحت هذه الرواية فإن ميزة أخرى ستضاف إلى مزايا خراسان في تاريخها الحضاري بكونها صاحبة الفضل الأكبر في انتشار الخط البهلوي القديم ، وتعميمه على إيران جميعا مما ساعد على نشر الحضارة الإيرانية (4) .

وقد كان للملك : منوشهر " ـ الذي أقام في خراسان لمحاربة الترك في شمالها ـ بعض الأثر في نشر الحضارة ، وازدهارها بخراسان ، فقد عرف منوشهر في تاريخ إيران القديم بالعدل والإحسان،بالإضافة إلى أنه سبق في ميدان الإبتكارات والأنظمة ، للنهوض بالبلاد ، ورفع مستواها الإقتصادي ، والإجتماعي ، والثقافي ، فهو أول من حفر الخنادق ، وجمع آلة الحرب ، وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا (5) ، وحد الحدود في خراسان من

(1) جعفر الخليلي . **موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم خراسان** . ط. 2 ، بيروت : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1987 ، ص. 23 .

(2) القهندز : وهو في الأصل إسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة وهو في مواضع كثيرة .. منها قهندز بلخ . قهندز نيسابور .. أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج. 7 ، ص . 191 .

(3) من الممكن أن يكون أصل كلمة « بهلوي » هي : برتوه أو برتوأبرت ـ ومنها عربت كلمة فارس . وهم القوم الذين يقطنون شمال فارس . ومنهم أسرة الإشكانيين الذين انتهى حكمهم على أيدي الدولة الساسانية . وكان آرادوان آخر ملوكهم . والمعروف أن حروف اللغة البهلوية متشابهة ، ومن الممكن إبدال حرفي ـ وضع بهلر مكان كلمة برتو . واللغة البهلوية مشتقة من الفارسية القديمة ، أي أن الكلمات والتراكيب الفارسية القديمة قد تطورت بمرور الزمان ، حتى انتهت إلى صورة اللغة البهلوية. أنظر : رضا زادة شفق . **تاريخ الأدب الفارسي** . ترجمة محمد موسى هنداوي ، (د. م) : دار الفكر العربي ، 1987 ، ص. 7 .

(4) جعفر الخليلي . **المرجع السابق** . ص. 24 .

(5) الدهاقنة : ج . دهقان : وهو التاجر . فارسي معرب . أنظر : ابن منظور . **لسان العرب** . مادة « دهقن » .

ناحية الشمال بالمعاهدات والمصالحة مع العدو ، وهو الذي بنى مدينة بلخ (1)، وكان الملك "زو" من الملوك الذين تولوا تسيير الجيوش في خراسان ، وقد طارد " أفراسياب " حتى تغلب عليه ، وأخرجه من بلاده ،وكان ذلك في يوم اتخذه الإيرانيون عيدا لتخلصهم من الشر والتعسف الذي اتصف بهما أفراسياب،وجعلوه العيد الثالث لعيديهم :النيروز والمهرجان (2).

وكان الملك " زو " محمودا في ملكه ، محسنا إلى الرعية ، وقد أمر بإصلاح ما أفسده أفراسياب ، وبناء ما كان قد هدمه من حصون وقلاع ، وأعاد كل ذلك إلى أحسن ما كان عليه ، ووضع عن الناس الخراج سبع سنين ، ودفعه عنهم ، فعمرت بلاد فارس في ملكه ، وكثرت المياه فيها ، ودرت معايش أهلها ، واستخرج بالسواد نهرا ، وسماه الزاب ، وقال يوم ملك وعقد التاج على رأسه «نحن متقدمون في عمارة ما خربه الساحر أفراسياب» (3).

وقد اكتسبت خراسان مما جاورها في التاريخ القديم حضارات أمم مختلفة ، تسربت إليها عن طريق الحروب والتجارة ، والتنقل . وقد أفادت الشيء الكثير في العصور الأولى من الميديين (4) ، الذين أسسوا حضارة كبيرة ، تناولت عدة جوانب من الحياة العامة ، وإضافة إلى ما أخذت خراسان من حضارة الميديين في أدوار التاريخ القديمة ، فإنها استفادت أيضا من الحضارة الصينية ، واليونانية قسطا وافرا ، مما جعل الإسكندر المقدوني ـ حين فتح خراسان ـ في القرن الرابع قبل الميلاد ـ أن يقدر قيمة خراسان وأهميتها في الحضارة ، فعني بها عناية خاصة وإليه ينسب بناء ثلاث مدائن في خراسان هي : مدينة هراة ، ومدينة مرو ، ومدينة سمرقند . (5)

وفي عصور ملوك الطوائف بعد عهد اليونانيين تقدمت الحضارة في خراسان وبوشر بتأليف الكتب ، وتصنيفها ، وقد بلغ أهل العلم والثقافة والفكر منزلة من قبل من حكموها وآية ذلك أن كسرى أنوشروان أفردها بقسم إداري خاص نظرا لما تمتاز به هذه البلاد من المؤهلات الجغرافية والسكنية والحاصلات المختلفة . وقد انصهر كل ذلك ليصنع من خراسان لوحة من

---

(1) القزويني . **آثار البلاد وأخبار العباد** . ص. 331 ، الطبري . تاريخ . ج. 1 ، ص. 379 .

(2) **الطبري** . **تاريخ** . ج. 1 ، ص. 454 .

(3) **المصدر** نفسه . ج. 1 ، ص. 454

(4) الميديون : هم الإيرانيون الذين حلوا في إيران القديمة ، وطردوا سكان هذه الأقاليم المجهولي الأصل على مرور الزمن ، وأقاموا في مواطنهم من أواسط إيران الشمالية . واتخذوا (الكلباتان) ـ أي همذان ـ عاصمة لهم . ولغتهم أخذ الفرس لغتهم الآرية . وهم الذين جعلوا الفرس يستبدلون في الكتابة الرق والأقلام بألواح الطين ، ويستخدمون في العمارة العمد على نطاق واسع . أنظر : ول ديورانت . **قصة الحضارة** . ط. 3 ترجمة: محمد بدران . القاهرة: مطابع الم جموع ، 1944 ، ج. 2 . ص. ص .399 ، 401 .

(5) الطبري . **تاريخ** . ج . 1 ، ص . 578 .

أبهر اللوحات الفنية في تاريخ الحضارة الإيرانية القديمة ، وفي مختلف العصور ، ولا سيما في العصور الإسلامية ، لما تتمتع به من خصائص مميزة ، وتزخر به من خيرات تتدفق عليها من منابع مختلفة (1) .

4 ـ 2 ـ ملامح الحركة العلمية في خراسان :

لعل أول معلم من معالم الحركة العلمية في خراسان قبل العصر العباسي الأول هو انتشار الكتابة في إيران القديمة بعامة ، وخراسان بخاصة ، وليس لدينا من رواية أكيدة توضح بالضبط تاريخ معرفة الإيرانيين للكتابة في العصور الغابرة إلا ما ذكره الفردوسي في «الشاهنامة » من أن الخط والكتابة كانت من مبتكرات طهمورث بخراسان (2) .

ويقول ابن النديم : « إن أول من كتب بالفارسية كان بيوراسب بن ونداسب ـ المعروف بالضحاك ـ » (3) ، ويذكر الطبري : « أن أول من صنف طبقات الكتاب ودون الدواوين ، وعين منازلهم هو " لهراسب " » (4) ، وإذا لم يصح أن تكون خراسان أول من ابتدع الخط الفارسي فليس من شك أنها كانت قد أفادت من الكتابة الشيء الكثير بسبب استيطان عدد من الملوك فيها ، وقيامهم بحشد الجيوش ، وتسجيل الأوامر الملكية ، وكتابة الوصايا والعهد بها إلى من يليهم في الحكم وضبط الأموال ، وحصر الأرزاق .. وغير ذلك مما يتوقف على الكتابة والبروز فيها ، والإحاطة بفنونها (5) .

وإذا كانت معرفة الدين والعقائد من بين الملامح التي توضح مدى انتشار العلوم في أمة من الأمم ، فإن خراسان كان لها نصيب من الأديان الفارسية القديمة التي ساعدت على تفتح الذهنية ، وفتح مجال التأمل والتفكير في الوجود . وفهم الأسباب والمسببات ، والخوض في فلسفتها ، ونشر الثقافة العامة في وسط الناس عن طريق الطقوس ، والآداب والفنون . ومن أقدم الأديان التي عرفها أهل خراسان ، البوذية ، والزردشتية ، والمانوية (6) .

(1) جعفر الخليلي . **العتبات المقدسة** . مرجع سابق ، ص . 21 .

(2) **المرجع نفسه** . ص . 22 .

(3) ابن النديم . **الفهرست** . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، (د. ت) ، ص. 18 .

(4) الطبري . **تاريخ** . ج. 1 ، ص. 538 .

(5) جعفر الجليلي . **المرجع السابق** . ص. 34 .

(6) المانوية : نسبة إلى « ماني » بن فتق بن بابك الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير ملك الفرس . كان مجوسيا عارفا بالمذاهب .. ويقول بنبوة المسيح عليه السلام . ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . وكان يزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا .. وقد فرض ماني على أصحابه العشر في الأموال والصلوات الأربع في اليوم والليلة .. واعتقاده في الشرائع والأنبياء أن أول من بعث الله بالعلم والحكمة آدم أبو البشر ، ثم بعث شيثا بعده ، ثم نوحا بعده . ثم إبراهيم بعده عليه السلام ثم زرداشت في بلاد الفرس .أنظر : الشهرستاني . **الملل والنحل** . ط . 2 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1992 ، ج. 2 ، ص. 268 .

وقد استطاعت هذه النحل أن تلطف من أمزجة الخراسانيين ، وتهذب من نفوسهم ، وتصقل أفكارهم ، وتوسع دائرة عقولهم .. حتى طبعتهم على حب الحرية ، والتمسك بأذيالها تمسكا استلفت أنظار الكثير من المؤرخين بعامة ومن مؤرخي الإسلام بخاصة (1) . فضلا عن العلوم ، والآداب ، والفنون ، التي عرفها أهل خراسان في تاريخهم القديم حتى الفتح الإسلامي ، وقد دلت التتبعات ، والبحوث التاريخية ، أن حظ خراسان في العلوم والمعارف لم يكن قليلا ، وبالرغم من تلف كثير من المصنفات والمخطوطات التي تتضمن تاريخ خراسان القديم ، فقد احتفظت (مرو) بالكثير من الكتب القديمة ، وصارت فيها مكتبة من مخلفات الملوك الساسانيين ، وأصبحت مرجعا يرجع إليه المتتبعون والباحثون في تاريخ إيران ، وتاريخ خراسان بصورة خاصة ، للوقوف على سير تلك العلوم ، والآداب ، والفنون ، وطبيعتها. (2) .

ويحدثنا طيفور فيقول : « قال يحي بن الحسن : إني بالرقة (3) بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بِرْكة (4) ، إذ دعوت بغلام له فكلمته بالفارسية ـ فدخل العتّابي (5) ـ وكان حاضرا في كلامنا ـ فتكلم معي بالفارسية فقلت : أبا عمرو! مالك وهذه الرطانة ؟ قال : فقال لي : قدمت بلدتكم هذه ـ يريد خراسان ـ ثلاث قدمات ، وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو ... فقال ، كتبت منها حاجتي ثم قدمت نيسابور ، وجزتها بعشر فراسخ إلى قرية يقال لها (ذَوَدَرْ) ، فذكرت كتابا لم أقض حاجتي منه ، فرجعت إلى مرو فأقمنا شهرا ، قال : قلت : أبا عمرو لم كتبت كتب العجم ؟ فقال لي : وهل المعاني إلا في كتب العجم ، والبلاغة واللغة لنا ، والمعاني لهم ! ثم كان يذاكرني ويحدثني بالفارسية كثيرا » (6) .

وقد أورد ياقوت الحموي (7) أسماء المكتبات ، وخزائن الكتب التي حوت عشرات الآلاف

---

(1) جعفر الخليلي . **العتبات المقدسة** . مرجع سابق ، ص. 46 .

(2) المرجع نفسه . ص . 58 .

(3) الرقة : مدينة مشهورة في الفرات من جانبه الشرقي . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج. 4 ، ص. 272 .

(4) كان ذلك في أوائل القرن الثالث الهجري .

(5) العتّابي : هو أبو عمر وكلثوم بن عمرو بن أيوب الشامي ، كاتب وشاعر بليغ ، حكي عن الفضل : قال رأيت العتابي جالسا بين يدي المأمون ، وقد أسن ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده ، واعتمد الشيخ على المأمون فمازال ينهض رويدا رويدا حتى أقله فنهض .. كان يصحب البرامكة ويختص بهم ، ثم صحب طاهر بن الحسين .. وكان أحسن الناس اعتدادا في رسائله وشعره ، توفي العتابي وله من الكتب كتاب «المنطق» وكتاب «الآداب» وكتاب «الخيل» ...

أنظر : ابن النديم . **الفهرست** . ص . 175 ، وأنظر أيضا : المسعودي . **مروج الذهب** . ج. 4 ، ص. 15 .

(6) طيفور . **تاريخ بغداد** . ج. 6 ، ص. 157 ، 158 ، نقلا عن : أحمد أمين . **ضحى الإسلام** . ط . 10 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (د. ت) ، ج. 1 ، ص. 180 .

(7) ياقوت . **معجم البلدان** . ج. 8 ، ص. 33 .

المجلدات مما رآها بنفسه ، وأفاد منها في خراسان سنشير إليها أثناء الحديث عن الرحلة طلب العلم ، ومراكز التعليم في خراسان من صفحات هذا البحث إن شاء الله .

ومن مظاهر الحركة العلمية في خراسان نظم الشعر ، والتغني بموسيقاه ، فنجد مثلا أن (الأفيستا AVESTA) (1) الذي عرف في التاريخ الإيراني القديم ، يدل على أنه هناك شعر منظوم ، وأناشيد تغنى ، بالإضافة إلى أن « الأفيستا » تصور جانبا كبيرا العلم والفلسفة ، ولما كانت الأفيستا قد انتشرت أول الأمر في خراسان فإن من المحقق جاءت مسبوكة سبكا يتناسب وعقلية المحيط، وإدراكه ، وطبيعة أدبه، وتذوقه للشعر ، والنشيد ، والغناء .(2)

لهذا كان الملوك الخراسانيون يعمدون إلى تنشئة أولادهم تنشئة علمية أدبية ، أخلاقية ، إلى جانب تعليمهم أساليب الحرب ، ليعدوهم إعدادا لائقا لتولي الحكم ، وقد أورد ابن الأثير (3) عن نشأة سياوخش بن كيكاووس من الأسرة الكيانية القديمة ، أن الملك كيكاووس الذي يسكن بلخ ، قد ضم ابنه سياوخش إلى رستم الذي كان هو حاكما على سجستان وما يليها ، فأحسن رستم تربيته ، وعلمه العلوم ، والفروسية ، والآداب ، ثم حمله إلى أبيه ، فلما رآه سر به صورة ومعنى

ولما تولى كسرى أنوشروان العادل الحكم (531 ـ 578 م) فتح للفرس موردا جديدا للعلم والفلسفة عكس (جستينان) قيصر الروم الذي اضطهد الفلاسفة الوثنيين ، وأقفل الهياكل والمدارس الوثنية ، وكانت الفلسفة الأفلاطونية الجديدة قد نضجت مما اضطر كثيرا من أصحابها أن يفروا من وجه الإضطهاد ، ويتفرقوا في العالم ، وقد جاء منهم سبعة إلى أنوشروان فأحسن إكرامهم ، وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة أو نقلها إلى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب (4) ، وألفوا فيها الكتب ، فطالعها هو ورغّب الناس فيها ، وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن ، حتى خيل لليونان الذين جالسوا أنوشروان أنه من تلامذة أفلاطون . . وأغلب الظن أن تلك الفلسفة كانت أساسا لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك . ولم يقتصر أنوشروان على نقل علوم اليونان إلى لسانه ،

---

(1) أفيستا AVESTA هو الكتاب المقدس لزرادشت وعليه شرح بسمى « زنفانست » وقد كتب باللغة الفارسية الأولى التي لم يعد يعرف أحد معناها وأصل الأفيستا ومؤلفوه لا يزال موضع جدل بين الباحثين .
أنظر : أحمد أمين فجر الإسلام ط 10 ، بيروت دار الكتاب العربي 1969 ، ص 100 .
(2) جعفر الخليلي العتبات المقدسة مرجع سابق ، ص 61 .
(3) ابن الأثير الكامل ج 1 ، ص 137 .
(4) ابن النديم الفهرست ص 424

ولكنه نقل علوم الهنود أيضا من السنسكريتية إلى الفارسية ، وأنشأ في جنديسابور مارستانا (مستشفى) لمعالجة المرضى ، وتعليم صناعة الطب ، واستقدم إليه الأطباء من الهند ومن بلاد اليونان ، وقد بلغ هذا المارستان من الشهرة ما لم يسبق له مثيل ، بل كان له شأن كبير بعد دخول الإسلام تلك البلاد (1) .

ويرى المتتبع للتاريخ أن صفة العلم ظلت ملازمة لخراسان طوال العصور ، ولعل الحظوة التي نالها العلماء والأدباء ،والمفكرون عند الملوك والأمراء كان بمثابة التأييد لالتصاق صفة العلم بالخراسانيين وما عرفوا به من إقبالهم على العلوم منذ الأزمنة الغابرة .

ويؤيد هذا ما ذهب إليه الدكتور زكي محمد حسن في استعراضه لصناعة السجاد في خراسان بقوله : « ... ولا عجب في أن تكون خراسان مركزا عظيما من مراكز صناعة السجاد فقد كان هذا الإقليم في طليعة الأقاليم الإيرانية في الأدب والسياسة ،والفن » (2).

وزاد خراسان رفعة وقدرا دخول الإسلام إليها ، وانتشاره بين أهلها حتى صارت منتجعا للعلماء ، وقبلة للدارسين ، وكعبة لطلاب المعارف . وهذا ما سنعرفه في الباب الثاني من هذا البحث إن شاء الله .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) جرجي زيدان . **تاريخ التمدن الإسلامي** . بيروت . منشورات دار مكتبة الحياة . ج . 3 . ص. 144 . 145

(2) زكي محمد حسن . **الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي** . ط . 1 . مصر . دار الكتب (د . ت) . ص 157

الباب الأول

الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

1ـ خراسان من الهجرة العربية إلى قيام الدولة العباسية .

1ـ1ـ الهجرة العربية والإستيطان في خراسان .

1ـ1ـ 1 ـ الهجرة العربية بعد الفتح الإسلامي.

بعد أن تم الفتح الإسلامي لبلاد فارس، إنساحت الجيوش الإسلامية تطارد ملك الأكاسرة الذين ظلوا يصدون عن دين الله، ويبغونها عوجا ... وقد أشار إلى هذا المعنى الأحنف بن قيس عندما قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما : "يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الإنسياح في البلاد وإن ملك فارس بين أظهرهم، ولا يزالون يقاتلون مادام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئا بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالإنسياح فنسيح في بلادهم، ونزيل ملكهم، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس، فقال عمر : "صدقني والله" وأذن في الإنسياح في بلاد فارس ومنها خراسان" .(1)

غير أن المسلمين لم يستطيعو تثبيت أقدامهم هناك إلا في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه إثر حملات متتالية كان عبد الله بن عامر (2) والي البصرة يبعثها مستعينا في تسييرها بعدد من رؤساء القبائل أمثال : الأحنف بن قيس التميمي، وقيس بن الهيثم السلمي، وعبد الله بن خازم السلمي.(3).وقد قامت القبائل العربية منها قبائل البصرة وعلى رأسها بنو تميم (4).

---

(1) محمود شيت الخطاب **قادة فتح فارس** ط . 3 . (د . م) : دار المكتبي، 1974 . ص . 220 .

(2) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة القرشي ابن خال عثمان عفان رضي الله عنه . ولد بمكة عام 4 هـ أعاد فتح سجستان في عهد عثمان وولي البصرة له سنة 29هـ ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين . كان شجاعا سخيا . محبا للعمران . توفي بمكة سنة 59هـ . أنظر : ابن الأثير . **الكامل في التاريخ** . ط . 5 . بيروت : دار الكتاب العربي . 1985 . ج . 3 . ص . 49

(3) أنظر : الطبري . **تاريخ** . ج . 5 . ص . 209 .

(4) بنو تميم : قبيلة عظيمة من العدنانيين . تنتسب إلى تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . كانت منازلهم بأرض نجد . تمتاز هذه القبيلة بتاريخها العربي في الجاهلية والإسلام . وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه : "مازلت أحب بني تميم من ثلاث . سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول فيهم : هم أشد أمتي على الدجال" وفي سنة 14هـ أمد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بثلاثة آلاف تميمي . حيث كانت تميم من أشجع قبائل العرب يومئذ . وقد اشتركت تميم في حروب خراسان الجاهلية سنة 65هـ . أنظر : عمر رضا كحالة . **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** . ط . 2 . بيروت : دار العلم للملايين . 1968 . ج . 1 . ص ص . 126 . 132 . وانظر أيضا : ابن حزم . **جمهرة أنساب العرب** . تحقيق محمد عبد السلام هارون . مصر : دار المعارف . 1962 . ص 207

وبكر بن وائل (1)، وعبد القيس (2) ـ والأزد (3) ـ بدور رائد في تثبيت الإسلام بأرض خراسان وغزو كل من لم يكن صالحا من أهلها، وكانوا إذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعُقبة، وظلوا على ذلك حتى كانت الفتنة بعد مقتل عثمان. (4) .

وكان من آثار الفتنة الأولى في الإسلام أن تضعضع وجود العرب في خراسان، وأخلوا بعض المناطق التي فتحوها، وتجمعوا في الأقاليم التي كان سلطانهم قويا فيها غير أنهم لم ينسحبوا من خراسان كلها، لأن المؤرخين لا يتحدثون عن فتحها مرة ثانية في أيام معاوية وإنما يتحدثون عن إعادة تنظيمه لشؤونها وتعيينه ولاة جددا على أهم مقاطعاتها. (5)

وحين ولي زياد بن أبي سفيان البصرة لمعاوية سنة 45هـ ولّى أمير بن أحمد اليشكري مرو الشاهجان، وخليد بن عبد الله الحنفي نيسابور، وقيس بن الهيثم السلمي مرو الروذ، والطالقان والفارياب، ونافع بن خالد الطاهي هراة، وباذغيس وبوشنج(6). ونفهم من ذلك أن منطقة خراسان لم تكن تمثل في هذه الفترة ولاية مستقلة يعين عليها الخلفاء الولاة مثل ولاية العراق، وولاية الأردن، وولاية مصر، بل كانت منطقة إدارية تابعة لوالي العراق الذي يشمل سلطانه كل ولايات المشرق، ولذلك يطلق على كبار ولاة العراق إسم ولاة المشرق إذا جمع له حكم الكوفة والبصرة .

---

(1) بكر بن وائل : قبيلة عظيمة من العدنانيين أيضا ، كانت بلادهم ديار بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين ، فأطراف سواد العراق ، ومن أعظم الأيام الحربية التي خاضتها يوم "ذي قار" وفي السنة التاسعة من الهجرة إعتنق قسم من بكر بن وائل الإسلام ... وقد نصرت بكر بن وائل خالد بن الوليد سنة 12 هـ ضد الفرس ، وحاربت مع المثنى سنة 14هـ في العراق . أنظر : عمر رضا كحالة **معجم قبائل العرب** . مرجع سابق . ج 1 ص ص . 93 ، 98 وانظر أيضا : ابن حزم ، **جمهرة أنساب العرب** ، ص . 403

(2) عبد القيس : قبيلة تنتسب إلى عبد القيس بن أفصى بن دعمي ... إلى معد بن عدنان ، كانت مواطنهم بتهامة ، ثم خرجوا إلى البحرين ... وقد ارتد بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم أهل البحرين ، فأما عبد القيس فقاتلت ثم عدوا المسلمين بالمقاتلة وكان عددهم في خراسان سنة 96هـ أربعة آلاف مقاتل . أنظر : عمر رضا كحالة . **المرجع السابق** . ج 2 ، ص . 726

(3) الأزد : من أعظم قبائل العرب وأشهرها ، تنتسب إلى الأزد بن الغوث بن مالك بن كهلان من القحطانية وتنقسم إلى أربعة أقسام : 1 ـ أزد شنوءة ، 2 ـ أزد غسان ، 3 ـ أزد السراة ، 4 أزد عمان . أنظر : عمر رضا كحالة . **المرجع السابق** . ج 1 ، ص . 15

(4) **الطبري** . **تاريخ** . ج 5 ، ص 290 .

(5) ابن الأثير . **الكامل** . ج 3 ، ص . 205 . **الطبري** . **تاريخ** . ج 7 ، ص . 10 .

(6) **البلاذري** . **فتوح البلدان** . تحقيق عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع . بيروت : دار النشر للجامعيين . 1957 ، ص . 440

كذلك لم تكن منطقة خراسان تكون وحدة إدارية تشمل جميع مدنها وقراها، إنما نلاحظ قيام والي العراق أو والي البصرة - إذا كان إقليم خراسان تابع لوالي البصرة - بتعيين العمال على أهم مدنها . ثم صارت منطقة خراسان وحدة إدارية بعد ذلك . ففي أول سنة 51هـ عين زياد بن أبي سفيان، الربيع بن زياد الحارثي على خراسان وبعث معه خمسين ألفا من البصرة والكوفة، ويختلف المؤرخون القدامى في عدد من جاء منهم من كل مصر من المصرين. فالطبري يقول : "إن زياد بعث مع الحارث خمسين ألفا،من البصرة خمسة وعشرين ألفا ، عليهم الربيع بن زياد، ومن الكوفة خمسة وعشرين ألفا، عليهم عبد الله بن أبي عقيل" (1)، "..فنقل الناس عيالاتهم إلى خراسان ووطنوها" (2)، أما البلاذري (3)، وابن الأثير (4) فيذكران العدد نفسه ولكنهما لا يحددان نسبة من جاء من البصرة والكوفة. إلا أن الدكتور صالح أحمد العلي شك في أن العدد أُخذ من أهل المدينتين بالتساوي والمناصفة مستدلا على ذلك بأن الأخبار المتأخرة عن تنظيم العرب بخراسان تُظهر أن أهل الكوفة كانوا وحدة مستقلة لا تزيد عن سدس العرب هناك، كما أن هذا التنظيم كان قائما على أساس الأخماس (5) المتتبع في البصرة، فضلا عن أن خراسان كانت متصلة بالبصرة أكثر من اتصالها بالكوفة .(6).

وعلى كل حال فهذا هو أول ذكر صريح لعدد المقاتلة بخراسان، وهذه هي أول مرة يشير المؤرخون فيها إلى أن المقاتلة نقلوا أسرهم وعيالاتهم إلى خراسان، ولا بد أن الجنود الذين كانوا بخراسان في النصف الثاني من القرن الأول كانوا أكثر من خمسين ألفا، فإن من قدموا مع الربيع بن زياد هم الذين يشكلون هذا العدد، أما من كانوا بخراسان من قبل فلم يضافوا إليه .

ولم تنقطع الهجرات والنجدات عن خراسان بعد ذلك، وإنما استمرت وتوالت، وكان كل عامل يتولى أمرها يستقدم معه إليها طائفة من القادة والمقاتلين مصطحبين معهم أسرهم، فلم

---

(1) الطبري تاريخ ج . 5 ص 226

(2) المصدر نفسه ج . 5 . ص 286

(3) البلاذري فتوح البلدان ص 577

(4) ابن الأثير الكامل ج . 3 . ص . 243 .

(5) كانت أخماس البصرة خمسة الخمس الأول " العالية . خ 2 . بكر بن وائل . . خ 3 . تميم . . خ 4 . عبد القيس . - خ 5 . الأزد . أنظر : عمر رضا كحالة . معجم قبائل العرب. مرجع سابق . ج . 1 . ص . 98 .

(6) صالح أحمد العلي إستيطان العرب في خراسان . مجلة "المجمع العلمي العراقي" . بغداد 1981 . ج . 32 . ص . 50

يكن الخلفاء، وأمراء العراق يتوانون في توجيه البعوث الضخمة والمدد الكبير إلى عمالهم بخراسان لتعويض خسائرهم في الجند، وخاصة حين كان أولئك العمال يكثرون من غزو ماوراء النهر، ويمنون بالهزائم، أو يعجزون عن إكمال غزواتهم .(1)

وفي سنة 61 هـ عين يزيد بن معاوية سلم بن زياد واليا على خراسان، فقدم البصرة فتجهز وسار إلى خراسان، فشخص معه خلق كثير من فرسان البصرة، ورجالاتها، وأشرافها، وكان معه منهم ألفان وقيل ستة آلاف كان سلم ينتخب وجوههم .(2) .

وفي سنة 95هـ بعث الحجاج بن يوسف الثقفي جيشا من العراق إلى خراسان فقدموا على قتيبة بن مسلم فغزا، فلما كان بالشاش (3) أو كشميهين (4) أتاه موت الحجاج في شوال فغمه،وقفل راجعا إلى مرو (5).

وفي سنة 96هـ كان بين المقاتلين بخراسان أربعون ألفا من أهل البصرة، من أهل العالية تسعة آلاف، ومن بكر سبعة آلاف، رئيسهم الحصين بن المنذر، ومن تميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبي، ومن القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان، ومن الأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله بن حوذان، وكان من المقاتلين من أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر، أو عبيد الله بن علي . (6) .

وفي سنة 112هـ استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المري فقدمها في خمسمائة رجل (7) وبعد ذلك تكبد الجيش العربي خسائر فادحة في معركة "الشعب" بسمرقند، فاستمد الجنيد هشاما فبعث إليه بعمرو بن مسلم في عشرة آلاف رجل من البصرة، وبعبد الرحمن بن نعيم في عشرة آلاف من أهل الكوفة .(8) كما كان بخراسان كتائب وألوية أخرى لم تتحرك مع الجنيد إلى سمرقند، وإنما كانت تعسكر بمواقعها مع رؤسائها في مدن خراسان الأخرى، فقد كان البختري بن أبي درهم لا يزال مقيما هو وجنوده

---

(1) حسين عطوان . **الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي** . ط 1 . بيروت . دار الجيل 1974 . ص 57

(2) الطبري . **تاريخ** . ج 5 . ص 472

(3) الشاش : كورة في بلاد ما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك . وقصبتها بكث . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج 5 . ص 214 .

(4) كشميهين : قرية من قرى مرو . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج 7 . ص 255.

(5) الطبري . **تاريخ** . ج 6 . ص 492 . ابن الأثير . **الكامل** . ج 4 . ص 131

(6) الطبري **تاريخ** ج 6 . ص 492

(7) الطبري . **تاريخ** . ج 7 . ص 67

(8) **المصدر نفسه** . ج 7 . ص 79 . ابن الأثير . **الكامل** . ج 4 . ص 208 .

بهراة، كذلك لم يحضر إلى الجنيد الجنود الذين كانوا مرابطين بالطالقان،(1) بالإضافة إلى هذه الأعداد الهائلة من الكتائب والألوية الغازية وغير الغازية هناك فرق وسرايا أخرى كان بعضها مراقبا في الثغور الهامة بخراسان وكان جنودها طلائع يراقبون العدو ويحرسون الحدود . (2) .

"وتوضح النصوص التي أوردناها الهجرات الواسعة النطاق، ولابد أنه كان بجانبها هجرات فردية أو محدودة العدد، تجري باستمرار، ولا ريب في أن عددا من هؤلاء المهاجرين كان يعود إلى العراق أو الجزيرة، كما أنه كان يسقط في ميادين القتال عدد غير قليل إلا أن المصادر لم تذكر عددهم". (3) وقد ذكر الرقم الإجمالي لعدد المقاتلين العرب في خراسان مرتين : ـ الأولى:في زمن الربيع بن زياد الحارثي عام 51هـ عندما نقل زهاء خمسين ألفا بعيالاتهم.(4) ـ والثانية : عند مقتل قتيبة بن مسلم عام 96هـ، حيث كان عددهم حوالي أربعين ألفا وإذا افترضنا أن عائلة كل مقاتل مكونة من خمسة، فإن عدد العرب يكون حوالي ربع مليون ولا ريب في أن هذا العدد لا يشمل من لم يكن مسجلا في الديوان، ممن كان عددهم قليلا ولكن دورهم كبيرا في الحياة الإقتصادية والفكرية .(5) .

أ ـ 1 ـ 2 ـ الإستيطان بعد الفتح ومظاهره .

من المعروف أن المسلمين عرفوا تمصير الأمصار وتخطيط المدن في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد تم تمصير الكوفة والبصرة في العراق والفسطاط في مصر، (6) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : "إن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء، ولذلك فقد طلب من سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يختار للعرب موضعا عدنا، وأن لا يجعل بينه وبينهم بحرا".(7)، فانشئت المدن على أنها حاميات ومعسكرات ثم تطورت إلى أن أصبحت مدنا كبيرة (8)

(1) الطبري . **تاريخ** . ج . 7 . ص . 71

(2) **المصدر نفسه** . ج 6 . ص 614 و ج 7 . ص 115 . 117 . 177

(3) صالح أحمد العلي . **إمتداد العرب في صدر الإسلام** . ط 2 . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1403هـ / 1983 م . ص 51

(4) البلاذري . **فتوح البلدان** . ص . 577 .

(5) صالح أحمد العلي . **المرجع السابق** . ص . 52 .

(6) أنظر : البلاذري . **فتوح البلدان** . ص . 298 . 387 . 483 .

(7) **المصدر نفسه** . ص . 388 . والعدن هو مكان الإقامة بقال : عدن البلد توطنه أنظر : ابن منظور . **لسان العرب** . تحقيق عبد الله الكبير . محمد أحمد حسب الله . هاشم محمد الشاذلي . القاهرة : دار المعارف . د . ت . ا . مادة "عدن"

(8) شكري فيصل . **المجتمعات الإسلامية في القرنين الأول والثاني للهجرة** . ط . 5 . بيروت : دار العلم للملايين . 1981 . ص . 100

وقد روعي التنظيم القبلي في عملية الإسكان فكانت خِطط البصرة والكوفة خططا قبلية، بحيث تسكن كل قبيلة أو مجموعة من القبائل في خطة واحدة، وعرفت البصرة بأنها ذات أخماس قبلية ـ كما تقدم ـ وكان أصحاب الأخماس في البصرة أنفسهم في خراسان .

ولابد أن نضيف إلى تلك البعوث الرسمية موجات أخرى من الهجرات الفردية أو الجماعية كانت تحدث من حين إلى آخر، إما لزيارة الأهل والأقارب والإقامة عندهم بخراسان، وإما للإشتغال في المرافق الإقتصادية المتعددة . وإن كان المؤرخون لم يختلفوا في هذه الموجات من الهجرات إلا نادرا، من ذلك ماأشاروا إليه مرة واحدة في ولاية الربيع بن زياد الحارثي على أن الجنود نقلوا أسرهم إلى خراسان وسكنوا دون النهر .(1)

على أن البعوث الرسمية لم يكن جنودها يمكثون في خراسان، فقد كان بعضهم يتركونها ويعودون إلى بلدانهم، وخاصة بعد تقلص نفوذ أمرائهم، كما كان كثيرون منهم يستشهدون في الحرب، ولذلك يصعب أن نعرف عدد من رجعوا منهم إلى أوطانهم، وعدد من استقروا استقرارا دائما، وعدد من قتلوا في المعارك. ويكون من الخطأ أن نجمع البعوث بعضها إلى بعض، ونستخرج منها عدد المقاتلين الكلي.(2)

إلا أن الحديث عن أماكن سكنى العرب واستقرارهم في خراسان يبدوا أشد صعوبة وأكثر تعقيدا، فنحن لا نعرف على وجه الدقة هل كان العرب يستوطنون بداخل المدن التي كانوا يفتحونها، أم أنهم كانوا يستقرون على مشارفها. فالأخبار عن ذلك متناقضة،إذ يدل بعضها على أنهم شاركوا أهل البلاد في سكنهم داخل مدنهم، من ذلك ما يروى من أن عبد الله بن عامر حين صالح مرزبان مرو الشاهجان كان في الصلح أن يوسع أهلها للعرب في مساكنهم .(3) ومنه أيضا أن أسد بن عبد الله القسري نقل في مطلع القرن الثاني الجنود العرب الذين كانوا بالبروقان في بلخ، فأقطع كل من كان له مسكن بالبروقان مسكنا بقدر مسكنه، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنا وأراد أن ينزلهم على الأخماس، فقيل له إنهم يتعصبون فخلط بينهم .(4)

وأيا ماكان الأمر فالذي لاشك فيه أن قسما من العرب نزل بداخل بعض المدن وأن قسما آخر منهم ولعله أكثرهم أقام بالمناطق القريبة منها، ولعل الجنود كانوا يعسكرون خارج المدن، وعلى حدودها، حيث الأرض الخالية التي تتسع لهم ولعوائلهم، ولخيولهم، وحيث

---

(1) البلاذري . **فتوح البلدان** . ص . 577 ، ابن الأثير . الكامل . ج . 3 ، ص . 243 .

(2) حسين عطوان . **الشعر العربي في خراسان في العصر الأموي** . مرجع سابق ، ص . 62 .

(3) البلاذري . **فتوح البلدان** . ص . 570.

(4) الطبري . **تاريخ** . ج . 7 ، ص . 41.

المكان الفسيح الذي يلائم أمزجتهم وطبيعة حياتهم. (1)

ولما زاد عدد الوافدين إلى خراسان عمد العرب إلى تخطيط القرى الجديدة وتعميرها بعد أن ملكوا أراض وإقطاعات نسبت إليهم وعرفت بهم، وقد حفظ الطبري لنا من أسماء بعضها، ومنها قرية لطيء يقال لها بونية وقرية سيفذنج،(وقرية فنين .. وكلها لخزاعة ...إلى غير ذلك من القرى التي سماها . (2) .

ومن الطريف أنهم نقلوا حتى أسماء بعض المواطن العربية من جزيرتهم إلى البلاد التي استوطنوها وأطلقوها على المدن، والقرى، والمحال، والدروب، والسكك والميادين .. كما أطلقوا أسماء بعض قبائلهم وأفخاذهم، وبطونهم على بعض القرى الجديدة. ويظهر أنهم فعلوا ذلك ليشعروا أنهم يعيشون في بلادهم وبين ظهراني أهليهم، ولئلا يشعرو بالبعد عن أوطانهم العربية ليتصوروا أنهم يعيشون دوما في بلدانهم، وقراهم، ومنازلهم، وبين قبائلهم، ومجتمعاتهم التي فارقوها، وليحسوا دوما أنهم مشدودون إليها .(3)

ومن تلك التسميات :الحيرة (4)، والرملة (5)، والخورنق (6)، وبار (7)، وبنانة (8) كما تشير بعض المصادر إلى نزول القبائل العربية بكثرة في نيسابور، فغلب فيها العنصر العربي، مما جعل أعلامها في عصور مختلفة تقترن نسبتهم إلى المدينة بالنسبة إلى القبيلة

---

(1) حسين عطوان . **الشعر العربي في خراسان في العصر الأموي** . مرجع سابق . ص . 64 .

(2) **المرجع نفسه** . ص . 65 .

(3) ناجي معروف . **عروبة العلماء المنسوبين إلى البلاد الأعجمية في الشرق الإسلامي** . ط . 1 . بغداد : مطبعة الشعب . 1974 . ج . 1 . ص . 81 .

(4) الحيرة : بلدة قديمة . كانت منزل ملوك بني لخم . وهم كانوا ملوك العرب في قديم الزمان . وهي عاصمة المناذرة في العراق أطلقت على محلة بنيسابور . أنظر : القزويني. **آثار البلاد وأخبار العباد** . ص . 106 . وانظر أيضا : ياقوت . **معجم البلدان** . ج . 3 . ص . 376 .

(5) الرملة : أطلقت على محلة بمدينة سرخس . وهي في الأصل من مدن فلسطين بناها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج 4 . ص . 286 .

(6) الخورنق : أطلق على محلة ببلخ . وهو في الأصل قصر كان بظهر الحيرة . أمر ببنائه النعمان بن امرئ القيس . وبناه سنمار الذي كان جزاؤه القتل . فصار مثلا: "هذا جزاء سنمار" أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج . 4 . ص 483

(7) بار : من قرى نيسابور . وهو في الأصل سوق البار . بلدة في اليمن بين صنعاء وعدن . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج 2 . ص 32

(8) بنانة : أطلقت على محلة من نواحي مرو . وأصلها قبيلة عربية تنسب إلى سعد بن لؤي بن غالب . أنظر : ياقوت **معجم البلدان** . ج . 2 . ص . 289 .

فيقال مثلا : المحدث الفقيه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحماني النيسابوري ...، وغيره كثيرون مما سوف نعرفه في الدور العلمي للخراسانيين في الباب الثاني من هذا البحث إن شاء الله .

ويذكر المؤرخون أن عددا من المدن قرب "بلخ" كان يسكنها العرب، وكانت بلخ على ما يذكر المقدسي : "مجتمع الخلائق، ومنتجع القوافل، يؤمها التجار من الهند لشراء العقاقير والكافور، والسكر، والجواري، والعبيد، ويوجد بقربها الذهب، والنحاس، والكبريت، وتجارتها رائجة، ترد إليها الأموال بمراكب من جيحون، وأهلها في خير ورفاه ذوو أخلاق جميلة وشجاعة، وآراؤهم جيدة، وعشرتهم حسنة" .(1)

ومن المراكز التي استوطنها العرب في خراسان "هراة" التي كانت مركزا إداريا تتبعه عدة مدن، وأشارت المصادر إلى الجند العربي الذي كان يسكنها في زمن ولاية الجنيد بن عبد الرحمن،(2) كذلك كان العرب يستوطنون « البروقان » وهي مدينة تبعد بفرسخين عن بلخ أكبر مدن الإقليم الشرقي، وكان الجنود يحتشدون فيها مع أمرائهم .(3)، ومنذ ولاية أسد بن عبد الله القسري الأولى أهمل العرب البروقان لأنها كانت مكشوفة وغير محصنة، وتجمعوا في بلخ، فكان منهم بها سنة 118 هـ ألفان وخمسمائة جندي من أهل الشام بجانب الأزديين، والبكريين، والتميميين . (4) .

1ـ2ـ الصراع القبلي وأثر الإدارة الأموية :

العصبية القبلية ظاهرة سائدة في تاريخ العرب في الجاهلية، فلم تكن مقتصرة على قرابة الرجل لذوي رحمه، بل هي عصبية للقبيلة كلها، وتُبنى العصبية في الغالب على رابطة الدم والنسب، وإلى ذلك يشير بن خلدون بقوله : "... وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى، وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم، أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة، من ظلم قريبه أو العداء عليه،يود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك".(5)

والعربي في الجاهلية متعلق بقومه وقبيلته لا بأمته، وهذا هو الشعور الغالب عندهم، بدليل أن ماجاء في الشعر الجاهلي ـ و هو ديوان أخبار العرب ـ مملوء بالشعر القبلي،

---

(1) المقدسي . **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** . ليدن : (د . ن) ، 1909 ، ص . 298

(2) الطبري . **تاريخ** . ج . 7 ، ص . 67 .

(3) **المصدر نفسه** . ج . 7 ، ص . 69 .

(4) المصدر نفسه . ج . 7 ، ص . 110 .

(5) ابن خلدون . المقدمة . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1982 ، ص . 225 .

فالعربي يمدح قبيلته، ويتغنى بانتصارها، فيعدد محاسنها، ويهجوا القبيلة الأخرى من أجل قبيلته، ولكن قل أن نجد شعرا يتغنى به العربي بأنه عربي يفخر به على غيره من الأمم، والسبب في هذا واضح، وهو أن العرب في الجاهلية لم يكونوا أمة بالمعنى الصحيح، فهم لم يتخذوا دينا واحدا، ولا وطنا واحدا، ولاحكومة واحدة، يخضعون لها، ويأتمرون بأمرها، فطبيعة النظام القبلي الذي عاشه العربي كان يأبى ذلك [1] وقد قال : دريد بن الصمة [2] يصور حالة العربي الجاهلي عندما يذوب في قبليته فيرشد برشدها ويغوى بِغَيِّها .

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد .

والعصبية القبلية "ألفة جامعة"[3] في بعض الأحيان، وهي تحصل بالنسب تارة أو تحصل عن طريق ما يلحق بالقبيلة من حلف وجوار، ومؤاخاة، واستلحاق، واسترقاق ، ولذلك قال ابن خلدون : "... إن العصبية إنما تكون من الإلتحام من النسب أو ما في معناه".[4] فالعصبية إذن تحصل من النسب على اعتبار أن ذلك "... نزعة طبيعية في البشر" .[5]

وعقيدة العرب الجاهلية الوثنية لم يكن لها أي سلطان لكبح هذا التطرف وهذه العصبية المفرطة بل إنها - أي العصبية - عدت قوام المجتمع العربي آنذاك، بل تتوزع القبائل العربية إلى شعوب، وقبائل، وبطون، وأفخاذ، وفصائل .[6]

---

(1) محمد أمين صالح . **العرب والإسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية** . القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ، 1984 ، ص 362

(2) دريد بن الصمة : هو دريد بن معاوية بن الحارث من بني جشم بن بكر ، من هوازن ، وهو من أبطال الجاهلية وفرسانها أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتل في وقعة "حنين" وهو شيخ طاعن في السن أعمى خرجت به هوازن معها تيمنا به أنظر : ابن قتيبة . **الشعر والشعراء** . ليدن : مطبعة بريل ، 1902 ، ص . 470 .

(3) ألفة جامعة : أورد الماوردي أن من أسباب الألفة الجامعة "الدين ، النسب ، المصاهرة ، المودة ، والبر" وعنده أن النسب من أسباب الألفة لأن تعاطف الأرحام وحمية القرابة يبعثان على التناصر والألفة ويمنعان من التخاذل والفرقة ، أنفة من استعلاء الأباعد على الأقارب ، وتوقيا من تسلط الغرباء الأجانب .أنظر : الماوردي . **أدب الدنيا والدين** . مصر : المكتبة العلامية ، (د ت) ، ص . 104 .

(4) ابن خلدون . **المقدمة** . ص 225 . ويعلق أحمد أمين على ذلك بقوله "... وردا أبت القبيلة أن تحميه لجأ إلى قبيلة أخرى ووالاها ، وحسب نفسه كأنه أحد أفرادها ، فوطنية البدوي قبيلته لا وحدة شعبية ، وهو الشعور بارتباطه بقبيلته بحسبها ونسبها ، هو المسمى بالعصبية" أنظر : أحمد أمين . **فجر الإسلام** . ط 10. بيروت : دار الكتاب العربي ، (د ت) ، ص 10

(5) **المصدر نفسه** . ص . 225

(6) مثال : الشعب كمعدنان ، والقبيلة كمضر بن عدنان ، والبطن كعبد مناف القرشية ، والفخذ كهاشم بن عبد مناف ، والفصيلة كالعباس بن هاشم أنظر : القلقشندي . **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** . القاهرة : دار الكتب المصرية ، 1922 ، ج 1 ، ص 308 ، 309

غير أنه كثيرا ما كانت هذه القبائل تتصارع وتتصادم لأتفه الأسباب، مستدبرة كل معاني الجوار، ووشائج القربى، بل تتدافع في صراع دائم مفرط في الهمجية الأولى .

ولما جاء الإسلام حدّ من تلك العصبية وكفكف من غلوائها، وأحلّ بين الأفراد رابطة جديدة تحل محل رابطة الدم والنسب، تلك هي رابطة العقيدة والإيمان. إلى جانب أنه أبدل بفكرة الغزو في سبيل الثأر فكرة الجهاد في سبيل الله، والحرب المنظمة في سبيل حماية الأمة والدفاع عنها، وتجاوز الحدود القبلية الضيقة، إلى تكوين الأمة التي هي فوق الإعتبارات القبلية، وجعل التقوى أساس التفاضل بين الناس عند الله، وفي هذا يقول الله عز وجل : "إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير "(1)، وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين فتح مكة : "... يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب" (2)، وكان يوصي في عهوده إلى التمسك بالدين بعيدا عن كل أثر من عصبية الجاهلية، وقد بعث إلى بني كعب عهدا مع وفدهم يوصي فيه عمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، فيقول له : "... وينهى إذا كان بين الناس هيج من دعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيوف". (3) وبين الإسلام أن السلطة لله وحده، وكل سلطة مشروعة فبإسمه ويجب أن تهدف إلى إقامة العدل ورعاية الأمة، فكان الإسلام دعوة جديدة وحركة شاملة لتغيير مفاهيم الحكم والسلطة في المجتمع .

ولكن دوافع من استجاب لدعوة الإسلام كانت مختلفة، فبعضهم دخل لهداه وإيمانه، وبعضهم لطمعه في الإمتيازات، وبعضهم قبلها خوفا من سلطانها، لأن الدعوات الجديدة تحتاج إلى زمن لتفهم، وذلك أن القديم لا بد أن يصارع الجديد صراعا يختلف قوة وأمدا بحسب الأوضاع،وذلك قبل أن يضعف ويتلاشى، وقد تمثل القديم في التقاليد القبلية وتمثل الجديد في الدعوة الإسلامية" .(4)

ومن أسف القول أن العرب لم يحافظوا على الوحدة الشاملة، والألفة الجامعة، والرباط الواحد، إذ سرعان ما ظهر التنافس بينهم، وعادت العصبية القبلية فيهم بكل ما فيها من منافرات ومشاحنات، وبعد أن كانت سيوفهم موجهة للجهاد في سبيل الله إرتدت إلى النزاع والفتن والحرب الأهلية، وسالت دماء المسلمين أنهارا. (5) وتجلى ذلك بصورة واضحة في

(1) سورة الحجرات ـ الآية 13 .

(2) ابن هشام ـ **سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم** ـ (د . م) . دار الفكر . 1981 . ج . 4 . ص . 32 .

(3) الطبري **تاريخ** ج 3 . ص 129

(4) عبد العزيز الدوري . **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام** . بيروت : المطبعة الكاثوليكية . 1961 . ص . 37

(5) محمد أمين صالح . **العرب والإسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية** . مرجع سابق . ص .

عصر دولة بني أمية التي آثر بعض خلفائها العرب في المناصب، وقدموهم في الحكم، وضمن كل خليفة أموي الولاء من العصبية التي ينتمي إليها. ويذهب الدكتور عبد العزيز الدوري(1) إلى القول بأن ذلك كان سببا في تطورات مهمة وتأثيرات جد خطيرة تمثلت في العصبية القبلية، بشكل يختلف عما كانت عليه قبل الإسلام نتيجة للأوضاع الجديدة.فقد اتخذ هذا الصراع شكل نزاع بين عرب الشمال وعرب الجنوب مع العلم أن المجموعات الداخلة تحت كل جهة لم تكن تنتمي كلها إلى الشمال أو الجنوب وقد ظهر هذا النزاع بشكل علني بعد معركة "مرج راهط" (2) التي كانت قمة المناورات حول الخلافة، فقد كان الضحاك بن قيس زعيم قيس ينظر جنوبا إلى ابن الزبير ويؤيده، في حين أن اليمانية ولاسيما كلب وقضاعة وغيرهم من اليمانيين بالشام تعصبوا لبني أمية لما كان بينهم من النسب والولاء، فهم أخوال يزيد بن معاوية، وقد جاءوا جميعا إلى "الجابية" 3) يقودهم حسان بن مالك الكلبي، وكانوا رغم اتفاقهم، على أن تكون الخلافة لأحد الأمويين مختلفين في اختيار الخليفة، فمنهم من يريد خالد بن يزيد وآخرون يمانعون في توليته لصغر سنه، ويفضلون عليه مروان بن الحكم ويقولون : "لا يجبيننا العرب بشيخ ونجبيهم بصبي" .(4) ثم أجمعوا على مبايعة مروان بالخلافة في ذي القعدة سنة 64هـ على أن يؤول الحكم بعد وفاته إلى خالد بن يزيد ترضية للفرع السفياني، وبعد خالد يلي الحكم عمرو بن سعيد بن العاص، وأن تكون إمارة دمشق لعمرو بن سعيد، وإمارة حمص لخالد بن يزيد. ولما تم الأمر لمروان بن الحكم خرج من الجابية في جموع اليمنية من قبائل كلب، وغسان، إلى مرج راهط حيث توافدت جموع القيسية التي انهزمت هناك (5) وقد أسفرت هذه الواقعة عن أمرين :

أولهما : إستقرار الخلافة للأمويين بصفة عامة والفرع المرواني بصفة خاصة

ثانيهما : إنبعاث روح العصبية القبلية بين عرب الشمال وعرب الجنوب .

ومن هنا إنقسم العرب في كل قطر إلى يمنية ومضرية، ومن بين هذه الأقطار خراسان التي كانت تضم مجموعات كبيرة من القبائل المضرية واليمنية، إلى جانب الموالي سكانها الأصليين، وكان سلوك الولاة من العرب الذين يتولون مقاليد الحكم في خراسان يزيد من

(1) عبد العزيز الدوري **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام** . مرجع سابق . ص 24

(2) لما بايع الناس مروان سار من الجابية إلى "مرج راهط" وبه الضحاك بن قيس وسبعة آلاف فارس فحارب مروان والضحاك عشرين ليلة . واقتتلوا اقتتالا شديدا . فقتل الضحاك وقتل ثمانون رجلا من أشراف الشام . وقتلت قيس مقتلة لم يقتل مثلها في موطن قط . وكان ذلك في المحرم من سنة 65هـ . أنظر : ابن الأثير . **الكامل** . ج . 4 . ص . 58

(3) الجابية : قرية من أعمال دمشق . أنظر : القزويني . **آثار البلاد وأخبار العباد** . ص . 175 .

(4) **الطبري** . **تاريخ** . ج . 5 . ص . 536 .

(5) **المصدر نفسه** . ج . 5 . ص . 537 .

إشعال نار هذه العصبية ويقوي خطرها في كثير من الأحيان .(1)

والواقع أن ماقام بين قبائل خراسان من خصومات ومشاجرات حينا، و انعقد بينهم من معاهدات ومخالفات في أحايين أخرى، يرجع إلى سببين أساسيين كان لكل منهما دوره في إثارة العصبية القبلية والحزبية، وفي إذكاء المنافسات السياسية .

السبب الأول : إجتماعي، وثقافي، ويعود من ناحية إلى بناء المجتمع الأموي السكاني فقد كان المجتمع الأموي في تركيبه الإجتماعي مجتمعا بدويا قبليا، لأن القبيلة كانت وحدته الرئيسية في البادية والمدينة، وفي البلاد التي فتحوها، وهو يعود من ناحية أخرى إلى ثقافة ذلك المجتمع المزدوجة فقد ساد فيه تياران ثقافيان : ـ تيار الثقافة الجاهلية القبلية الموروث، الذي ظل بعض العرب متمسكين به ويخضعون له خضوعا نسبيا متفاوتا. ـ وتيار الثقافة الإسلامية الحديث الذي تغلغل في ضمائر قسم منهم، فآمنوا به، وحثوا على اتباعه .

أما السبب الثاني : فسياسي، وهو يرد إلى موقف الخلفاء الأمويين من القبائل العربية التي غدت كما دعا القرآن، تمثل أمة متماسكة، فقد استعانوا بها على شكل وحدات قبلية أو أحزاب سياسية لا على شكل شعب واحد . وكان الخليفة أو الوالي إذا مال إلى القبائل اليمنية، أو الربعية، يقدمها ويغلبها على غيرها، ويولي أهلها أعلى الوظائف والمناصب، مما جعل كل قبيلة تحس بذاتها وتسعى للمحافظة على وجودها، ومصالحها، بتعصب ومنافسة شديدين (2)

ويروي لنا المؤرخون في ذلك أخبارا كثيرة نكتفي بذكر أمثلة منها مما حدث في خراسان لكي نرى كيف كانت عوامل الهدم والإفناء تتجمع في هذا الإقليم، لكي تهدد الصرح الأموي بالزوال والإنهيار .

من ذلك ما أورده الطبري، من أن عبد الملك بن مروان لما تمكن من القضاء على الزبيريين وعلى الخوارج بمساندة القبائل اليمنية له، وعلى رأسها المهلب بن أبي صفرة الأزدي، حاول بسط سلطانه على خراسان، فعين عليها أمية بن عبد الله الأموي، لأن القبائل هناك أهابت به أن يولي قيادتها رجلا قرشيا، لا يحسد ولا يتعصب عليه، لما قاست من سياسة عبد الله بن خازم الهاشمة، ولما نشأ عن قتل بحير بن ورقاء التميمي له من تفتك ومصادمات، وسخائم، وثارات بين عشائر بني تميم (3) ولكنه لم يلبث أن عزله عنها، ووكل إدارتها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق، فبعث إليها كارها المهلب بن أبي صفرة الأزدي فعلت

---

(1) محمد الطيب النجار . **الموالي في العصر الأموي** . ط . 1 . مصر . دار النيل للطباعة . 1949 . ص . 116

(2) حسين عطوان . **الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي** . مرجع سابق . ص . 73 . 74 .

(3) **الطبري** . **تاريخ** . ج . 6 . ص . 199 . 201 .

مكانة الأزد وحلفائها، مما آذى الحجاج القيسي النزعة. ومع ذلك فإنه ظل عاجزا عن صرف المهلب عن خراسان لأنه كان يعلم مبلغ تقدير عبد الملك له، لما أسدى إليه من خدمة لا تنكر بصده الخوارج عن العراق، وتحطيمه لهم بفارس . (1)

فلما توفي عبد الملك وخلفه ابنه الوليد وكان هواه مع قيس أطلق يد الحجاج المغلولة فكان أول ما فعله أن نحّى يزيد بن المهلب عن خراسان، وولى عليها قتيبة بن مسلم الباهلي، فقبض على المهالبة وأشخصهم إلى الحجاج فحبسهم وطالبهم بستة آلاف ألف .(2)

وتولى قتيبة بن مسلم الباهلي ولاية خراسان سنة 85هـ وهو وإن كان من القيسية إلا أن قبيلته باهلة (3) لم تكن قبيلة بذات شأن رفيع، حيث لاحول لها ولا طول أمام القبائل الذائعة الصيت الرفيعة القدر مما جعل الحجاج يستغله ويستعمله آداة طيعة في يده . وقد أصاب فلهاوزن الغرض حين قال : "إن الحجاج كان مسرورا من أن يكون قتيبة ليست له عشيرة قوية، فيدعوه ذلك إلى أن يعول على الدولة". (4)

وقد أفادت القيسية من تأمر قتيبة على خراسان، على أن ذلك لم يدفع بها إلى أن تكون ذات حمس خاص بها، بل ظلت - وهي التي تضم مجموعة من القبائل - محسوبة في خمس أهل العالية. (5) ولم تضاه في كثرتها العددية بني تميم، ولا حتى الأزد أو بكر

---

(1) عن حرب المهلب للخوارج أنظر : ابن أعثم الكوفي . **الفتوح** . حيدر آباد : دار المعارف العثمانية ، 1991 ، ج . 7 ، ص . ص . 55 ، 71 . وانظر أيضا: الذهبي . **العبر في خبر من غبر** . ط . 1 ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول . بيروت : دار الكتب العلمية ، 1985 ، ج . 1 ، ص . 53 .

(2) اليعقوبي . **تاريخ** . ج . 2 ، ص . 208

(3) أنظر : نسب باهلة في ابن حزم . **جمهرة أنساب العرب** . ص . 245 . وقد شمع كثير من الشعراء على باهلة وتبعهم في ذلك كثير من أصحاب المصنفات التاريخية والأدبية ... فعلى سبيل المثال : فقد أورد المبرد عددا من الأبيات الشعرية في التشنيع على باهلة . ومن ذلك قول الشاعر :

سل الله ذا المن من فضله ولا تسألن أبا واسله

فما سأل الله عبد له فحاب ولو كان من باهلة

وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس :

ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم هذا النسب

أنظر : المبرد . **الكامل في اللغة والأدب** . (د . م) : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د . ت) ، ج . 2 ، ص . 231 .

(4) بوليوس فلهاوزن . **تاريخ الدولة العربية** . ط . 2 ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة . القاهرة : (د . م) ، 1968 ، ص . 410 .

(5) ابن الأثير . **الكامل** . ج . 4 ، ص . 140

بـن وائل،(1) وإضافة إلى ذلك فإن قيسا لم تشهد هجرة لشعرائها الكبار إلى خراسان، ومعروف أن للشعر دورا بارزا في إذكاء التمايز القبلي وتأجيج ناره .(2) ويلاحظ في حروب قتيبة أنه اعتمد على بني تميم مستغلا الرابطة المضرية التي تجمعه بهم وهي الرابطة التي نمت فيما بعد حتى أصبح الناس ومع مطلع القرن الهجري الثاني لا يسمعون في الغالب إلا عن كتل قبلية ثلاث هي : ربيعة،واليمن، ومضر.(3)

ومهما يكن من أمر فإن قتيبة لم يحدث تغييرا أساسيا في ولاية خراسان، بل صرف همه إلى الجهاد الذي بلغ ذروته في عهده، حيث عبر النهر، واستقبله الملوك بالهدايا، وفتح بلاد عديدة، (4) حتى قيل إن عهده يمثل خيرة عهود المسلمين لما أصابوه فيه من فتح ومنعة وغنى، (5) ومما يوضح أن العصبية القبلية كانت سمة معة تغلب على كل فترة حكم وال، يعمد إليها، ويحرك بها الأوضاع من وراء ستار، كما وقع في عهد سليمان بن عبد الملك فقد ارتفعت فيه منزلة الأزد وحلفائها، وانخفضت منزلة تميم وقيس، لأنه نقم الحجاج موافقته الوليد بن عبد الملك على إبعاده عن ولاية العهد، واختياره ابنه عبد العزيز لها، فقرب يزيد بن المهلب ودفع إليه أصحاب الحجاج، وأمره أن ينكل بهم، ففكر قتيبة بن مسلم في خلع سليمان لما رأى من تدخله المباشر في شؤون خراسان (6) ولإدراكه أيضا أنه غير مستعد لقبول منهج الحكومة الإصلاحي الجديد، الذي يحد من سلطات قتيبة على إقليم خراسان . واعتبر هذه الإصلاحات موجهة ضده، وضد سياسته في إمارته التي يريد أن يخضعها الخليفة لسياسة الحكومة العامة، ولما فشلت خطته في ترضية الخليفة وفشلت خطة الخليفة في كسب قتيبة إلى جانبه وتفاقمت الأزمة الإقتصادية الخانقة من كثرة الضرائب، وجمع الأموال لصرفها على الحروب التي لم تنقطع طول فترة حكم قتيبة بن مسلم الباهلي، عمد الخليفة سليمان إلى قتل قتيبة بن مسلم مع عدد من أهله وإخوته بواسطة وكيع بن أبي سود التميمي، الذي تسلم بعد ذلك الحكم في خراسان. (7)

---

(1) حسن عطوان . **الشعر العربي في خراسان في العصر الأموي** . مرجع سابق ، ص . 72 .

(2) عبد الرحمن فريح العفنان . **القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر** ، ص . 275 .

(3) **المرجع نفسه** . ص . 276 .

(4)عن فتوح قتيبة . أنظر : الطبري . **تاريخ** . ج.6 . ص. 424 . 429. 436 . 437. 439 . 442 . وانظر أيضا : البلاذري . **فتوح البلدان** . ص.590 وما بعدها .. ابن أعثم . **الفتوح** . ص.ص. 253.217 .

(5) حسين عطوان . . **المرجع السابق** . ص . 84 .

(6) عبد الله مهدي الخطيب ، **الحكم الأموي في خراسان** . ط . 1 . بغداد : دار التربية ، 1975 ، ص . 31 .

(7) **المرجع نفسه** . ص . 37 .

وفي خلافة هشام بن عبد الملك تولى خالد بن عبد الله القسري - « اليمني » - العراق وخراسان (1) وقد استخلف خالد أخاه أسدا على ولاية خراسان ليضبطها، وكانت الحروب الأهلية قد اشتدت بها منذ خلافة مروان بن الحكم بسبب تعصبه ضد القيسية، (2) غير أن أسدا هذا تعصب ليمنيته بشكل منفر حتى إنه ضرب نصر بن سيار - شيخ مضر - ومن معه بالسياط، وخطب في يوم جمعة فقال في خطبته : "قبح الله هذه الوجوه، وجوه أهل الشقاق والنفاق، والشغب، والفساد ..." (3)، وتعاقب الولاة على خراسان بعد أن عزل هشام خالدا وأخاه أسدا عن خراسان (4) وتقلبت أهواء هؤلاء الولاة بين المضرية واليمنية .

ويمكن القول أن عهد هشام بن عبد الملك شهد بداية التفكك الحقيقي لقوة القبائل العربية، تلك القوة التي استندت عليها الدولة الأموية في قيامها فقد استهلت القبائل العربية عهده بالوقعة بين المضرية واليمنية عام 120هـ بمنطقة "البروقان" القريبة من بلخ، حين قاد عمرو بن مسلم الباهلي أخو قتيبة عصيانا ضد مسلم بن سعيد الكلابي - الذي أصبح واليا على بلاد ما وراء النهر بعد سعيد الحرشي - وعهدت مهمة القضاء على هذا العصيان لنصر بن سيار، فاجتمعت إليه مضر، بما فيهم من تميم، وأسد، بينما ساند بكر الأزد وربيعة عمرو بن مسلم، كما تقدمت تغلب لنصرته، إلا أن نصرا استطاع أن يقضي على هذا العصيان ويشتت شملهم" .(5)

على أن هذا الصراع بدا أكثر وضوحا في عهد الخليفة الوليد بن يزيد وقد نسبت إلى الوليد قصيدة في ذم اليمن، وعدم قدرة اليمانيين على الإنتصار لخالد القسري، واستغل لهو الخليفة، ونقمة اليمانية عليه، لتسير الأمور إلى وجهة قبلية أدت في النهاية إلى الإطاحة به من قبل ابن عمه يزيد بن الوليد، مستعينا في ذلك بالقبائل اليمنية، التي استعادت نفوذها في حكمه (6)، وحدث هذا كله ليرث مروان بن محمد من بعده تركة مثقلة بالنزاع القبلي، الذي بلغ أشده في خراسان، وكان ورقة رابحة في أيدي العباسيين الثائرين على الحكم الأموي .

---

(1) الطبري . تاريخ . ج . 7 ، ص . 26 .

(2) المصدر نفسه . ج . 7 ، ص . 36 .

(3) المصدر نفسه . ج . 7 ، ص . 47 .

(4) المصدر نفسه . ج . 7 ، ص . 47 .

(5) المصدر نفسه . ج . 7 ، ص . 30 .

(6) عبد الرحمن فريح العفنان . القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي . مرجع سابق ، ص . 235 .

ومن مظاهر العصبية القبلية في خراسان، وأثر الإدارة الأموية في ذلك، ما يروى من أن سعيد بن عبد العزيز الأموي، عندما استُعمل على خراسان في خلافة يزيد بن عبد الملك ضيق على الأزد، إذ سعى إليه عبيد الله بن عبد الحميد الأموي بجهم بن زحر بن قيس الجعفي، وبعدة من اليمانية وقال : "إنهم ولوا ليزيد بن المهلب، وعندهم أموال احتجنوها،(1) واختانوها،(2) وسماهم له، فأرسل إليهم فحبسهم في قهندز مرو الشاهجان فقيل له إنهم لا يؤدبون بالحبس دون البسط عليهم ، فأمر بإحضارهم ثم دفعه وجماعة من اليمانية إلى الزبير بن نشيط مولى باهلة، ليستأدبهم فعذبهم فمات جهم في الحبس، ويقال :" إن الجنيد بن عبد الرحمن المري لم يستعمل إلا مضريا بخراسان" . (3)

ويذهب اليعقوبي في اتهام نصر بن سيار إلى القول : "... بأنه كان متعصبا على اليمانية مبغضا لهم، فكان لا يستعين بأحد منهم، وعادى ربيعة لميلها إلى اليمانية وقدم المضرية .(4)

والعجب أن نجد التنافس والصراع داخل العصبية الواحدة، فكثيرا ما نرى العداء والتباغض بين أمراء القيسية، فيقوم الوالي الجديد بالتنكيل بسابقيه وإضطهادهم . ومثال ذلك : ما فعله مسلم بن سعيد والي خراسان . "لما أمره عمر بن هبيرة والي العراق سنة 105هـ بأن يأخذ سعيد الحرشي ـ والي خراسان السابق ـ ويقيده، وينفذه إليه، فقدم مسلم دار الإمارة، فرأى الباب مغلقا، فقيل للحريش قدم مسلم فأرسل إليه أقدمت أميرا، أو وزيرا، أو زائرا، فقال : مثلي لا يقدم زائرا، ولا وزيرا فأتاه الحريش فشتمه، وقيده وأمر بحبسه" . (5)

وقد أدى هذا الصراع إلى تشتيت القوة العربية في إقليم خراسان، وضياع ثمرة جهودهم في فتوحات ما وراء النهر، مما جعل الترك والصغد يجرؤون عليهم، ويغزوهم، حتى وصلوا إلى مشارف مرو. (6) و أتاحت هذه الأجواء للعناصر الثائرة على بني أمية أن تغرر بمهارة فائقة بين تلك القبائل المتنازعة، وتوسع هوة الشقاق والخلاف بينها، لكي تقيم على أنقاض هذا الخلاف قوتها الكبيرة .

---

(1) إحتجنوها : أي ملكوها دون غيرهم من الناس . أنظر : ابن منظور . لسان العرب ـ مادة "حجن" .

(2) اختانوها : من الخيانة وهي هنا تعني : نقصوا منها . أنظر : الزمخشري في تفسير قوله تعالى : "علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم" البقرة (الآية 187).

(3) الطبري . تاريخ . ج . 7 ، ص . 69 .

(4) اليعقوبي . تاريخ . ج . 2 ، ص . 263 .

(5) إبن الأثير . الكامل . ج . 5 ، ص . 43 .

(6) المصدر نفسه . ج . 4 ، ص 109 .

ومن ذلك أيضا:أنه وقع خلاف في عهد الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بين المضرية واليمانية، وكان السبب في ذلك جديعا بن علي ـ المعروف بالكرماني ـ(1)، فقد كان هو سيد من بأرض خراسان من اليمنية وكان نصر بن سيار (المضري) متعصبا على اليمانية في أول أمره ـ كما تقدم ـ وقد وقعت حرب عنيفة بين أنصار نصر وأنصار الكرماني قتل فيها عدد كبير من الفريقين، وهنا تدخل أبو مسلم الخراساني بأساليبه السياسية الماكرة لكي يصطاد في الماء العكر ـ كما يقال ـ وذلك أنه لما استيقن أن كلا الفريقين قد أثخن صاحبه، وأنه لا مدد لهم جعل يكتب الكتب إلى شيبان الحروري رأس الربعية، ثم يقول للرسول : إجعل طريقك إلى المضرية فإنهم سيعرضون لك، ويأخذون كتبك، فكانوا يأخذونها فيقرأون فيها : "إني رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم، فلا تثقن بهم، ولا تطمئن إليهم، فإني أرجو أن يريك الله ما تحب ولئن بقيت لا أدع لهم شعرا ولا ظفرا .. ويرسل رسولا آخر في طريق آخر بكتاب فيه ذكر المضرية، وإطراء اليمن بمثل ذلك، حتى صار هوى الفريقين جميعا معه ..." (2) ، وبهذا الأسلوب الذكي استطاع أبو مسلم أن يجهض أية محاولة للتقريب بين الخصوم، وضاعت صيحة الوالي الأموي نصر بن سيار سُدى وهو يحذر العرب من التخاصم والعداوة التي جعلت منهم أحزابا متحاربة في وسط يتربص بهم الدوائر حين قال : (3)

أبلغ ربيعة في مرو وإخوتهم ... فليغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم ... كأن أهل الحجى عن فعلكم غيب
وتتركون عدوا قد أحاط بكم ... ممن تأشب لا دين ولا حسب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهم ... فإن دينهم أن يقتل العرب .

ولكن على الرغم من انقسام القبائل العربية، وتناحرها في خراسان، فإن ذلك البركان ما يلبث أن يهدأ ويخبو أواره، وذلك حينما تدعو الضرورة، وتلح الحاجة إلى توحيد المواقف حفاظا على المصلحة المشتركة، والمصير الواحد، ومن أشهر المواقف التي تنم عن اعتقادهم

---

(1) جديع بن علي الكرماني : هو شيخ خراسان وفارسها في عصره ، وأحد الدهاة الرؤساء ، ولد بكرمان وإليها نسبته ، وأقام في خراسان إلى أن وليها نصر بن سيار ، فخاف شر الكرماني فسجنه ، فغضبت الأزد فأقسم لهم نصر أنه لا يناله منه سوء ، وفر جديع من السجن فاجتمع معه ثلاثة آلاف فصالحه نصر وأقام زمنا يؤلف الجموع سرا ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو فصفت له .. وقد وقعت بينه وبين نصر حربا قتل فيها ، في مكان يسمى "الرحبة" . أنظر : الزركلي . **الأعلام** ـ ط ـ 5 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1980 ، ج . 2 ، ص . 114 . وانظر أيضا : الطبري . **تاريخ** . ج . 7 ، ص . 285 .

(2) الطبري . **تاريخ** . ج . 7 ، ص . 369 .

(3) ابن عبد ربه . **العقد الفريد** . بيروت : دار الكتاب العربي ، 1402هـ/1982م . ج . 4 ، ص . 478 .

بضرورة الوحدة وأهميتها، مبادرة كافة زعماء القبائل إلى مطالبة عبد الملك بن مروان أن يتدارك الوضع المتفجر بخراسان ويرسل إليهم واليا قرشيا محايدا لا يحسدونه، ولا يتعصبون عليه (1) وذلك بعد مقتل عبد الله بن خازم التميمي . فكان رد عبد الملك أن خراسان ثغر المشرق، وكان به من الشر ماكان، وعليه هذا التميمي، وقد فسد الناس ثم أمّر أمية بن عبد الله الأموي القرشي عليها .(2) .

ومن مظاهر إحساسهم القصير بأنهم أمة واحدة، وأن مصيرهم مشترك، أن القبيلة المنافرة لقبيلة أخرى كانت تساهم في الدفاع عنها، إذا ما حدق بها الخطر الأكبر، وحوصرت من قبل العدو، وأحكم الطوق عليها، ويشهد على ذلك : أنه عندما أغار الترك على قصر الباهلي من أعمال سمرقند، وضيقوا الخناق على العرب المقيمين فيه ـ وكان أكثرهم من تميم ـ إشترك بعض الأزد وفيهم ثابت بن قطنة مع المسيب بن بشر الرياحي التميمي، في تحرير بني تميم، ورد الترك عنهم . (3)

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن الصراعات القبلية في خراسان، سواء تلك التي كانت بين الكتلتين الرئيسيتين العدنانية والقحطانية، أو تلك التي كانت داخل كل كتلة، أو التحالفات التي قامت بين القبائل لتحقيق أغراض مشتركة، كل ذلك لم يكن للإدارة الأموية فيه دور، إلا بالقدر الذي يخدم مصالحها ويحقق سياسة التوازن حينا، أو سياسة التغليب أحيانا أخرى، وهذا يتحقق بضرب العصبيات بعضها ببعض فتكسر شوكتها وتضعف من قوتها حتى تنفرد الإدارة الأموية بالسيادة والسلطان. والقول على إطلاقه بأن الدولة الأموية عمدت إلى إيجاد هذه الأجواء المشحونة بالمنافرات والتطاحن الضاري بين القبائل في خراسان ليس صحيحا لأن السياسة الأموية وجدت هذه العصبيات ولم توجدها (4) فهي عصبية تضرب بجذورها في أعماق التاريخ (5)، وعلى هذا فالإدارة نظرت إلى هذا الواقع، وأرادت أن تُفيد منه، وتوجهه لما يخدم مصالحها.ولم يحدث هذا عند جميع خلفاء بني أمية وأمرائهم

(1) الطبري . **تاريخ** . ج . 6 ، ص . 200 .

(2) **المصدر نفسه** . ج . 6 ، ص . 200 .

(3) ابن الأثير . **الكامل** . ج . 4 ، ص . 178 .

(4) محمد عبد الحميد الرفاعي. **الدور الإيراني في العصر الأموي**. القاهرة: كلية دار العلوم ، (د ، ت).ص . 54

(5) يروي التاريخ : "أن جدا قبيلتي تميم بن مرة وبكر بن وائل ، وقعت بينهما منازعة ومفاخرة عند ملك ، فقالا له : أيها الملك إعطنا سيفين نتجالد بهما بين يديك حتى تعلم أينا أجلد . فأمر الملك أن ينحت لهما سيفان من عودين . فأعطاهما إياهما فجعلا يضطربان مليا من نهار . فقال بكر بن وائل : لو كان سيفانا حديدا قطعا ، فقال تميم بن مرة : أو نحتا من جندل تصدعا . وحال الملك بينهما ، فقال تميم بن مرة لبكر بن وائل : أساجلك العداوة ما بقينا ، فقال له بكر وإن متنا نورثها البنينا ، فيقال إن عداوة بكر وتميم من أجل ذلك إلى اليوم" . ابن عبد ربه . **العقد الفريد** . ج . 2 ، ص . 318 .

، فقد حرص معاوية بن أبي سفيان في مطلع حكمه على أن يرسم سياسة متوازنة للقبائل وحرص بعض خلفاء بني أمية من بعده أن يكون تعيين رؤساء القبائل عن طريقهم أو يحصل بموافقتهم. على الأقل، وقدرأينا ما فعله الحجاج بعد ثورة بن الأشعث، كيف أنه خشي تكاتف اليمانية فنقم على آل المهلب، وأسند إمارة خراسان إلى وال من قيس هو قتيبة بن مسلم الباهلي (1).

وقد أفاد من قبل مروان بن الحكم من التحالف مع اليمنية ومع قبيلة كلب بالذات لما كان بينهما من المصاهرة والنسب مما مكنه من النصر في موقعة «مرج راهط »(2) وقد عبر مروان بن الحكم عن اعتزازه بهذا التحالف مع اليمنية فقال : (3)

لما رأيت الأمـر أمـر نهب بسرت غسـان لهم وكلبـا
لا يأخذون الملك إلا غصبا إن دنت قيس فقل لا قربا

ولكن الدولة لم تجاف القيسية، وتناصبهم العداء إلى الأبد، بل عادت إلى سياسة الموازنة عندما خمدت الفتن، واستقرت الأمور، فاتجهت إلى تأليف القلوب، فكان مروان بن الحكم متزوجا من قيسية ويمانية.(4) وكان بلاط عبد الملك بن مروان يضم زعماء القيسية، مثل زفر بن الحارث، وأبنائه، إلى جوار زعماء اليمنية كابن الكلبي، وروح بن زنباع الجذامي وقد وصف شاعر يمني هذا الوضع الجديد فقال : (5)

فلولا أمير المؤمنين لأصبحت قضاعة أرباب وقيس عبيدها

ومما يوضح سياسة التوزان التي اتبعتها الإدارة الأموية في بعض فتراتها،عندما اختار الخليفة هشام بن عبد الملك نصر بن سيار الكناني نبهه بعض رجاله إلى أن عشيرته بخراسان قليلة، فقال الخليفة : "أتريد عشيرة أكثر مني ؟ أنا عشيرته" .(6) وكان مقصد الخليفة من هذا الإختيار أن يعتمد الولاة على الحكومة المركزية أكثر من عصبياتهم .(7)

وعلى هذا فالإدارة الأموية لم تكن موجهة للصراع القبلي إلا بالقدر الذي تخدم به مصالحها، وتوفر به الأمن والإستقرار في خراسان،لكونه إقليما بعيدا عن مركز الخلافة وأهله متذمرون، ساخطون، لا يقرون على قرار، ولا تجتمع كلمتهم على وال . بل إن سياسة

(1) راجع صفحة 28 من هذا البحث
(2) راجع صفحة 26 .من هذا البحث
(3) الطبري . تاريخ . ج . 5 ، ص . 538 .
(4) محمد عبد الحميد الرفاعي . **الدور الإيراني في العصر الأموي** . مرجع سابق ، ص . 56 .
(5) الطبري . تاريخ . ج . 5 ، ص . 544 .
(6) **المصدر نفسه** . ج . 7 ، ص . 155 .
(7) محمد عبد الحميد الرفاعي . **الدور الإيراني في العصر الأموي** مرجع سابق ، ص . 57 .

الإدارة الأموية تختلف في فترة حكم خليفة واحد . بين إثارة للعصبية القبلية، وبين إخمادها، وتوجيهها عند الحاجة إليها، بالإضافة إلى أن الصراعات االقبلية في خراسان تكاد تختلف عن تلك التي نشأت في الموطن الأول لقبائل العرب، وذلك لإختلاف الدوافع التي ترتبت عليها الأحداث في الموطن الجديد، فقد التزمت ربيعة كعادتها دوما أولئك الذين عادوا العصبان من قيس ضد غريمتها مضر غير أننا لا نستطيع أن نخفي المطامع الذاتية التي قادت قيس وهي مضرية للوقوف بوجه السلطة الحاكمة من مضر إلى جانب ربيعة، كذلك وقفت الأزد إلى جانب القيسية أعدائها بالأمس نكاية بتميم الأعداء التقليديين للأزد، وهي بذلك تعيد الدور نفسه الذي لعبته في البصرة . والعجيب من أمر قيس فهي في البصرة إلى جانب تميم، وفي خراسان إلى جانب أعدائها (1) . وكيف نفسر اجتماع الأزد اليمانية إلى ربيعة العدنانية ؟ الأولى من عرب الجنوب،بينما الثانية من عرب الشمال ضد مضر العدنانية .(2)

إن هذا يدل بوضوح على وجود مصالح أخرى ساهمت في النزاع القبلي، منها المصالح الشخصية، والمطامع الإجتماعية، والإقتصادية، وهي بدورها مصالح لعبت دورا خطيرا في توجيه الصراع القبلي الذي نخر جسم الخلافة الأموية، وكان معول هدم لصرحها، وأفول نجم دولتها في المشرق الإسلامي .

أ-3- الوضع الإقتصادي والإجتماعي في خراسان

قبل الحديث عن الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية التي كانت تعيشها القبائل العربية في خراسان يمكننا أن نلقي نظرة عامة على العلاقة التي كانت تربط العرب الوافدين مع السكان الأصليين لخراسان، ويمكن تحديد هذه العلاقة منذ اللحظة الأولى التي دخل فيها الجيش الإسلامي إلى الأرض الخراسانية، ولعل المكاتبات التي دارت بين الأحنف بن قيس التميمي مع مرزبان (3) مرو تصلح لأن تكون أساسا للبحث حول هذه البداية، وما نتج عنها من أوضاع إقتصادية واجتماعية متفاوتة من فترة إلى أخرى .

فقد كتب مرزبان "مرو الروذ " إلى الأحنف بن قيس كتابا جاء فيه : " إلى أمير الجيش،إنا نحمد الله الذي بيده الدول يغير ما يشاء من الملك، ويرفع من شاء بعد الذلة، ويضع من شاء بعد الرفعة، وإنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك، ما كان من إسلام جدي،

---

(1) ناجي حسن . **القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي** . ط . 1 ، (د . م) : منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، 1980 ، ص . 201 .

(2) **المرجع نفسه** . ص . 202 ، لمزيد من المعلومات أنظر : البلاذري . **فتوح البلدان** - ص . 582 .

(3) مرزبان : وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، وهو معرب ، أنظر : ابن منظور . **لسان العرب** . مادة "مرزبان".

وما كان رأى من صاحبكم من الكرامة والمنزلة فمرحبا بكم وأبشروا وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا، على أن أؤدي إليكم خراجا ستين ألف درهم، وأن تقروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبي، حيث قتل الحية التي أكلت الناس، وقطعت السبل من الأرضين والقرى، بمافيها من الرجال ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئا من الخراج، ولا تخرج المرازبة من أهل بيتي إلى غيركم، فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك، وقد بعثت إليك أبن أخي ماهك يستوثق منك بما سألت " .(1)

ورد الأحنف بن قيس عليه بجواب جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مرو الروذ، ومن معه من الأساورة والأعاجم، سلام على من اتبع الهدى، وآمن وأتقى. أما بعد : فإن ابن أخيك " ماهك " قدم علي فنصح لك جهدك، وأبلغ عنك، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين وأنا وهم فيما عليك سواء، وقد أجبناك إلى ما سألت وعرضت، على أن تؤدي عن أكرتك (2)، وفلاحيك والأراضين ستين ألف درهم إلي وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين، إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك لما كان من قتله الحية التي أفسدت الأرض، وقطعت السبل . والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده، وأنّ عليك نصرة المسلمين، وقتال عدوهم، بمن معك من الأساورة ! إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه وأن لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك، جاء لك بذلك مني كتاب، يكون لك بعدي، ولا خراج عليه ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام، وإذا أنت أسلمت، واتبعت الرسول صلى الله عليه وسلم، كان لك من المسلمين العطاء، والمنزلة، والرزق وأنت أخوهم، ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمم المسلمين، وذمم آبائهم، وشهد على ما في هذا الكتاب جماعة من المسلمين، وكتبه كيسان مولى بني ثعلبة، وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس (نعبد الله) » (3)

فهذه الوثيقة التاريخية تبين شروط الصلح الذي تم بين الفاتحين وأهل البلد الأصليين فصاحب الأرض له ما للمسلمين و عليه ما عليهم، إذا هو دخل في الإسلام، إذ أنه يصبح أخا لهم مساويا لهم في العطاء، والمنزلة والرزق .

والواقع أن القرن الأول للهجرة لم يشهد إنخراطا تاما للعرب في الحياة الخراسانية من

---

(1) الطبري . تاريخ . ج . 4 . ص . 310 .

(2) الأكار : الحراث . وأكر الأرض أكرا أي حرثها وزرعها . والمؤاكرة هي المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الأرض أنظر : ابن منظور : لسان العرب . مادة "أكر".

(3) أنظر : الطبري . تاريخ . ج . 4 . 310 . 311 .

حيث مزاولة الأعمال الصناعية، والتجارية، والزراعية لأن كثيرا من العرب لم يكن بحاجة إلى الكسب والإرتزاق، فالدولة هي التي تحدد أعطياتهم ومرتباتهم لهم ولعيالاتهم بسبب انخراطهم في البعوث للغزو، والحرب والفتح . (1)

غير أنه مع بداية القرن الثاني للهجرة، أقبل العرب على المشاركة في النشاطات الخراسانية المختلفة وبالذات النشاط الزراعي، ويدل على ذلك كثرة القرى المنسوبة للعرب، مما يوحي بأنهم كانوا يحرثونها ويزرعونها، ويجرون المياه فيها، بالإضافة إلى أنه صار للعرب بعد عملية الإستقرار بيوتا، ومساكن في المدن، تشرف الدولة على إقامتها وترتيبها (2) . ونتج عن هذا تمازج واختلاط بين العرب وأهل خراسان الأصليين في كافة الشؤون الحياتية .

ومن المزالق التي وقع فيها بعض الباحثين (3) أن العرب أساءوا إلى أهل خراسان، بعد الفتوحات الإسلامية، وأنهم عاملوهم شر معاملة، مستندين في ذلك إلى وقائع فردية ومخالفات قام بها بعض العمال الذين تشددوا في استخراج الجزية، ومضوا يجمعونها حتى ممن أسلم منهم . كأن يقال : إن أبا الصيداء قدم إلى عمر بن عبد العزيز من خراسان شاكيا متظلما عن عشرين ألفا من الموالي (4) يغزون مع العرب بلا عطاء ولا رزق، وأن مثلهم قد أسلموا من أهل الذمة تؤخذ منهم الجزية كما استغاث به من جفاء الأمير وعصبيته (5)، وكأن يقال أيضا : إن الموالي انضموا إلى حركة الحارث بن سريج التميمي. (6).

---

(1) ويسمى هذا العمل بسياسة التجمير وهو البقاء في الثغور مدة طويلة وخاصة في فصل الشتاء ، وكان هذا مصدر تذمر كثير من المقاتلة . أنظر : الطبري . **تاريخ** . ج . 7 ، ص . 197 .

(2) عبد الرحمن فريح العفنان . **القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي** . مرجع سابق ، ص . 321 .

(3) من أمثال جرجي زيدان في "**تاريخ التمدن الإسلامي**" ، ومحمد جمال الدين سرور في كتاب "**الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية**" ، وابراهيم بيضون في كتاب "**تكون الإتجاهات السياسية في الإسلام الأول**" .

(4) يحمل لفظ الموالي عدة معان والمقصود هنا هو ولاء الحلف وقد اكتسب مفهوم الولاء معنى إصطلاحيا عند مؤرخي الإسلام فقصدوا به كل من أسلم من غير العرب فالموالي إما أن يكونوا من أهل البلدان المفتوحة انضموا بعد إسلامهم إلى العرب فصاروا موالي بالحلف والموالاة ، وإما أن يكونوا في أصلهم أسرى حرب استرقوا ثم اعتقوا . أنظر : جميل عبد الله المصري . **الموالي وموقف الدولة الأموية منهم** . ط . 1 . عمان : (د . ن) ، 1408هـ ، ص . 106 .

(5) الطبري . **تاريخ** . ج . 6 ، ص . 559 .

(6) الحارث بن سريج التميمي (ت . 128هـ/746م) : ثائر من الأبطال ، كان من سكان خراسان ، وخرج على أميرها سنة 116 فلبس السواد خالعا طاعة بني مروان (والخليفة يومئذ هشام بن عبد الملك) وداعيا إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا ، وسار إلى الفارياب ومنها إلى بلخ ، فقاتله أميرها فهزمه الحارث ودخلها واستولى على الجوزجان ، والطالقان ، ومرو الروذ ، وعظم إلى أن انهزم جيشه على أبواب مرو ، وغرق جمع كبير من أصحابه ، فانصرف إلى بلاد الترك وبعد أن استأمنه نصر بن سيار والي خراسان رجع إليها .. ولكن الفتنة بينهما قامت من جديد إلى أن قتل أمام سور مرو . أنظر : الزركلي . **الأعلام** . ج . 2 ، ص . 154.

وأهم ما يؤخذ على هذه الأقوال أنها تعمم بعض الحالات الفردية، وتتوسع في استنتاج الأحكام، بحيث تتخذ من المخالفة اليسيرة وسيلة إلى التشهير والتهويل ويحكم بها لا على فترة زمنية محددة بعينها، ولا على وال بمفرده، ولكن على جميع العهود، وكل الولاة، فالموالي كان عدد منهم ضمن جيش الحارث لكنه لا يصلح حكما عاما إذ أن عددا من الموالي أيضا كانوا موجودين في الجيش الذي يحارب الحارث، والحق أن كل الحركات قد وجد فيها أعداد من الموالي مؤيدة، ومعارضة، شأنهم في ذلك شأن العرب (1) . وفي هذا المجال هناك ملاحظتان جديرتان بالتنويه يذكرهما حسين عطوان : (2) .

الأولى : أن العرب لم يفرضوا على أهل خراسان ضرائب جديدة، كما يتصور البعض، وإنما اتبعوا النظام الذي كان مطبقا أثناء حكم الفرس لهم، فضريبة التاج التي كان ملاك الأرض يدفعونها للفرس تساوي الخراج الذي كانوا يدفعونه للعرب، وضريبة الرأس التي كانوا يؤدونها للفرس، تقابل الجزية التي كانوا يؤدونها للعرب، فكأن العرب لم يستحدثوا شيئا، ولم يكلفوا أهل خراسان أكثر مما كلفهم به الفرس، ويضاف إلى ذلك أنهم كانوا إذا فتحوا مقاطعة أو مدينة يستبقون ملكها ودهقانها عليها، ويعهدون إليه على القيام بها، وتصريف شئونها، مع تعيين عامل عربي لها وإن كان هذا الإجراء الإداري لا يمثل إصلاحا جذريا، لأن الواجب كان يقضي أن يغيروا القوانين الإقتصادية، والتقاليد الإجتماعية، وفقا لما شرعه الإسلام .

الثانية : هي أن بعض الولاة إذا كانوا قد تسلطوا على أهل خراسان، فقد كان بعض الخلفاء يستجيبون لشكواهم، ويعملون جادين لرفع الظلم عنهم، وأصدق مثال على ذلك : أن عمر بن عبد العزيز حينما تشكى إليه أبو الصيداء ـ كما سبق ذكره ـ أمر بإعفاء الموالي الذين كانوا يحاربون مع العرب من الجزية، كما خصص لهم أعطيات وأرزاقا، وأمر كذلك بوضع الجزية عمن أسلم (3)، وكتب إلى عامله يعده بإرسال الأموال إليه، إن كان خراج

---

(1) عبد الرحمن فريح العفنان . **القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي** ، مرجع سابق ، ص . 310 .

(2) حسين عطوان .**الشعر العربي في خراسان في العصر الأموي** . مرجع سابق ص .91.

(3) حاول عمر بن عبد العزيز حل مشكلات الضرائب فأسقط أولا بصورة رسمية الجزية عن رقاب المسلمين من غير العرب وفرق نهائيا بين ضريبة الجزية ، وضريبة الخراج ، التي إعتبرها ايجارا للأرض بغض النظر عن صاحب الأرض ودينه ، وجعلها الضريبة الأساسية لخزانة الدولة ، وملكا للمسلمين كافة وعلى هذا ظهرت مشكلة بكل أبعادها أمامه مما اضطرته إلى اصدار مرسومه الخاص بالأرض أكد فيه أن الأرض الخراجية ملك للأمة ووقف عليها ، وأن الخراج هو ايجار للأرض الخراجية يدفعه كل من يزرعها سواء أكان ذميا أو مسلما عربيا أو مولى ، أنظر : عبد الله مهدي الخطيب . **الحكم الأموي في خراسان** . مرجع سابق ، ص . 210 .

خراسان لا يفي بنفقاتها ومصروفاتها، وقد تكررت هذه المحاولة الإصلاحية في ولاية نصر بن سيار . (1)

ثم إن الظلم والقهر الذي سلط على الموالي من قبل بعض العمال العرب، لم يكن مسلطا عليهم وحدهم، بل كان يطال حتى العرب أنفسهم، علاوة على ما كان يلحق الأزد وبكرا من ظلم العمال القيسيين، وما كان يصيب قيسا وتميما من أذى العمال الأزديين (2) .

ولكن وغم هذا كله فإننا لانُنكر وجود قلة من العرب المتعصبين لعروبتهم ضد أهل خراسان وتعسف بعضهم في استخدام السلطة ممن كانوا يشعرون بالتفوق وخاصة في هذه الفترة وذلك لأسباب عدة، منها نجاحهم السريع الذي أكسبهم ثقة بذاتهم، واعتزازا بكيانهم، وإحساسا بأنهم قدموا للشعوب خدمات كبيرة، وأعظمها أنهم حملوا إليهم النور، والهداية، والخير . وقد رافق هذا الإعتزاز العمل على تقليد العرب أرفع الوظائف وجعلهم في مناصب القرار، وهذا مسلك على ما فيه من مخالفة لروح الإسلام ومنافاة لمبدأ العدل والمساواة بين الناس، إلا أنه يبدوا طبيعيا مع ظروف العرب السياسية والفكرية زمن الدولة الأموية. (3)

وأخطر ما سجل على العرب في ذلك أنهم لم يعملوا على تحسين نظام الضرائب، ولم يهدموا الفوارق الطبقية بين الدهاقين، وجماهير الفلاحين، والحرفيين، ويجب أن لا يحتج لهم بأنهم لم يبتدعوا ضرائب أخرى، وبأنهم لم يزيدوا قيمة الضرائب التي فرضوها على امتداد وجودهم بخراسان، ولا بأنهم لم يتدخلوا في الأحوال الإجتماعية لأهل خراسان، لأن الخطأ لا يمكن أن يسوغ بمثله بل يصحح بإلغائه، وبإيجاد نظام سليم بديل عنه، ولو أصلح العرب النظم المالية، وخففوا الضرائب على الزراع والصناع وساووا بين الطبقات، لما أسرع بعض الخراسانيين إلى الإنضمام إلى الحركات الشيعية المناهضة للدولة، ولما تكتموا على أخبارهم وتجمعاتهم وتحركاتهم، وانضموا إليهم لقتال بني أمية وإسقاط حكمهم .(4) .

ولكن مع هذا فإن مصنفات كثيرة طفحت بالتحامل على الأمويين بعامة، وولاتهم العرب بخاصة، وبالغت في الحديث عن احتقارهم للموالي من العجم، والعمل على إذلالهم، وحرمانهم من الوظائف كلها، بل ذهبت إلى القول بأن العرب رفضوا تزويج بناتهم إلى الموالي، وحرموهم العطاء جملة، وعرَّضوا بهم، ونبزوا عجميتهم ووصفوهم بأنهم عُلوج . والحقيقة أن هذه الآراء تنطوي على شعوبية مغرضة، تهدف إلى النيل من العنصر العربي،

---

(1) أنظر : الطبري . تاريخ . ج . 7 ، ص . 173 .

(2) راجع ص9 2من هذا البحث

(3) عبد العزيز الدوري. الجذور التاريخية للشعوبية. ط . 3 ، بيروت : دار الطليعة ، 1981 ، ص . 16 .

(4) حسين عطوان . الشعر العربي في خراسان في العصر الأموي . مرجع سابق ، ص . 91 .

وإلصاق التهم به، نكاية فيه، وحقدا عليه، علما بأن الوقائع التاريخية ترفض مثل هذه التهم، وتبين أن العرب الأمويين استخدموا الموالي من أهل خراسان بكثرة في الدواوين، وهي عماد الإدارة المحلية، واستخدموهم في الجباية والأمور المالية على نطاق واسع، وفتحوا المجالات العلمية أمامهم، ولكنهم لم يسلموهم الرئاسة لأسباب أمنية، أكثر منها عنصرية، مما يثبت زيف هذه التهم وعدم صحتها .

ويدل عام 112 هـ دلالة واضحة على وقوف العرب والعجم صفا واحدا في المعركة المعروفة بمعركة " الشعب "(1) التي كادت أن تعصف بالمسلمين جميعا، وقد برز في ذلك اليوم من الموالي قيادات كثيرة استماتت في الدفاع عن الإسلام .(2)

أما قضية أنفة العرب من الإصهار إلى الموالي فإنها قضية تخضع بالدرجة الأولى إلى تقاليد تواضع عليها العرب منذ عصرهم الجاهلي، فقد كان العربي من البادية يأنف من تزويج بناته إلى العربي في الحاضرة حتى ولو كان ملكا، ومن ذلك قصة النعمان بن المنذر مع كسرى ملك الفرس التي سبق ذكرها .(3)

وظلت هذه العادة تحكم العربي حتى بعد الإسلام، بل إن العرب كانوا يأنفون في بعض الأحيان من تزويج بعضهم من البعض، ومثال ذلك : حين تمت مصاهرة بين آل مسمع البكريين الربعيين، والحبطات التميميين قال الفرزدق :

آل مسمع أكفاؤهم آل دارم وتنكح في أكفائها الحبطات

فرد عليه شاعر الحبطات منافحا ومباهيا فقال :

ألم يكن عباد كفيئا لدارم بلى وأبيات بها الحجرات (4)

إلا أن هذا التشدد في المصاهرة لم يكن قاعدة عامة، فقد أصهر كثير من العرب إلى الموالي، وكان لهم أولاد من بنات العجم، برز منهم علماء أجلاء في علوم مختلفة .(5)

---

(1) معركة الشعب : لما أراد الجنيد بن عبد الرحمن المري حاكم خراسان أن يغزو بلاد طخارستان حشد جيوش الترك وتوجه إلى سمرقند ، فاضطر الجنيد أن يتصدى له ، والتقى الجمعان على أربعة فراسخ من سمرقند في موقع الشعب وجرى بينهما قتال شديد حتى تقطعت السيوف ، وقاتل العبيد بالخشب حتى مل الفريقان واستنجد الجنيد بأهل سمرقند فأشعل خاقان النار في الحشيش وحال بينهم وبين الماء وهاجمهم حتى أنهكت قواهم وتساقط قتلاهم ، ولحقت الهزيمة بالمسلمين الذين تجمعوا تحت راية الجنيد فنادى في جيشه "أي عبد قاتل فهو حر" فقاتل العبيد قتالا عجب منه الناس فسروا بما رأوا من صبرهم وصبر الناس على القتال حتى انهزم العدو ومضى الجنيد إلى سمرقند . ماجد اللحام . **معجم المعارك الحربية** . ط . 1 . بيروت : دار الفكر المعاصر ، 1990 ، ص . 194 .

(2) أنظر : الطبري . **تاريخ** . ج . 7 . ص . 71 ، 75 .

(3) راجع ص . 5 من هذا البحث .

(4) أنظر : المبرد . **الكامل** . ص . 185 .

(5) سيأتي الحديث عن هؤلاء العلماء الأعلام الخراسانيين في الباب الثاني من هذا البحث .

أما نبزهم لهم بألقاب جارحة وأوصاف مشنعة بعجميتهم فإن ذلك لم ينحصر في العجم وحدهم إذ أن العرب يتنابزون فيما بينهم في كثير من الأحيان، وعلى سبيل المثال : نقرأ أن عبد الله بن خازم الذي وصف أخا وكيع بن عميرة بأنه علج لا يساوي كفا من نوى أو كفا من تراب (1)

ولعل أحدا من الدارسين لم يحكم حكما عادلا على العلاقة التي كانت سائدة بين العرب وسكان خراسان، مثل المستشرق الألماني يولويوس فلهاوزن، فقد أصدر حكما لم يتعجل فيه، ولم يطلقه مستندا إلى بضعة من الأخبار، اختطفها اختطافا، وإنما أصدره بعد أن انصرف إلى دراسة تاريخ العرب في العصر الأموي زمنا طويلا، وعكف على المصادر والأصول حينا، فجاء حكمه لذلك دقيقا منصفا ننقله بتمامه لأهميته فهو يقول : « ... لم يكن العرب والأعاجم منفصلين في الحياة الظاهرة، وقد بقي في مدن الجيوش العربية مثل نيسابور، وأبيورد، وسرخس، ونسا، ومروالروذ، وهراة، سكانها الأصليين، أما القلاع والحصون فاحتلها الفاتحون، وأيضا لم يظل العرب متجمعين في نقطة قليلة خاصة بهم، وهم لم يكونوا يعيشون فقط في المدن التي كانوا قد اختاروها لتكون بمثابة مستعمرات حربية، بل كانت لهم أملاك وضياع، وأهل في القرى، ومنهم من كانوا يقطنون هناك خصوصا في واحة مرو الشاهجان وكان للعرب بطانة وموال من الأعاجم، كما أنهم تزوجوا نساء أعجميات، وقد تأقلم العرب في وطنهم الجديد، وكانوا يشعرون أنه لا فرق بينهم،وبين أبناء البلاد في الوطن المشترك بينهم، فكانوا يحسون أنهم خراسانيون، فكانوا يلبسون السراويل، كما يلبسها أهل خراسان، ... ويحتفلون بعيد النيروز والمهرجان، وأخذ أشراف العرب يظهرون بمظهر المرازبة، وأسلوبهم في الحياة، وكان الإشتراك في الحياة العملية مما دعا إلى التفاهم بين العرب والعجم، حتى كانت الفارسية في الكوفة والبصرة لغة يتكلمها الناس في السوق، كما يتعلمون العربية على الأقل ...

كذلك لم يقف الأعاجم من جانبهم إزاء العرب في خراسان كتلة واحدة ولاهم وقفوا من العرب موقف العداء أو النفور، ولم يكن تأثر الأعاجم بعملية المزج بين العنصرين أقل من تأثر العرب بها، وخصوصا أن الفتح لم يغير أحوال المغلوبين، و لم يزدها سوءا، وقد أفلح العرب في حماية البلاد من الخارج، أعني من غزو الترك، أحسن مما أفلح في ذلك ملوك

(1) أنظر : الطبري . **تاريخ** . ج . 6 ، ص . 177 . وانظر أيضا : البلاذري . **فتوح البلدان** . ص . 585 . وقد أورد ابن عبد ربه بابا خاصا سماه "باب المتعصبين من العرب" أنظر : **العقد الفريد** . ج . 3 ، ص . 412 .

الساسانيين، ولم يتدخل العرب كثيرا في الأمور الداخلية، بل تركوا إدارة البلاد في يد المرازبة والدهاقنة ... وأيضا ظلت السلطات المحلية السابقة في المدن العسكرية العربية وفي حواضر الدولة باقية إلى جانب السلطات العربية، وكان للسلطات المحلية جباية الخراج بنوع خاص وكانت هي المسئولة أمام الفاتحين عن دخوله بيت المال على المقدار الصحيح المتفق عليه، أما سواد الشعب البائس الذي عليه أن يدفع فلا شك أنه لم يكن في عهد الساسانيين يدفع من الخراج أقل مما كان يدفع في عهد العرب، هذا إلى أن العرب لم يتدخلوا في المسائل الدينية للأعاجم،و كان الأس في المعاهدات التي يفرض فيها دفع إتاوة أن يبقى أهل البلاد على دينهم، بل كان للأعاجم أن يبقوا على دينهم في المدن التي كان يسكنها العرب، وإن كان ربما يتحتم عليهم أن يخفوا المظاهر الخارجية للوثنية ...». (1)

1ـ4 ـ الدور الخراساني في إسقاط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس .

1ـ4 ـ 1ـ علاقة عرب خراسان بالدولة الأموية :

إن ظروف خراسان، وقبائلها العربية، وعلاقات هذه القبائل بعضها ببعض، ومع السكان الأصليين لخراسان، وبالخلافة الأموية في دمشق، لعبت دورا كبيرا في إيجاد أجواء مناسبة للتذمر والسخط على الأوضاع القائمة، ومن ثم الإنسياق وراء كل صيحة تدعو للثورة، وتعمل على إسقاط دولة بني أمية .

والواقع أن لهذا السخط والتذمر أسباب دافعة، وشروط توافرت جعلت منه تيارا جارفا يمضي في سبيله ولا يلوي على شيء وتتلخص تلك الأسباب فيما يلي :

1 ـ سياسة التجمير : وهي إبقاء المقاتلين في الثغور، وعلى خطوط النار، ومنع عودتهم إلى أهليهم في الشتاء، مما أدى إلى اختلافات حادة بين المقاتلين العرب والسلطات الأموية، وكان لذلك نتائجه السيئة على الدولة الأموية نفسها، فقد أدت إلى ضعف سلطة الوالي الأموي على خراسان، وقللت من مدى تأييد القبائل له، وقد أجبرت هذه السياسة الخلفاء في بعض الأحيان إلى التغاضي حتى عن حصتهم في الغنائم، وإلى إرسال ولاة أقوياء لإعادة سلطة الحكومة بالإضافة إلى أن الخلاف بين الوالي وبين العرب من أهل خراسان دفع العرب إلى البحث عن أماكن أخرى غير مرو الروذ، وهراة، ونيسابور، والطالقان، للإستقرار فيها بعيدا عن الإحتكاك بالوالي، ولو بصورة وقتية .

---

(1) يوليوس فلهاوزن . **تاريخ الدولة العربية** . مرجع سابق . ص . 115.

2 ـ سياسة بعض الولاة في تقسيم الغنائم، فقد كان الوالي الأموي يسلبهم حصتهم من الفيئ والغنيمة أحيانا، أو يأخذ أكثر من حقه منها أحيانا أخرى، لأن دمشق كانت تشجع أمير خراسان على إرسال أكبر مقدار ممكن من الغنائم والفيئ إلى بيت المال العام، بينما يعارض ذلك القواد، وشيوخ القبائل المقاتلة، ويصرون على الإحتفاظ بأربعة أخماس الغنيمة، وهو حقهم .

3 ـ سأم القبائل من النزاع المستمر بين الشيوخ المتنفذين والرؤساء الطموحين للوصول إلى السلطة حيث أوجد هذا بين قبائل خراسان نوعا من القلق لدى اليمنى، والربعي، والمضري، الذين وجدوا في الدعوة العباسية أملا جديدا لحياة أكثر استقرارا ويسرا .(1)

4ـ سوء الأوضاع وارتباكها في الشام، كازدياد حدة الثورات ضد حكم مروان الثاني، واشتداد مؤامرات الأمراء الأمويين ضد سلطته التي اعتبروها غير شرعية، كل ذلك فت في عضد الدولة الأموية، وفسح المجال للدعوات السرية بالعمل الفعال من أجل إسقاطها .

5 ـ شعور عدد كبير من العرب بالغبن، إذ أنهم بعد أن استقر بهم المقام في خراسان واشتغلوا بالزراعة والتجارة لم يصيروا في قانون الدولة مقاتلين، فحذفت أسماؤهم من الديوان، ولم يكن لهم عطاء، فكانوا ينظرون بعين الحسد إلى إخوانهم المقاتلين أصحاب الإمتيازات و المناصب السياسية، والوظائف العسكرية المهمة، وهم بقوا تحت رحمة الأمير الأموي، وجشع الدهقان الفارسي . (2)

ولنا أن نضرب مثلا واقعيا عن سياسة الأمويين وموقف عرب خراسان منها :

ففي ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المري سنة 112 هـ / 780 م في عهد الخليفة هشام الأموي، كانت خراسان مشغولة بحروب مع الإيرانيين في بلاد ما وراء النهر، وكان الجيش الإسلامي يتكون من المقاتلة العرب من القبائل، ووحدة من الجيش الشامي، وحوالي 1600 من الموالي الخراسانيين، وعدد من العبيد الذين يصحبون الجيش، وبمرور الزمن أخذت بعض القبائل العربية من أهل خراسان تفضل الإستقرار في المدن والقرى المحيطة بها، ولا تحبذ القتال المستمر طوال السنة، مما جعل الخليفة هشام يرسل إليه 20 ألفا من مقاتلة الكوفة والبصرة، ويخبره بأن يجند 15 ألف مقاتل في الجيش الذي سيرسله إلى ساحة القتال في الحدود الشرقية قائلا له :« .. فافرض، فلا غاية لك في الفريضة لخمسة عشر ألفا »(3)

---

(1) فاروق عمر . **بحوث في التاريخ العباسي** . ط . 1 . بيروت : دار القلم للطباعة ، 1977 ، ص . 40

(2) فاروق عمر . **طبيعة الدعوة العباسية** . ط . 1 ، بيروت : دار الإرشاد ، 1970 ، ص . 140 .

(3) الطبري . **تاريخ** . ج . 7 ، ص . 79 .

إن هذا الأمر الذي بدر من الخليفة يحتاج إلى تفسير على ضوء ما استجد على الحالة في خراسان، فعلى الرغم من وجود جيش عربي يقدر بحوالي 40 ألف مقاتل كان الخليفة يدرك تردد هؤلاء في القتال، ولذلك فإن هذا الأمر لا يمكن أن يعني تجنيد 15 ألفا من العرب الخراسانية المترددين في القتال، ومن الصعب تصور هؤلاء الـ 15 ألفا من موالي خراسان حيث لم يكن هناك على أحسن التقادير أكثر من 1600 مقاتل من الموالي، كما وأن عدد المسلمين من الفرس لم يكن يقدر بألوف كثيرة، ولذلك فإن النص الآنف الذكر لا يمكن أن يفهم منه أكثر من أمر الخليفة بتحديد عدد المقاتلة المرسلين إلى الجبهة بـ 15 ألف مقاتل، وعلينا أن نفهم النص كالآتي : « ... فافرض الخمسة عشرة ألف مقاتل فلا غاية لك في الفريضة لأكثر من ذلك » (1) وبمعنى آخر فإن الخليفة أمر واليه على خراسان بأن يسقط أسماء هؤلاء المقاتلة الذين يرفضون الجهاد من الديوان ويحرمهم من العطاء، وفي الوقت نفسه فإنه سيرسل إلى خراسان مقاتلة جدد ممن يرغبون في القتال، دون إجبار المترددين والمتقاعسين، الذين آثروا الدعة والإستقرار والإنشغال بمهن أخرى غير الجهاد، وهذا يدل بطبيعة الحال على أن العرب المسلمين قد انقسموا إلى كتلتين :

أ ـ المقاتلة ـ ب ـ المستقرين المستوطنين، وقد تصادمت مصالحهم، واختلفت طموحاتهم، مما زاد من التذمر والسخط على بني أمية، والتعجيل بإسقاط دولتهم .(2)

1ـ4ـ 2ـ تنظيم الدعوة العباسية وانطلاق الثورة .

معروف أن الدولة الأموية استمرت فترة من الزمن قوية البنيان، أثيلة الأركان، وبالرغم من وجود كثير من الحركات المعارضة لسياستها، وشرعيتها، فإنها استطاعت أن تقضي قضاء مبرما على بعض الأحزاب المناوئة لحكمها في وقت مبكر من قيام الدولة (3). كما استطاعت أيضا أن تحد من الثورات التي كانت تقوم من حين لآخر، تقلقها، وتقف حجر عثرة في طريق تقدمها، وازدهارها، كالخوارج، (4) والشيعة . (5) .

---

(1) الطبري ، **تاريخ** . ج . 7 ، ص . 79 .

(2) فاروق عمر . **طبيعة الدعوة العباسية** . مرجع سابق ، ص . 140 . 142

(3) من أمثلة هذه الأحزاب حزب الزبيريين بقيادة عبد الله بن الزبير التي قضى عليها عبد الملك بن مروان

(4) عن التعريف بحركة الخوارج أنظر : هامش ص 83

(5) الشيعة : هم الذين شايعوا عليا «رضي الله عنه» على الخصوص ، وقالوا بإمامته نصا ووصية إما جليا أو خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده ، وليست الإمامة قضية مصلحية تناط بإختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية وهو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا وعقدا ، لا في حالة التقية ، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ، ولهم في تعدية الإمامة كلام ، وخلاف كثير ، وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط وهم خمس فرق : كيسانية ـ وزيدية ـ وإمامية ـ وغلاة ـ وإسماعيلية .أنظر : الشهرستاني ، **الملل والنحل** . ط . 2 . بيروت ـ دار الكتب العلمية ، 1992 ، ص . 144 .

وبالرغم من أن الدولة الأموية استطاعت أن تتغلب عليهما في كثير من المواقع، إلا أنهما ظلا عاملين هامين في إضعاف هذه الدولة، ينخران في جسمها، ويفتتان في عضدها حتى سقوطها.

والواقع أن الخلفاء الأمويين المتأخرين انتهجوا سياسة هزيلة مكنت لمناوئيهم من النقمة عليهم، ثم الخروج وإعلان الثورة . ولعل أبرز تلك العناصر الثائرة، حزب الخوارج وحزب الشيعة، والذي يعنينا في هذا التقديم هم الشيعة .

كان التشيع بمعنى حب آل البيت مجرد ظاهرة اجتماعية لم تلبث أن تحولت إلى عقيدة بعد مقتل الحسين بن علي في كربلاء - في المحرم من عام 61 هـ -، وانتشر هذا التشيع بخاصة بين العناصر الإيرانية التي رأت في نسل الحسين من زوجته ابنة كسرى فرعا اختلط فيه أشرف دم عربي بأشرف دم أعجمي . وتبلورت حول هذا الشعور فكرة الإمامية، وغيرها من أفكار الفرق الشيعية الأخرى . التي وجدت لها مؤيدين وأنصارا، خاصة بين عناصر الموالي . وتتفق الفرق الشيعية جميعا على ضرورة انتزاع الخلافة من المغتصبين، وذلك لإيمانهم المطلق بأحقية آل البيت من أبناء علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهما في تولي الخلافة .

وبمقتل الحسين رضي الله عنه، ثارت ثائرة الشيعة من آل البيت، تريد الإنتقام له، ولما فشلت حركة " التوابين " (1) في العراق في الأخذ بثأر الحسين، استغل المختار بن أبي عبيد الثقفي (2) هذا الفشل. وأخذ يدعو لإمامة محمد بن الحنفية (3)، وكانت هذه الدعوة تحمل في طياتها كثيرا من الأغاليط، والأباطيل، والمآرب الشخصية،(4) مما جعل كثيرا من العرب والموالي يتخلون عنه في أحرج الأوقات، لتفشل حركته بعد ذلك .

هذا في الوقت الذي كان فيه عبد الله بن الزبير يدعو إلى نفسه بالخلافة، ودخل في طاعته أهل الحجاز والعراق، غير أنه لم يستطع إقناع محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس بمبايعته .(5) وعلى الرغم من أن الشيعة في العراق كانوا لا يرون في محمد بن الحنفية

---

(1) كان لمقتل الحسين بن علي في أرض كربلاء أثر بعيد في إذكاء نار التشيع في نفوس أتباعه وتوحيد صفوفهم . وكانوا قبل ذلك متفرقي الكلمة مشتتي الأهواء ... ولما قتل الحسين إمتزج التشيع بدمائهم وفي أعماق قلوبهم . بعدما كان رأيا سياسيا ليس إلا . فقاموا بعدة ثورات ليكفروا عن ذنبهم ويتوبوا من عدم نصرتهم للحسين يوم كربلاء فسموا "التوابين" أنظر : حسن ابراهيم حسن . **تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والإجتماعي** . ط . 7 ، مصر : مكتبة النهضة المصرية ، 1964 ، ج . 1 ، ص . 324 . وانظر أيضا : ابن الطقطقي . **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية** . بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، 1966 ، ص . 120 .

(2) المختار بن أبي عبيد الثقفي : عنه أنظر : الطبري . **تاريخ** . ج . 6 ، ص . 38 ، الذهبي . العبر . ج . 1 ، ص . 54 .

(3) هو محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ، من غير فاطمة رضي الله عنها .

(4) المقدسي . كتاب البدء والتاريخ . باريس : (د . م) . 1916 ، ج . 6 ، ص . 20 ، 22 ، فاروق عمر . **طبيعة الدعوة العباسية** . مرجع سابق . ص . 108 .

(5) اليعقوبي . **تاريخ** . ج . 2 ، ص . 178

صاحب حق في الخلافة وأن هذا الحق محصور فقط في أبناء علي من السيدة فاطمة إلا أنهم وقفوا يساندون المختار بن أبي عبيد الثقفي، في محاربته عبيد الله بن زياد للأخذ بثأر الحسين.

وقد كان انتصار المختار ومقتل عبيد الله بن زياد في موقعة « عين الوردة » (1) سببا في ازدياد أتباع المختار، غير أن الدعوة بإمامة محمد بن الحنفية ما لبثت أن تلاشت بمقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي، ثم بسبب موت محمد بن الحنفية نفسه، وقد قال فريق ممن آمنوا بوفاة محمد بن الحنفية، والذين كانوا يسمون بـ «المختارية»، بأن حق الإمامة قد انتقل إلى ابنه أبي هاشم عبيد الله بن محمد بن الحنفية (2)، ولم يلبث أبو هاشم حتى فشا سره، وذاع أمره بين الناس، مما جعل سليمان بن عبد الملك لما علم بأمره أن يرسل إليه من سمه، وتشير بعض المصادر إلى أن أبا هاشم لما أحس بذلك توجه إلى محمد بن علي بن عباس بالحميمة (3) وأخبره بأمره، وعرفه على شيعته، و تنازل له عن الدعوة (4)، وكان ذلك سببا في تحول الدعوة، حيث انتقلت من بيت علي بن أبي طالب إلى بيت العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) معركة عين الوردة (65هـ/685م) : فيها خرج أهل الكوفة وعلى رأسهم سليمان بن صرد ليأخذوا بثأر الحسين بن علي بعد أن شعروا بالإثم لتخليهم عنه في كربلاء. واتجهوا إلى بلاد الشام حيث يوجد عبيد الله بن زياد يدعم مروان بن الحكم ... ودعا الشاميون أصحاب سليمان للدخول في طاعة مروان بن الحكم بينما طالب الكوفيون بتسليمهم عبيد الله بن زياد ليقتلوه عن الحسين ، ولم يستجب أحد لطلب الآخر ، واقتتلوا إقتتالا شديدا لم ير الشيب والمرد مثله قط ... وأخيرا أحاط أهل الشام بأهل العراق من كل جانب بينما أبلى أصحاب سليمان في القتال وسقط من الطرفين خلق كثير ، وعندما دخل الظلام رجع كل جيش إلى معسكره . وعند الصباح وجد الشاميون أهل العراق قد رجعوا إلى بلادهم وكان أهل العراق يسمون جيشهم جيش "التوابين" وقتل سليمان في هذه المعركة . أنظر : ماجد اللحام . **معجم المعارك الحربية** . مرجع سابق . ص . 220 .

(2) الكتبي . **فوات الوفيات والذيل عليها** . تحقيق إحسان عباس . بيروت : دار الثقافة ، (د ، ت) ، ج . 4 ، ص 123 .

(3) الحميمة : بلفظ تصغير الحمة وهي بلد من أرض السراة من أعمال عمان في أطراف الشام . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج . 3 ، ص . 346 .

(4) قصة التنازل حامت حولها كثير من الشكوك والأوهام والمتتبع لسير الأحداث يرى أن قصة التنازل لم تعلن في حينها حتى يكون لها صدى في قلوب العلويين ويقتنعوا بأن حقهم في الإمامة قد تحول إلى بني عمومتهم العباسيين برضا منهم على الأقل ، أو برضى زعيمهم أبي هاشم بل إننا لم نسمع عن هذه القصة إلا بعد قيام الدولة العباسية وقد أشار صاحب "أخبار الدولة الإسلامية" في أكثر من موضع [أنظر : مثلا : ص ، 165 ، 173 ، 186 ، 189 ...] إلى أن أبا هاشم قد تنازل عن حقه في الإمامة إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عند ما حضرته الوفاة ، والواضح أن المؤلف المجهول كان ذا ميول عباسية مما يجعلنا لا نجزم بصحة وقوع الوصية .

إذ ما معنى لو كانت الوصية صحيحة مطالبة العلويين بعد ذلك بالخلافة والوقوف في وجه بني عمومتهم العباسيين بالإضافة إلى أن هناك نقاط ضعف في وصية أبي هاشم كما نقلتها الروايات منها :

1 ـ أن جميع الروايات التي نقلت عن محمد بن علي العباسي نصت على أن تنازل أبي هاشم له كان على شكل وصية شفهية في حين أن هناك روايات عباسية أخرى مهمة مصدرها أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب =

ومهما يكن من أمر فإن الدعوة تحولت من الفرع العلوي (1)، إلى الفرع العباسي (2)، وآلت الإمامة إلى بني العباس في مرحلة عظيمة قُدر لهم فيها أن يقودوا الكفاح حتى النصر (3).

وتفاديا للأخطاء السابقة التي وقع فيها الثائرون على بني أمية من قبل، والتي أفضت بهم في كثير من الأحيان إلى انكشاف أمرهم، وإجهاض ثوراتهم، إنطلق العباسيون وفق استراتيجية جديدة للدعوة السرية تقضي بأن أئمتهم مستورين في الحميمة، بعيدا عن ميدان الدعوة، وبذل قصارى جهدهم لصرف نظر الأمويين، ورجالهم عن مركزهم الرئيس .

وبالرغم من أن تاريخ العراق بالذات في العصر الأموي كان يرشحه لقيادة الدعوة التي تكتسح في يوم من الأيام الحكم الأموي، إلا أن قربه من الشام، وكثرة الثورات الفاشلة،

= تنص على أن التنازل جرى على شكل وثيقة مكتوبة وكل رواية لا تشير إلى الأخرى مما يجعل أمر التصديق بها موضع شك ونظر

2 ـ إن جميع ما نقلته الروايات من نصوص الوصية هي عبارة عن تنبؤات وكشوف للمستقبل والتنبؤات في أغلبها تخدم السياسة العباسية ، وأهم ما اشتملت عليه تلك التنبؤات المزعومة هو إقناع العلويين بأن مجيء العباسيين إلى الحكم ليس انتصارا للبيت العباسي فحسب بل هو انتصار للبيت العلوي أيضا وأنه يعد انتقاما لآل الرسول صلى الله عليه وسلم من الغاصبين ، واقناع العلويين بأن الخروج على بني العباس مخالفة لرغبة علي رضي الله عنه نفسه . أنظر : عماد عبد السلام رؤوف . دعوة أبي هاشم وحزبه ـ دراسة في فجر الدعوة الإسلامية . مجلة "الأستاذ" ، بغداد : كلية التربية ، 78 ـ 1979 ، ع . 2 ، ص . 478 .

(1) نسب الإمام أبي هاشم عبد الله .

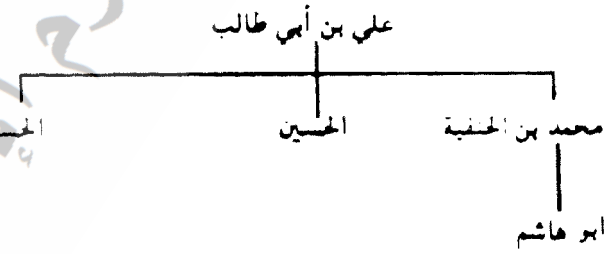

(2) نسب محمد بن علي العباس : العباس (عم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم)

(3) أحمد إبراهيم الشريف ، حسن أحمد محمود . **العالم الإسلامي في العصر العباسي** . ط . 1 ، مصر : دار الفكر العربي . 1966 . ص . 9

حرمه من أن يكون مهد الدعوة (1) مما جعل الأئمة العباسيين ينقلونها إلى إقليم خراسان .

ولقد كان اختيار محمد العباسي لخراسان موفقا، ويظهر ذلك من إدراكه لحالة الأقاليم الإسلامية الأخرى ، فهو يقول في وصيته لأتباعه حين اختلف الرأي حول المكان المناسب للدعوة :" ... أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف، وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كأعلاج، ومسلمون في أخلاق النصارى، وأما الشام فلا يعرفون إلا آل أبي سفيان عليهما أبو بكر وعمر ... ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير، والجلد الظاهر، وصدورا سليمة، وقلوبا فارغة، لم تتقسمها الأهواء، ولم تتوزعها النحل .. وبعد فكأني أتفاءل إلى المشرق، وإلى مطلع سراج الدنيا، ومصباح هذا الخلق .. " (2) ويبدوا أن هذه العوامل التي دعت الإمام إلى اختيار خراسان أصبحت قديمة في مغزاها التاريخي، ولا تقف أمام النقد العلمي الصحيح، لأنه ليس من السهل التعرف على الدوافع الحقيقية التي دفعت الإمام إلى اختيار خراسان .

ولكن يمكن القول بأن خراسان كانت موطن المقاتلة المسلمين من العرب الذين مرّستهم الحرب الطويلة في بلاد ماوراء النهر والسند، والذين عبروا مرارا عن تذمرهم من السياسية الأموية المالية والعسكرية، والمعلوم أن الخلفاء الأمويين منذ زمن عبد الملك بن مروان (65هـ - 86هـ) أدركوا القلق وعدم الإستقرار السائد هناك (3) وفي هذا يقول صاحب "أخبار الدولة العباسية" : " ... في خراسان جمجمة العرب وفرسانها". (4)

وقد نظم الدعاة الأوائل الدعوة العباسية تنظيما سريا محكما، فقسم الأتباع إلى نقباء يرأسهم شيخ النقباء سليمان بن كثير الخزاعي، وكان ذلك سنة 118هـ (5) ، وأكد على وجوب الشعار العام وهو الدعوة للرضا من آل البيت، والتنديد بظلم الأمويين، والثأر للمظلومين من آل البيت .

والحقيقة أن هذا الشعار فيه كثير من الغموض والتمويه على الأتباع الذين لا يعلمون عن شخص الإمام شيئا، مستغلين في ذلك بني عمومتهم من العلويين على أساس أن هذه الدعوة الجديدة هي الدعوة إلى وصل ما انقطع من ملك الهاشميين، وفي هذا يقول داود بن علي في

---

1) مصطفى شاكر . **دولة بني العباس** . ط.1 ، الكويت : وكالة المطبوعات ، 1973، ص . 95.

(2) مؤلف مجهول . **أخبار الدولة العباسية** . تحقيق عبدالعزيز الدوري، وعبد الجبار المطلبي ، بيروت : دار صادر ، 1971، ص 207.

(3) فاروق . **الخلافة العباسية**. ط.1، دبي : دار القلم للنشر والتوزيع ، 1984، ص.14.

(4) **أخبار الدولة العباسية** ص 104

(5) لم يكن اختيار سليمان بن كثير الخزاعي أمرا اعتباطيا بل لقد أدرك بنوا العباس أهمية الدور الذي كان يمكن أن تقوم به القبائل العربية في خراسان لنجاح الدعوة ، ومن هنا اختاروا سليمان بن كثير لكونه زعيما كبيرا في الأراضي الخراسانية نافذ القول في قبيلته.

خطبة خطبها بعد ظهور أبي العباس ومبايعته بالكوفة :" ... إنه والله ما خرجنا في هذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانا، ولا نحفر نهرا، ولا نبني قصرا، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا .. أيها الناس ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين هذا - وأشار بيده إلى أبي العباس السفاح - ثم قال :".. اعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم" . (1)

وكانت هذه المداراة تهدف إلى كسب ود العلويين، وطمعا في مساندتهم، فإنهم كانوا يخشون إذا صرحوا بطلبهم للخلافة أن يستاء العلويون منهم، ويسخطوا عليهم، ويندوا بهم، وينقطعوا عنهم، وأن ينفر شيعتهم من الولاء لهم، فيدب الشقاق بين أهل البيت، ويضعف أمرهم، وتفشل دعوتهم .(2)

ومما يدل أيضا على أن العباسيين كانوا يغشون العلويين برفع شعار الرضا من أهل البيت ماكان يوعز به العباسيون إلى أتباعهم من أن لا يكثروا من التفافهم حول العلويين، حتى لا يذوبوا فيهم، ويتأثروا بهم، ويذكر مصنف "أخبار الدولة العباسية":" أن عيسى بن حمزة الهمذاني ابن أخت بكير بن ماهان قال : سمعت بكيرا يقول : قلت : لمحمد بن علي لما أتاني عن شخوصي إليك نعي أخي من السند وترك مالا كثيرا أنا وارثه، فإن أذنت في الخروج في طلبه خرجت ووافيتك عند أوان حاجاتك إلي، قال : قد أذنت لك فامض على بركة الله اوجهك، ولا تظهرن جدا، ولتكن دعوتكم وما تلقى به العامة أن تدعوهم إلى الرضا من آل محمد، وتذكر جور بني أمية، وإن آل محمد أولى بالأمر منهم، فإذا بلغك أن الأحول من بني أمية قد ملك فعجل بالإقبال إلي ولا تعرج على شيء، وأبلغ أصحابك ما ألقيت إليك، ومرهم بالكف إلا في مثل ما ألقيت حتى يأتيهم رأيي، وحذر شيعتك التحرك في شيء مما يتحرك فيه بنو عمنا من آل أبي طالب، فإن خارجهم مقتول، وقائمهم مخذول، وليس لهم في الأمر نصيب، وسندرك بثأرهم، وسنبكي بسعيهم، ثم لا يكون ضرر ذلك إلا عليهم".(3)

أما النقباء فهم إثنا عشر نقيبا: (4)

---

(1) مؤلف مجهول . **العيون والحدائق في أخبار الحقائق** . بغداد: مكتبة المثنى، [د.ت] . ج . 3 . ص. 201، الطبري . **تاريخ** . ج . 7 ، ص . 426 . ابن الأثير . **الكامل** . ج 4 . ص. 326.

(2) حسين عطوان . **الدعوة العباسية - مبادئ وأساليب - بيروت : دار الجيل [د.ت]** . ص. 98.

(3) **أخبار الدولة العباسية** . ص 200.

(4) **المصدر نفسه** . ص . 216 .

ـ من خزاعة : سليمان بن كثير الخزاعي، مالك بن الهيثم، زياد بن صالح الخزاعي، طلحة بن رزيق الخزاعي .

ـ من تميم : موسى بن كعب التميمي، عيسى بن كعب التميمي، لاهز بن قريظة التميمي، القاسم بن مجاشع التميمي .

ـ من طيء : قحطبة بن شبيب الطائي .

ـ من شيبان : خالد بن ابراهيم الذهلي الشيباني .

ـ من بجيلة : سالم بن سلام البجلي .

ـ من حنيفة : مولى بني حنيفة شبل بن طهمان .

ونلاحظ أن الأكثرية الساحقة منهم كانوا عربا، وكان هناك نظراء النقباء (1)، و70 داعية (2) ، ويشير مصنف "أخبار الدولة العباسية" إلى وجود دعاة الدعاة (3) ، وربما كان هؤلاء مسؤولين عن تنظيم الدعوة خارج منطقة مرو وفي الأقاليم الأخرى .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الأسماء العربية لها ألقاب فارسية، نسبة إلى المدن التي عاشت فيها مثل : جديع بن علي الأزدي (الكرماني)، والفضل بن سليمان التميمي (الطوسي)، وخازم بن خزيمة التميمي (المروزي). وقد ظن بعض المؤرخين أن هؤلاء وغيرهم كانوا من الموالي، وأكثر من ذلك، فقد فسر بعض المستشرقين وتبعهم مؤرخون مسلمون في ذلك أن إصطلاح (أهل خراسان) يعني السكان المحليين من الإيرانيين، ولكن المؤرخين الرواد من المسلمين كالطبري، والبلاذري، أطلقوا عادة إصطلاح (أهل البصرة)، و(أهل الكوفة)، و(أهل الشام)، لتدل على القبائل العربية التي سكنت هذه المدن بعد تمصيرها . (4)

وقد كانت الكوفة هي نقطة الإرتباط بين مرو (خراسان)، والحميمة مقر الإمام. ترأس الدعوة فيها بين سنة 98ـ100هـ ثلاثة رجال مشهورين الواحد بعد الآخر هم :

1ـ ميسرة العبدي، 2ـ بكير بن ماهان، 3ـ أبو سلمة الخلال .

وكان كبير الدعاة في الكوفة مسؤولا عن نشر الدعوة، والإشراف عليها بخراسان، فكان يرسل إليها وفود الدعاة، وكان يكتب إلى محمد بن علي بأنباء الدعوة، ويعلمه بأحوالها وكان يلقاه في موسم الحج، ويزوره بالحميمة إذا طرأ طارئ أوجد جديد، واحتاج أن يعرف رأيه فيه، حتى يأخذ به وينفذه، وكان الدعاة من أهل خراسان يمرون بالكوفة ويعرجون على كبير الدعاة، فيطلعونه على مابلغوا في بث الدعوة، ويشرحون له ظروفها، ثم يمضون إلى

(1) النقيب أعلى مرتبة من الداعية ، غير أن الدكتور ابراهيم الشريف ، والدكتور حسن محمود خالفا في ذلك ، واعتبرا الدعاة أعلى شأنا من النقباء . انظر : العالم الإسلامي في العصر العباسي . مرجع سابق . ص. 14.

(2) لمعرفة أسمائهم أنظر : أخبار الدولة العباسية . ص . 219.

(3) المصدر نفسه . ص . 221.

(4) فاروق عمر . بحوث في التاريخ العباسي . مرجع سابق . ص 43

الحجاز، ليلتقوا هناك بمحمد بن علي الإمام فيدفعون إليه ما جمعوا من أموال . (1)

وظلت الدعوة العباسية تأخذ مجراها الهادئ في سرية وكتمان تامين، وقد كان النقباء من أمثال سليمان بن كثير الخزاعي، ولا هز بن قريظة التميمي ... يسيرون بأمر الدعوة متنقلين من بلد إلى بلد ينشرونها بين الناس بقدرة بارعة في الدبلوماسية والدهاء، ومداراة الأحوال، واجتذاب الأنصار، ومنطق في المخاطبة فيه أدب وبلاغة، وحسن حديث، ومراعاة لمقتضى الحال، وفي بعض الأحيان لبست الدعوة لبوسا ثقافيا فقد برز كثير من الدعاة في العلوم الإسلامية وتعمقوا فيها من حديث وفقه ولغة، .. وتولوا التعليم مثل أبي عكرمة السراج (2) ، وظل هذا الجهد طيلة 22 سنة حافلة بالنضال. (3)

وبعد وفاة محمد بن علي العباسي سنة125 هـ (4) تسلم ابنه ابراهيم الدعوة من بعده، وبدأ وجه جديد فعال للدعوة، استطاع أن يوثق العلاقة بين الدعاة، ويجتذب وجوها نشطة في صفوف الدعوة، وكان من بينها أبو مسلم الخراساني (5)، الذي حرص العباسيون على إعداده إعدادا يؤهله للمهمة الصعبة التي سوف تسند إليه .

---

(1) كان أتباع الدعوة يدفعون الخمس إلى الإمام ليقوم بواجبه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكان بعض النقباء ينتهزون فرصة الحج ليلتقوا بالإمام، ويسلموه الخمس والهدايا ، ويتشاورون معه في أمر الدعوة . فاروق عمر . **طبيعة الدعوة العباسية**. مرجع سابق ، ص . 160 .

(2) أبو عكرمة السراج : من الذين روو الحديث الشريف عن عبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنه) وعرف بتبحره في الفقه والحديث، فيقول عن نفسه :"طلبت العلم أربعين سنة" ، وكان قد طاف البلاد متنقلا بين اليمن والشام وإفريقية وخراسان ينشر علم ابن عباس، وفي مرحلة سرية الدعوة العباسية أو كل محمد بن علي أمر الدعوة إلى أبي عكرمة لثقته بموالاته له، دون التعريف بشخصية صاحب الدعوة، فكان ذلك من أهم مقومات نجاح الدعوة ، الطبري . **تاريخ** .ج.6. ص.562، المقدسي . **البدء والتاريخ** . ج6 ، ص.59 ، الذهبي : **العبر** . ج1، ص. 100 .

(3) الشريف ، حسن محمود . **العالم الإسلامي في العصر العباسي** . مرجع سابق ، ص .9.

(4) الطبري. **تاريخ** . ج.9 ، ص.227.

(5) أبو مسلم الخراساني: هو عبد الرحمن بن مسلم ... قيل إنه من قرية يقال لها ماخوان ، على ثلاثة فراسخ من مرو .. وصفه الدائيني بقوله : "كان قصيرا، أسمر، جميلا .. فصيحا بالعربية والفارسية .. حلو المنطق، راوية للشعر، عالما بالأمور . وقد كان أبو العباس السفاح كثير التعظيم لأبي مسلم لما ظهر عليه من قوة العزيمة، وحسن التدبير ، وكان أبو مسلم عند ذلك ينشد في كل وقت :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدي في دمارهم ... والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتهبوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد.

ولما مات السفاح سنة 136هـ وتولى الخلافة من بعده أبو جعفر المنصور صدرت من أبي مسلم أسباب وقضايا غيرت قلب المنصور عليه، فعزم على قتله ... وبعد أخذ ورد بينهما تمكن المنصور من قتله يوم الخميس لسبع خلون من شعبان سنة 137هـ.انظر: ابن خلكان . وفيات الأعيان وأنباء الزمان. ط.1. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1367هـ ، ج .2 ، ص .324. للمزيد أنظر أيضا : ابن الأثير . **الكامل** . ج .4 ، ص . 252 . الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد. بيروت : دار الكتاب العربي ، [د.ت] ، ج . 10 ، ص .207 ، ابن حجر . لسان الميزان . ط .2 ، بيروت : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1971 ، ج . 3 ، ص . 436 ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب في أخبار من ذهب . تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة، [د.ت] ، ج. 1 ، ص.205.

وقد تعرف أبو مسلم للمرة الأولى على التنظيم السري للعباسيين حينما التقى ببعض الدعاة العباسيين الذين كانوا في زيارة لبعض العجليين في سجن الكوفة، وكان أبو مسلم يخدم هؤلاء السجناء السياسيين فرأى فيه الدعاة العباسيون كفاء وذكاء فكسبوه إلى دعوتهم، واصطحبوه إلى ابراهيم بن محمد العباسي فجعله مولاه، وقرّبه إليه، ورفع من قدره . (1)

ونظرا إلى أن أبا مسلم على معرفة بخراسان وأحوالها، فقد زارها مرات عديدة بأمر من الإمام الذي كلفه بالخروج إليها ممثلا للدعوة هناك(2).

وكتب معه إلى شيعته كتابا جاء فيه :" .. أما بعد فقد وجهت إليكم مجد الدهر عبد الرحمن بن مسلم مولاي، فألقوا إليه أزمة أموركم، وحملوه أعباء الورد لها والصدر في محاربة عدوكم، وعاهدوا الله على الطاعة وكونوا بحبله معتصمين" .(3)

وقد وجه الإمام إبراهيم لأبي مسلم نصائح قبل خروجه إلى خراسان سنة 128هـ إذا تأملناها وجدناها مخططا كاملا لبث الدعوة وسيرها حيث قال له :" .. ياعبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت إحفظ وصيتي، وانظر هذا الحي من اليمن فالزمهم، وحل بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم (4) ... وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم، وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار .. واقتل من شككت في أمره، وإن

---

(1) هناك رواية فيها كثير من المبالغة في التميز بشخص أبي مسلم تقول : "قدم أبو سلمة على ابراهيم ومعه ألطاف وهدايا إليه من خراسان ، فرأى أبا مسلم ، فقال له ابراهيم ، من هذا الغلام ؟ قال : هذا غلام كنت إبتعته وحسنت نيته في الدعوة ، فأعتقته فقال إبراهيم : استوصوا به خيرا ، فإنه مخيل للخير، قال أبو سلمة : إن الذي دعاني إليه أن أحا لنا من الشيعة أخبرني أن هذا الذي ترى قال لي: وهو يومئذ غلام حدث أني رأيت في النوم كأن الناس جمعوا لي في صحراء ، وأتى بمنبر فصعدته، وجعلت آمر فيهم وأنهى ، وأخبرني هو أنه رأى كأن بني أمية جمعوا له فذبحوا في طست فشربت من دمائهم حتى روي ، وسقى من كان معه ما فضل من دمائهم .انظر : **أخبار الدولة العباسية** . ص . 266 ، 267 .

(2) يرى السيوطي في : **تاريخ الخلفاء** ، ص . 257 "أن أول من بعث أبا مسلم هو أبوه - أي محمد بن علي" . وهذامخالف للإجماع.

(3) **أخبار الدولة العباسية** . ص . 269 .

(4) الرسالة تبرز أن أهل اليمن كانوا موضع ثقة العباس، ومحل اطمئنانهم، وهي تختلف في بعض المصادر، ولم يرد فيها إشارة إلى قتل العرب بل هي وصية للنزول عند اليمانيين ، وتألف ربيعة ، وتوق مضر، وفي ذلك ورد قول أبي مسلم أمرني الإمام أن أنزل في أهل اليمن، وأتألف ربيعة، ولا أدع نصيبي من صالح مضر" أنظر: أخبار الدولة العباسية. ص 385

استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل (1)، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ (سليمان بن كثير الخزاعي) ولا تعصه، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني". (2)

والواقع أن هذه الوصية التي أوردها الطبري دون سند أو سلسلة رواة، أصبحت موضع شك وتردد كثير من المؤرخين في قبولها، ومنهم الدكتور فاروق عمر الذي يقول معترضا على صحة الوصية: "نحن كمؤرخين محدثين لا يمكن قبول مثل هذه الوصية دون تدقيق، وتثبيت، لأن المؤرخين الرواد أنفسهم غير متفقين عليها، ولأن النص المذكور في الطبري دون سند أو سلسلة رواة مما يجعلها مرتبكة ومختصرة عن الدعوة العباسية، وأهم من ذلك كله أن النص بصيغته المشار إليها سابقا غير موجود في أنساب الأشراف للبلاذري، ولا في أخبار الدولة العباسية للمؤلف المجهول، ولأهمية ذكر النص وردت عند مؤرخين متأخرين مثل ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون لأن هؤلاء المتأخرين نقلوها عمن ذكرها قبلهم .. ونعتقد أن الوصية موضوعة من قبل أعداء الثورة العباسية من أجل تشويه طبيعتها، وأهدافها، وتأليب العرب ضدها". (3)

المهم أن أبا مسلم الخراساني سار إلى خراسان ونزل على سليمان بن كثير الخزاعي وذلك سنة 124هـ، وبالرغم من أن العلاقة لم تبدأ حسنة بينهما في بادئ الأمر لشعور سليمان بانتزاع أبي مسلم لمكانته بغير سابقة، وقدمة في النضال داخل صفوف الدعوة، ولكن رضوخا لسياسة الأمر الواقع قبل سليمان أبا مسلم بعد ذلك، وكان أبو مسلم ذكيا حين قال لسليمان ـ متقربا منه ـ :"أحسن بي الظن . فلأنا أطوع لك من يمينك" (4)

---

(1) ليس مستبعدا أن يكون الفرس هم الذين دسوا هذه الوصية ليثبتوا أن أبامسلم فيه قدسية وبركة ، وأنه من آل البيت ويحيطونه بهالة من التقديس والإحترام ، وأن تكون هذه الوصية قد نشرها الأمويون ليؤلبوا العرب على الموالي الذين انضموا إلى الثورة ... ويجب أن نلاحظ التناقض الموجود في الوصية ، ففي أولها يوصي الإمام بقوله : " أنظر هذا الحي من اليمن" وفي نهاية الوصية "... وإن استطعت أن لاتدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ..." وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الموصي على جهل بالسياسة، وأنه في قلق وتناقض ، وليس من الممكن أن يكون الإمام إبراهيم العباسي الذي يشرف على إدارة هذه الدعوة في أنحاء العالم يكون بهذه المثابة .. هذا بالإضافة إلى أن الدعوة العباسية كانت موجهة ضد الحكام الأمويين ، وليست ضد الشعب العربي... أنظر: حسين أمين . **الدعوة العباسية** . مجلة "المؤرخ العربي" . بغداد : 1979. ع .10. ص. 125 .

(2) الطبري. **تاريخ** . ج.7، ص . 344، توضح هذه الرواية ثقة الإمام بسليمان الكبيرة وهو عربي صليبة !

(3) فاروق عمر . **بحوث في التاريخ العباسي** . مرجع سابق . ص . 143. 144.

(4) **أخبار الدولة العباسية** . ص . 272.

ولم يمض وقت طويل حتى عقد مجلس النقباء إجتماعا تقرر فيه إعلان الثورة في مرو، لأنها على حد قول أحدهم :"بها خلق كثير من إخواننا وبها السلطان قد وهن أمره ...ومتى يقوى بها أمرنا يقوى في غيرها" وقال آخر:"إذا اجتث الأصل فلا بقاء للفرع" (1) ، وأرسل الدعاة ليخبروا الشيعة العباسية بالإلتقاء في مرو في يوم عيد الفطر من سنة 129هـ (2) .

. وقد ساعد الوضع المتدهور في خراسان بسبب الإقتتال الذي كان دائرا على أشده بين نصر بن سيار والي خراسان من جهة، وبين جديع ـ الكرماني ـ شيخ قبائل الأزد اليمنية ـ من جهة أخرى ـ، أبا مسلم على تركيز جهوده خلال سنة 128هـ ـ 129هـ وخاصة في القرى التي كان يسكنها العرب الذين أدركوا عدم جدوى هذا النزاع غير المثمر، والذي زاد الوضع سوءا، والمشاكل تأزما، يقول صاحب كتاب "العيون والحدائق" :"ولما رأى الناس قوة أبي مسلم وإقدامه وجرأته، وأن الناس قد جاءوا من كل صوب طائعين قاصدين للبيعة، وأن شيعة بني مروان قد وقع بينهم خلاف وبعضهم يقتل بعضا، وأن جديعا الكرماني قد قتل الحارث بن سريج وتسلم مرو، ثم إن نصرا قتل جديعا وأن عليا وعثمان إبني جديع مالا إلى أبي مسلم وصادقاه وحلفا له، دخل أكثر الناس في طاعته" (3)

وتؤكد هذا أيضا رواية أخرى تقول :" فطالت الفتنة بين نصر بن سيار، وعلى بن الكرماني ومن كان بها من العرب حتى أضجر ذلك كثيرا من أصحابها، وجعلت نفوسهم تتطلع إلى غير ماهم فيه، وإلى أمر يجمعهم فتحركت الدعوة، يدعو اليماني من الشيعة اليماني، والربعي الربعي، والمضري المضري، حتى كثر من استجاب لهم وكفوا بذلك عن القتال والعصبية". (4)

ومما يدل على أن العرب من أهل خراسان كانوا عصب الجند العباسية، نزول أكثر الدعاة في دور آل الرقاد الأزديين اليمانيين في "مرو" . (5)

وكان أسيد بن عبد الله الخزاعي مسؤولا عن الدعوة في "نيسابور" من أرض خراسان .(6)

---

(1) **أخبا الدولة العباسية** . ص .273.

(2) **المصدر نفسه**. ص . 276

(3) **العيون والحدائق** . ص. 188.

(4) **أخبار الدولة العباسية** . ص . 248 ، وانظر : المقدسي . **البدء والتاريخ** . ج.6، ص 62. اليعقوبي **تاريخ** . ج.2، ص.272.

(5)الطبري . **تاريخ** . ج. 7، ص.50.

(6) **المصدر نفسه** .. ج.7 ، ص. 354.

وفي منتصف عام 129هـ عاد أبو مسلم الخراساني ليقابل إبراهيم الإمام، وفي طريقه مر بـ"نسا" (1) فسأل عن أسيد الخزاعي حتى اهتدى إليه فتباحثا أمر الدعوة (2) ثم واصل أبو مسلم المسيرة لكن رسل إبراهيم الإمام وافته بـ "قومس" وهناك أبلغوه بضرورة العودة وإبلاغ سليمان بن كثير الخزاعي بإظهار الدعوة، وبعث قحطبة بن شبيب الطائي اليماني إلى إبراهيم الإمام ليخبره عن أحوال الناس. (3)

ولما وردت كتب الإمام إلى أبي مسلم كان أسيد بن عبد الله الخزاعي الأزدي هو أول من سود (4) بـ :"نسا" (5)

ومما يرجح ذلك أيضا أن أهل قرى مرو الشاهجان الذين أتوا أبا مسلم عندما أظهر الدعوة كان فيهم عدة من أهل القرى (6) من اليمانية (7)، وبعضها كان للربعية، وبعضها كان للمضرية (8) .

ويقول الدكتور محمد عبد الرحيم شعبان :"إن هؤلاء العرب المستقرين سكان القرى هم الذين تقاطروا من قراهم، لما سمعوا نداء الثورة، واشتركوا فيها" (9)

وإذا علمنا تأييد خزاعة اليمانية للدعوة العباسية بسبب تأثير كبير الدعاة سليمان بن كثير الخزاعي وغيره من بني قومه من اليمانية، ولاحظنا أن عامة الأزد تؤيد الكرماني الأزدي

---

(1) نسا: مدينة بخراسان .. خرج بها جماعة من العلماء والنسبة إليها نسائي وقبل نسوي . أنظر : ياقوت . معجم البلدان . ج.8 ، ص.282.

(2) انظر : ابن الأثير . الكامل . ج .4 ، ص. 299.

(3) الطبري . تاريخ .ج.7 ، ص.355

(4) أي لبس السواد "وهذا عملا بوصية أبي هشام عبد الله صاحب الدعوة الأول الذي كان يقول:"لا تزال دعوة بني هشام عزيزة مالبس السواد أهلها .." ولما سئل عن الرايات السود قال:" للإيمان أثبت في قلوب أهلها من زبر الحديد" وقد تتابعت على آل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصائب لا ينكر معها لأشياعهم لباس السواد حتى يدركوا بثأرهم". أنظر : أخبار الدولة العباسية . ص. 245 ـ 247.

(5) أنظر : ابن الأثير. الكامل . ج.4 ، ص.303، وانظر أيضا: الطبري. تاريخ .ج.7 ، ص. 369.

(6) كثير من المؤرخين فهموا من إصطلاح (أهل القرى) التي ترد في كتب المؤرخين المتقدمين أنهم سكان البلاد المحليين من الفرس الذين يتعاطون الزراعة ويتهنون بعض الحرف .. إلا أننا لاحظنا أن العرب أنفسهم سكنوا القرى مع عوائلهم ولذلك فإن رواية الطبري : "تقول ، فوافاه .. أهل ستين قرية "لا تعني الموالي ، كما يظن المستشرف بوليوس فلهاوزن ، بل تعني العرب على الرغم من أن قسما من أتباع الدعوة كانوا دون شك من الموالي .أنظر : فاروق عمر . بحوث في التاريخ العباسي. ص. 44.

(7) أخبار الدولة العباسية . ص. 274 ، 276.

(8) أنظر : الطبري . تاريخ .ج.7 ، ص 107 ـ 108.

(9) الجذور التاريخية والسياسية للثورة العباسية . ص . 17. نقلا عن : حسين عطوان . الدعوة العباسية . مبادئ وأساليب . مرجع سابق . ص 89

المنشق على عامل بني أمية في خراسان والمناوئ له، أدركنا طبيعة العلاقة التي تربط اليمن بالدعوة العباسية، وهي علاقة تقوم على أساس القرب من الدعاة، إما تأييدا، أو تبنيا لأفكار الدعوة، ومبادئها، كما هو الشأن عند الخزاعيين، أو كرها لبني أمية، كما هو الشأن عند الكرماني ومناصريه من الأزد . (1)

ومهما يكن من أمر فإن الثورة انطلقت كالسيل الجارف مندفعة لا يردها شيء، بقيادة أبي مسلم الخراساني والشيعة من ورائه منضوين تحت لوائه هاتفين "يا منصور" غير آبهين لمن تكون الدعوة، ومن هو صاحب الأمر، فقد كانوا يجهلون الإمام، ولا يعلمون عنه شيئا لأن الدعاة في المرحلة السرية دأبوا على الدعوة للرضا من آل محمد (2)، كما دأبوا عليها بعد اندلاع الثورة فالبيعة كانت تؤخذ على الجند من الهاشمية العباسية للرضا من أهل البيت (3) . فقد كان الجند إذا بلغوا مدينة وحاصروها، يسألون أهلها البيعة للرضا من آل محمد (4) دون تسمية له، فإن أجابوهم إلى ذلك أمنوهم، ودخلوا مدينتهم صلحا، وإن أبوا قاتلوهم، وفتحوا مدينتهم عنوة" .(5)

وليس يهمنا في هذا البحث أن نذكر حوادث الثورة، وتطوراتها، وتفصيلاتها فقد تطورت الأحداث بين أخذ ورد، واستطاعت الدعوة كسب شيوخ القبائل من الأزد واليمانية، ومن ربيعة ومضر إلى صفوف الثورة، وكان هذا الكسب مهما جدا لأنه كان يعني انضمام عدد كبير من العرب إلى الدعوة، وبهذه القوة الضاربة كانت نهاية نصر بن سيار واندحار شيعة الأمويين في خراسان، وخاصة في مرو، وقراها، وهراة، وأبيورد، أما بلخ فقد قاومت القوات العباسية التي وجدت صعوبة في احتلالها وذلك لأسباب ثلاثة :

- أولا : أن المقاتلة العرب في بلخ كانوا متحدين، لم تتنازعهم العصبية القبلية، وذلك

---

(1) عبد الرحمن فريح العفنان . **القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي** . مرجع سابق . ص.399.

(2) العيون والحدائق . ص.180 ، أخبار الدولة العباسية . ص. 194، 204 ، 207 ، 239

(3) الطبري . تاريخ. ج.7، ص 380

(4) وهذا مبدأ ينافي مبدأ الخوارج، ومرجئة الجبرية ، والقدرية ، ويعني أن الخلافة حق كل مسلم يقوم بالكتاب والسنة ، وأنها لا تنعقد إلا بإجماع الأمة، ويضيق من دائرة القول بأن الأئمة من قريش ، بل يحصرها في أهل البيت من قريش فقط ، ويخرج الأمويين منها، ويبطل حقهم فيها ، ويهيج عواطف المعتقدين بحق أهل البيت في الخلافة ، وطبعا ،يجعل العباسيين أصحاب نصيب في الخلافة لأنهم من أهل البيت وهم يريدون أن يحقوا الحق ، ويبطلوا الباطل ، ويضربوا على يد المغتصبين للسلطة ويردوها لأصحابها الشرعيين ... !

(5) **أخبار الدولة العباسية** . ص. 324، 330، 332.

لأن أسد بن عبد الله القسري وطنهم فيها ككتلة واحدة دون الأخذ بخطة الأخماس التي كانت مستعملة في البصرة، ولذلك كان العرب في بلخ موالين للأمير ومخلصين للأمويين .

ثانيا : أن الجند الأموي في بلخ وعدده 2500 جندي كان مواليا لنصر بن سيار .

ثالثا : إن السكان الإيرانيين في بلخ وماجاورها تعاونوا مع الأمير الأموي، كما وأن الأمراء الإيرانيين المحليين في طخارستان وأقاليم في بلاد ماوراء النهر، أظهروا مساعدتهم له، وعلى حد قول الطبري : "فإن القبائل من مضر وربيعة وقحطان تواعدوا على وضع الحرب على أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبي مسلم، وكتبوا بذلك كتابا وثيقا" . (1)

والحقيقة أن مقاومة بلخ للمسودة قضية تكشف حقيقة الثورة العباسية التي يقال عنها أنها فارسية ضد عرب، إذ لو كان الأمر كذلك فكيف نفسر وقوف السكان الإيرانيين المحليين إلى جانب الأمويين ضد المسودة، وقد قاتل غير العرب من الموالي مع العرب جنبا إلى جنب لاسترداد بلخ من المسودة، ويظهر تهافت أقوال المستشرقين من أن هناك في إيران تذمر عميق ضد الحكم العربي الإسلامي الذي لم يعط الموالي الإيرانيين حقهم، إذ لو كان هذا صحيحا لهبت خراسان وبلاد ماوراء النهر عن بكرة أبيها لتدعيم حركة المسودة". (2)

ويؤكد هذا الإتجاه أيضا ماوقع في معركة جرجان حيث وقف أهل جرجان الفرس مع الأمويين، وقاتلوا معهم جنبا إلى جنب ضد الجيش الخراساني، على أن الجيش الخراساني استطاع احتلال جرجان والقضاء على كثير من الإيرانيين الذين قاوموا الخراسانيين. (3)

. وهذا دليل آخر على أن الدعوة العباسية لم تكن ثورة الفرس على الأمويين ذلك لأن الفرس من أهل جرجان وقفوا إلى جانب الأمويين، واستطاعوا مقاومة الخراسانية، ولما كان كثير من العرب متذمرين من الحكم الأموي، ساخطين عليه، آملين في زواله، مترقبين لحكم يحقق الخير فيهم، فإنهم قدموا كثيرا من المساعدات والخدمات للجيوش العباسية. (4)

---

(1) الطبري . تاريخ . ج.7 ، ص . 367.

(2) فاروق عمر . **الخلافة العباسية** . مرجع سابق ، ص . 50.

(3) **أخبار الدولة العباسية** . ص.328.

(4) من ذلك مارواه الأزدي :"من أن قبائل الموصل أغلقت أبواب المدينة في وجه الخليفة مروان بن محمد الأموي . الذي اضطر إلى الإنسحاب إلى الشام . وفتحت الموصل أبوابها للجيش الخراساني مستقبلة إياه بالتهليل" .

- **تاريخ الموصل**. تحقيق د . علي حبيبة. القاهرة : طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. 1967، ص .115.

وروى أيضا :" أن مروان لما كان يعزل اليمني ويولي القيسي ويقدمهم في الأعطيات ... فإنه لما توجه إلى مصر منهزما لم يتبعه قيسي إلا ابن جديدة السليمي. وكان أخوه من الرضاعة . والكوثر بن الأسود الغنوي صاحب شرطته . حتى انتهيا إلى الشام . فلما صار بقنسرين وثبت عليه طي، وتنوخ فانتهبوا عامة عسكره .ثم مر بحمص فصنعوا به مثل ذلك . ثم مر بدمشق فوثب به الحارث الحرشي فسود ودعا إلى بني هاشم . ثم خرج إلى الأردن وفلسطين ففعلوا به مثل ذلك ..." المصدر نفسه . ص . 136.

ويمكن أن نخلص من هذا الفصل - إلى القول بأن العباسيين استطاعوا أن يستغلوا كل مامن شأنه أن يعين على الإطاحة بالحكم الأموي، فآثروا خراسان على غيرها من البلاد، لأنها كانت أكثر احتمالا لدعوتهم، وأحسن قبولا لدعاتهم، بالإضافة إلى ما يعانيه أهلها من عرب وعجم من مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية، منّى العباسيون أهل خراسان بحلها فأجابوهم وسارعوا إليهم، وخاصة عندما رفعوا لهم شعار الرضا من آل محمد، وقد كان شعارا رجراجا .. يخفي حقيقة الإمام، ويستر المطامح الحقيقية للدعوة ولا يظهر الطمع في الخلافة، مما جعل الخراسانيين من الموالي والعرب يشتركون في الدعوة ويقدمون لها خدمات جلى عملت على إنجاحها .

- أما الموالي فمنهم اختير كبار دعاتهم بالكوفة، ومنهم انتخب دعاتهم إلى خراسان، وأغلبهم كان يمثل مجلس نظراء النقباء، ومجلس السبعين، ومجلس دعاة الدعاة .... ومنهم كان فريق من عمال دواوينها، ومنهم كان جميع وزرائها. وأما العرب فمنهم كان أئمتها، ومنهم كان العدد الكثير من شيعتها، ومنهم كان أكثر ولاتها.

ولكن العباسيين لما أطاحوا بالدولة الأموية، وأقاموا الدولة العباسية، ذكروا أنهم صفوة أهل البيت، واستدبروا معاني الولاء الذي كان لهم من قبل بني عمومتهم العلويين، وقرروا أنهم الوارثون الشرعيون للخلافة، وأشاعوا أن الإمامة أتتهم من طريق جدهم العباس بن عبد المطلب لأنه عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفتكوا بكل من أنكر شرعيتهم في الخلافة، وقاتلوا كل من ثار عليهم من نقبائهم، ودعاتهم، وقادتهم وولاتهم، مما جعل كثيرا من الخراسانيين يقفون ضدهم، ويعارضون حكمهم، وآية ذلك ماقاموا به من ثورات وحركات مناهضة، لا تخبوا واحدة حتى يشتعل أوار أخرى ... وهذا ما سوف نعالجه في الفصل الثاني من هذا البحث - إن شاء الله -

الفصل الثاني

2ـ دور الخراسانيين في المعارضة السياسية .

رفعت الثورة العباسية شعارات جديدة، وظهرت بواجهات مختلفة، واتخذت في ذلك شتى الطرق والأساليب حتى تصل إلى قلوب أتباعها، وتتمكن من جمعهم، وإقناعهم، وجعلهم يلتفون حول الدعوة، وينصرون الثورة، وكان من شعاراتها العامة الدعوة إلى الرضا من آل البيت، والعمل بموجب كتاب الله، وسنة نبيه، وكذلك القضاء على أهل الجور، ثم الثأر لآل البيت، مستندة على الآية الكريمة (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) .(1)

وكان من شعاراتها العامة أيضا : الإدعاء بأنها تعمل من أجل المظلومين، والمقهورين مستندة إلى الآية الكريمة "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير" (2)، ولهذا كانت ترضي العرب المتذمرين تارة، والموالي المستائين تارة أخرى .

إلا أن الدولة التي تمخضت عنها الثورة كانت بطبيعة الحال دولة عباسية، فالمنظمة السرية كانت موالية لبني العباس، وتعمل من أجلهم رغم رفع شعارتها عامة مضللة في فترة الدعوة، وقد أعلن أبو العباس في خطبته الأولى بالكوفة أن العباسيين هم الممثلون المقدمون لأهل البيت، لأنهم أبناء العباس بن عبد المطلب ـ عم الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهم ورثته الشرعيون، وهم أصحاب الخلافة، لا يحجبهم أحد عنها، ولا ينازعهم منازع فيها، وغمز غلاة الشيعة، وتوسل بغمزه لهم إلى نقض ادعاء العلويين للخلافة وإبطال مطالبتهم بها إذ يقول :"زعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم، بم ولم أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالاتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ماكان فاسدا، ورفع بنا الخسيسة وتم بنا النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر، ومواساة في دينهم، ودنياهم، وإخوانا على سرر متقابلين في آخرتهم، فتح الله ذلك منة ومنحة لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم، فلما قبضه الله إليه، قام

(1) سورة : الشورى (الآية : 23)

(2) سورة : الحج : (الآية :37)

بذلك الأمر من بعد أصحابه وأمرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم، فعدلوا فيها، ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصا منها، ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها، وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، ورد علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وولي نصرنا، والقيام بأمرنا، ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض، ونختم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجوا ألايأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله" (1).

2 ـ 1ـ الحركات الثورية في خراسان.

ما أن تقلد العباسيون زمام الأمور، وظهر لكتل المعارضة التي اشتركت في الثورة، أو استغلت أثناءها بأن النظام الجديد هو عباسي الصبغة، حتى قامت ثورات جديدة عربية وغير عربية، وهي على اختلافها، وخطورتها، جاءت في فترة زمنية قصيرة، شملت الفترة الأولى من حكم الدولة العباسية الناشئة.

وكان طبيعيا أن تثور الشام، رغم القهر والقمع الشديدين اللذين تعرضت لهما، ولكن الأمر تجاوز ذلك بعد فترة قصيرة ليغدوا شعورا عاما ينتظم فيه جميع القبائل القيسية التي شعرت أن الحكم العباسي يحابي اليمانية على حساب القيسية، لتحل محلها ثورات يمانية، على الرغم مما بين اليمانية (2)، والثورة العباسية من حلف أكدته جميع مصادرنا.

ـ ويتضح من خلال استقراء أسباب هذه الثورات وأحداثها أنها بدأت منذ الأيام الأولى لانتقال السلطة لبني العباس، وأن أسبابها المباشرة كانت في كشف السلطة العباسية عن وجهتها التي تخالف ما أعلنته من مبادئ في أول الأمر. بل إن الثورة العباسية تمخضت عن أمر خطير وهو التنكر لرجالاتها الأوائل ودعاتها الذين صدقوها، وأعطوها من ذوات أنفسهم الكثير، وليس التنكر فحسب بل عمدت إلى التخلص من كثير منهم، وخاصة الشخصيات

---

(1) الطبري. **تاريخ** .7، ص .426، وانظر: المسعودي . **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج.3، ص.. 270 **العيون والحدائق** . ج.3 ، ص.200.

(2) مثل ثورة نصر بن شبث العقيلي سنة 198هـ ، التي بررها بقوله أنه لا يكره بني العباس ، وأنه لا يقاتلهم إلا لأنهم انحرفوا عن العرب ، واعتمدوا على العجم، ثورة أبي الورد والسفياني في حمص ، وتدمر ، وحلب ، وشمال الشام ، وثورة الجزيرة برئاسة اسحاق بن مسلم العقيلي ، وثورة دمشق ، التي استمرت حتى خلافة المتوكل عام 240هـ ، وثورات لبنان وحمص التي لعب فيها البيزنطيون دورا محرضا، ودامت حتى خلافة المتوكل ، وثورات فلسطين والأردن التي توجتها حركة المبرقع اليماني عام 226هـ ، والتي انضم إليها فيما يزيد على المئة ألف رجل ، واستمرت حتى خلافة المعتصم . أنظر : حسين عطوان . **الدعوة العباسية** ـ تاريخ وتطور . بيروت : دار الجيل ، د.ت.ا، ص . ص . 469 ، 479 .

ذات التأثير الكبير والتي تطمح إلى السلطة، وبدأ نفوذ الخليفة يصطدم بنفوذ هذه الشخصيات القيادية مما دعا الخليفة إلى التخوف منهم والريبة من أمرهم، وقد إستدعى ذلك تدبير خطط محكمة تدفعهم بعيدا، أو تعمل على اغتيالهم إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

والعجيب أن نجد من بين الناس الذين ثاروا معارضين للخلافة العباسية الناشئة شخصيات لها سجل حافل بالأعمال الجليلة في سبيل الدعوة العباسية، ويتجلى ذلك فيما يرويه الطبري من أن لاهز بن قريظة التميمي كان أول ضحايا أبي مسلم من النقباء والدعاة، فقد اتهمه بالعصبية القبلية للمضرية، ورماه بخيانة الدعوة العباسية، وجرّمه بسبب تمكينه نصر بن سيار من الفرار، والنجاة بنفسه، وقال له يا لا هز:"أتدغل في الدين" فأخذه وضرب عنقه .(1).

ثم كان سليمان بن كثير الخزاعي النقيب هو الضحية الثانية الذي قتله أبو مسلم بعدما شك في ميله للعلويين، بالإضافة إلى أن أبا مسلم كان ساخطا على سليمان بن كثير لأنه نبذه، وأهانه، وضربه فشج رأسه، حين بعثه الإمام ابراهيم بن محمد واليا على شيعته بني العباس بخراسان، وكان سليمان هو القائم بأمرهم قبل قدوم أبي مسلم واليا عليه (2) ، لذا كان هذا الأخير يتربص به، وينتظر أن تواتيه الفرصة، حتى يفتك به وينتقم لنفسه منه.

وقد قامت بسبب هذا التصرف عدة حركات ثورية، وانتفاضات ضد أبي مسلم الخراساني منها ثورة شريك بن شيخ المهري سنة 133هـ، وفي ذلك يقول صاحب "العيون والحدائق" : " .. وفيها - أي في سنة 133هـ - خرج شريك بن شيخ المهري على أبي مسلم ببخاري وقال: ما على هذا بايعنا آل محمد، على أن تسفك الدماء، ويعمل بغير الحق، وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفا، فوجه إليه أبو مسلم زياد بن صالح فقاتله فقتله، وخرج جماعة على أبي مسلم فقتلهم بعد حروب كثيرة لم يكن لأبي مسلم فيها تدبير ولا كثرة جنود" (3). وانظمت إلى شريك العناصر المستاءة التي خيبت آمالها الدعوة العباسية، لأنها لم تحقق وعودها، كما انضم إليها أنصار العلويين في خراسان، وكذلك ولاة العباسيين على بخارى، وحوارزم، وبرزم (4)، وكانت حركته شعبية جابه أبو مسلم الخراساني صعوبات كبيرة في القضاء

---

(1) الطبري . **تاريخ** ج.7، ص.385.

- أتدغل : أدغل في الأمر ، أدخل فيه ما يفسده ويخالفه ، ورجل مدغل . أي مفسد . انظر : ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة "دغل"

(2) **أخبار الدولة العباسية** . ص. 271.

(3) **العيون والحدائق**. ص. 215.

(4) برزم : لم أجد مكان بهذا الإسم ، بل وجدت برزة وهي قرية من أعمال بيهق من نواحي نيسابور . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج .2 ، ص . 124.

عليها، ولكن انحياز قتيبة بن تفشاوة نبيل بخارى إلى زياد بن صالح الخزاعي قائد الجيش العباسي أدى إلى فشل ثورة شريك، وأسر عدد كبير من المتمردين (1)

وقد ثار زياد بن صالح الخزاعي أيضا عام 135هـ في بلخ، وكان من مجلس السبعين وفي هذا يقول : "لقد بايعناهم على العدل وإحياء السنن، وما أبو مسلم إلا ظالم جائر يسير سيرة الجبابرة، وإنه مخالف قد أفسد قلوب أهل خراسان" (2)، على أن ثورته خابت بعد أن انحاز جماعة من أنصاره إلى أبي مسلم، وهرب زياد إلى دهقان بخارى، فوثب عليه الدهقان وضرب عنقه وبعث برأسه لأبي مسلم. (3)

وبالرغم من أن ثورة زياد الخزاعي كانت بتدبير من الخليفة العباسي إلا أن هذا الأخير ما إن سمع بفشله، وإخفاقه حتى سارع إلى اتهامه، وتجريمه، وبعث مهنئا أبا مسلم لقضائه على مثيري الفتن، وبمقتل زياد يكون أبو مسلم قد أشبع نفسه عطرسة وعزة وسطوة، وأبى أن يكون كمثله أحد من الدعاة والنقباء من أهل السابقة، والقدمة، والبلاء في الدعوة العباسية، فراح يسرف في سفك دمائهم واحدا تلو الآخر.. !(4)

وبعد مقتل زياد، جاء دور عيسى بن ماهان الخزاعي، وهو من نظراء النقباء، ومن أهل مرو الشاهجان (5) ، وكان صديقا لزياد بن صالح الخزاعي، فقال للناس منددا بقتله :"إن أمير المؤمنين قد أعظم قتل زياد، وذم أبا مسلم، وأنكر فعله، وقال: إنه قتل رجلا ذا قدم وحسن بلاء في دولتنا، وتبرى منه، وقد بعث إلي بعهدي على خراسان، ودعا قوما إلى حرب أبي مسلم فأجابوه سرا، وخالفه أقوام قتلهم، وكان عيسى يومئذ بإزاء قرية وجهه أبو داود [محمد بن ابراهيم الذهلي] إليها ليحارب أهلها، وقدم رسول أبي العباس وهو أبو حميد [محمد بن ابراهيم الحميري] إلى أبي مسلم بخلع وبَزٍّ (6)، وبكتاب يلعن فيه زياد بن صالح وأشياعه، ويصوب رأي أبي مسلم في قتله فأمر أبو مسلم أبا داود بقتل عيسى بن ماهان، فكتب إليه : إن رسول أمير المؤمنين قد قدم على الأمير بخلع وبز له وللأولياء، وذكرناك له، فسر إلينا لتشركنا في أمرنا وسرورنا، وترى رسول أمير المؤمنين فتعرفه حالك، فقدم على

---

(1) النرشخي **تاريخ بخارى** . طهران : 1939، الترجمة الإنجليزية . ص 62 فما بعد . نقلا عن : فاروق عمر . **طبيعة الدعوة العباسية** . مرجع سابق . ص. 230.

(2) **أخبار الدولة العباسية**. ص . 218.

(3) الطبري. **تاريخ**. ج.7، ص. 466.

(4) فاروق عمر . **طبيعة الدعوة العباسية** . مرجع سابق. ص 230.

(5) **أخبار الدولة العباسية** . ص . 220.

(6) بز : الثياب . وقيل. ضرب من الثياب. انظر : ابن منظور . **لسان العرب**. مادة "بزز"..

أبي داود فقال : خذوا ابن الفاعلة وأمر به فأدخل في جوالق ، ثم ضرب بالخشب حتى مات، فكتب أبو العباس إلى أبي مسلم يعظم قتل عيسى، ويأمره أن يقتل أبا داود به، فكتب في جواب يعذر أبا داود خالد بن ابراهيم، ويذكر أن ابن ماهان لو ترك لكان منه مثل الذي كان من زياد بن صالح من إفساد الناس، وحملهم على المعصية والخلاف" . (1)

ومن الذين لم تحفظ سابقتهم في خدمة الدعوة العباسية أيضا، أبو سلمة سليمان بن حفص الخلال (2) رئيس دعاة الكوفة، ووزير آل محمد، حيث قضى ثلاثين سنة في خدمة الدعوة العباسية وهو برغم كونه من غير أهل خراسان ولا من سكانها إلا أنه صاحب دور هام في الدعوة العباسية، وفي الحركات الثورية وفيما تلاها من أحداث، وقد كان فصيح اللسان عالما بالأخبار والأشعار والجدل، وتفسير القرآن، حاضر الحجة، كثير الجد، ولما صح عنده موت ابراهيم الإمام لقي رجالا من شيعة علي رضوان الله عليهم، فناظرهم على نقل الأمر إلى ولد علي، وكتب إلى ثلاثة نفر ليعقد الأمر لأحدهم، وهم : جعفر بن محمد، وعبد الله بن الحسن، وعمر بن علي بن الحسين . (3)

ومع أن عبد الله بن الحسن قبل الكتاب، إلا أن جعفر بن محمد حذره وأشار عليه ألا يفعل ذلك، وأعلمه أن أهل خراسان ليسوا بشيعة، وأن أبا سلمة مخدوع مقتول .. وارتاب أهل خراسان بأبي سلمة، وتكلموا وقالوا : يا أبا سلمة مالك خرجنا من قعر خراسان، ولا إليك دعونا، وما أنت لنا بإمام. (4)

وكان ابراهيم الإمام قد أوصى بالإمامة لأخيه أبي العباس، وأمره أن يسيرهو وأهل بيته إلى الكوفة، فلما بلغوا مشارفها أرسل أبو العباس إلى أبي سلمة الخلال يعلمه بقدومهم فاستاء أبو سلمة من مجيئهم، ثم أخفاهم، وسترهم، وهجرهم، وجعل يخادعهم، ويخادع قادة أهل خراسان الذين كانوا يسألون عن وقت ظهور الإمام، واستنكف الطالبيون من إجابته، وسئم قادة أهل خراسان مراوغته، فأخذ بعضهم يتسللون من معسكرهم، ويأتون الكوفة فيتحسسون الأخبار بها، وأمر أبو العباس بعض مواليه أن يخرجوا من مخبئهم، فكانوا

---

(1) عن خبر خروج زياد بن صالح . أنظر : الطبري . **تاريخ** . ج . 7 . ص . 466.

(2) قيل في نسبته أنه نسب إلى الخل . وقيل أنه نسب إلى خلل السيوف وهي الجفون ، وذكر أن العرب تسمى من يعملها الخلال . يقول الشاعر.

أخلق الدهر بجر ظللا مثل ما أخلق سيف خللا.

أنظر: الجهشياري . **الوزراء والكتاب** . ط .1 ، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي، القاهرة : مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر. 1358هـ/ 1938م ص.55.

(3) الجهشياري، **الوزراء والكتاب** . ص .57.

(4) **المصدر نفسه** . ص.57.

يطوفون سوق الكناسة بالكوفة ويتتبعون الأخبار بها أيضا، فظفر أحد قادة أهل خراسان بمولى للإمام إبراهيم فعرفه ماكان من أمر الإمام، وأن مروان ابن محمد اعتقله وقتله، وأنه أوصى بالإمامة إلى أخيه أبي العباس، ثم دله على موضوع أبي العباس وأهل بيته بعد أن استشارهم في ذلك فتردد قادة أهل خراسان على أبي العباس، ورتبوا لإخراجه من محبسه فلما أحكموا الأمر، أخرجوه، وبايعوه بالخلافة .." (1) الأمر الذي أفسد على أبي سلمة خطته، وجعله يسرع إلى بيعة أبي العباس بعد إعلان الخلافة العباسية وقد أظهر أبو العباس في أول الأمر ملاطفته، وامتنع على القيام بأي إجراء من شأنه أن يستفز أبي سلمة، نظرا لنفوذه المتمكن، فأبقاه وزيرا له بعض الوقت حتى تأتي الفرصة المواتية للقضاء عليه، وكان أبو مسلم الخراساني شديد الحسد لنفوذ أبي سلمة في العراق، ويذكر بأنه كان أول من اقترح على الخليفة التخلص من الخلال، وتبالغ بعض الروايات التاريخية فتعزو قتل الخلال إلى أبي مسلم دون استشارة الخليفة، والواقع أن الخليفة كان قد عزم على التلخص من أبي سلمة لنفوذه وتعاظمه عليه (2) ، وأخذ يدبر لقتله، فكتب إلى أبي مسلم كتابا يذكر فيه ماهم أبو سلمة فيه، وماهم خائفون منه، وما عاملهم من القبيح فأجاب أبو مسلم : إن كان أمير المؤمنين قد اطلع على ذلك فليقتله فقال داود عم السفاح : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإن أبا مسلم يحتج بها عليك، وكذلك أهل خراسان الذين معك،، ولكن ابعث من يعرف نيته ويطلع على سريرته ثم يكلفه هو أن يبعث إلى أبي سلمة من يقتله، فأمر أخاه أبا جعفر المنصور أن يحرج إلى خراسان ويقابل أبي مسلم، ليطلع على مافي نفسه من أحوال أبي سلمة .. فقال أبو جعفر : "إن أمير المؤمنين يحب أن تلي منه ماترى، فقال سمعا وطاعة، ثم دعا رجلا من أسحابه، وقال له : انطلق إلى الكوفة،فاقتل أبا سلمة حيث لقيته وانته في ذلك إلى رأي الإمام ، فقدم الرجل الكوفة وكان أبو سلمة يسمر عند السفاح، فلما خرج قتله، وقالوا : قتله الخوارج فقال سليمان بن المهاجر:

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا . (3)

2 ـ 2 ـ نهاية أبي مسلم الخراساني .

الواقع أن أبا مسلم الخراساني ارتكب خطأ في قتل أبي سلمة الخلال، لأنه نسي أن النظر المريب سوف يتحول إليه، وأن التهمة بالإستعلاء على السلطة، والتآمر عليها سوف يتجه نحوه وأنه بعد أن كانت السلطة العباسية تخشى بأس رجلين تتفرق قوتها بينهما أصبحت

(1) حسين عطوان . الدعوة العباسية ـ تاريخ وتطور ـ مرجع سابق ، ص . 352.

(2) فاروق عمر . طبيعة الدعوة العباسية . مرجع سابق ، ص. 227.

(3) العيون والحدائق، ص . 212 ، 213 ، وانظر : الطبري . تاريخ . ح.7 ، ص.448.

قوتها تتجمع على رجل واحد. ومع ذلك ظل السفاح يقدر أبا مسلم ويحترم رأيه، رغم إلحاح أبي جعفر المنصور عليه بقتله، والفتك به، حيث قال له :"يا أمير المؤمنين، أطعني، وافتك بأبي مسلم فو الله إن في رأسه لغدرة" . (1)

والذي يبدو أن السفاح صانعه كثيرا، خوفا من انتفاض خراسان عليه، والدولة حديثة العهد، وأبو مسلم قد وطد الأمور بخراسان، والجند هناك مطيعة له، لدرجة أن السفاح شكا إلى خالد . وهو يتقلد دواوينه . إهتمامه بهيبتِهِ ضد أبي مسلم (2) ، ويقال أيضاأن السفاح وافق أخاه المنصور على قتله، إلا أنه عدل عن هذا تخوفا من حاشيته الخراسانية العظيمة التي قدمت معه إلى الحج، بعد أن أذن أبو العباس له بالقدوم عليه، وقد أمر أبو العباس الناس باستقباله وإكرامه، وأنزله قريبا منه، وكان يأتيه كل يوم يسلم عليه، وأذن له بالحج وقال : لولا أن أبا جعفر يحج لا ستعملتك على الموسم (3) ، وغضب أبو مسلم من ذلك، لأنه أراد هو أن يقيم الحج، ويصلي بالناس، وقال : أما وجد أبو جعفر عاما يحج فيه غير هذا .. " (4) مما أحفظ عليه أبا جعفر وأسخطه، فاضطغنهاعليه .. وحج أبو جعفر ومعه أبو مسلم، وكان ذلك عام 136هـ. وفيه انتهت خلافة أبي العباس السفاح بموته بالأنبار يوم الأحد من شهر ذي الحجة (5) . وخلفه أخوه أبو جعفر المنصور

وقدكانت علاقة أبي مسلم بالمنصور علاقة يشوبها الحذر والخوف من سلطة أبي مسلم على الأقاليم الشرقية للدولة. والمصادر التاريخية تكتب عن هذه العلاقة في بداية تولي أبي جعفر مهام الخلافة. وهو عائد في موسم حج عام 136هـ.ومعه أبو مسلم نفسه، فابن الأثير يروي مبايعته مع الناس ثم يقول :"وقيل إن أبا مسلم هو الذي تقدم على أبي جعفر فعرق الخبر قبله فكتب إليه : عافاك الله ومتع بك، إنه أتاني أمر أفظعني، وبلغ مني مبلغا لم يبلغه مني شيء قط، وفاة أمير المؤمنين فنسأل الله أن يعظم أجرك، ويحسن الخلافة عليك، وأنه ليس من أهلك أحد أشد تعظيما لحقك، وأصفى نصيحة لك، وحرصا على ما يسرك مني، ثم مكث يومين وكتب إلى أبي جعفر ببيعته، وإنما أراد ترهيب أبا جعفر بتأخيرها (6) . ومثل هذا يروي الطبري في أحداث عام 136هـ (7)

---

(1) الطبري تاريخ ج.7 . ص 468

(2) الجهشياري الوزراء والكتاب ص 63

(3) الطبري تاريخ . ج.7. ص.468

(4) المصدر نفسه . ج.7. ص .47

(5) اليعقوبي تاريخ ج2 . ص 298

(6) ابن الأثير . الكامل . ج.4. ص 347

(7) الطبري تاريخ . ج.7 . ص 468

وجميع هذه الروايات تشير في مدلولها إلى تعكر الأجواء بين الرجلين، وخوف أحدهما من الآخر، إلا أن دهاء وسياسة المنصور، استطاع بها كتم ما يضمره لخصمه إلى أن جاءت الفرصة السانحة عندما فوجئ أبو جعفر في بداية خلافته بعصيان عمه عبد الله بن علي بالشام لبيعته .. فأراد أبو جعفر أن يستفيد من قوة أبي مسلم في حرب عمه عبد الله، وبذلك يضرب كما يقال : ـ «عصفورين بحجر واحد» ـ . فأيهما يقتل صاحبه تخلص منه، فرشح أبا مسلم لقيادة الجيش الموجه لقتال عبد الله، ويثبت ابن الأثير حول ترشيح أبي مسلم لإخضاع عبد الله روايتين : الأولى تقول : "إن أبا مسلم لما شاهد أبا جعفر حين ألقي إليه خطاب الخلافة، استرجع وجزع جزعا شديدا قال له: ماهذا الجزع، وقد أتتك الخلافة قال : أتخوف شر عمي عبد الله بن علي وشغبه علي قال : لا تخف فأنا أكفيكه إن شاء الله، وإنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان، وهم لا يعصونني، فسرى عنه، وبايع له أبو مسلم والناس، وأقبلا حتى الكوفة .." (1)

أما الرواية الثانية فتقول : "قال أبو مسلم للمنصور لما عاد من الحج: إن شئت جمعت ثيابي في منطقتي، وخدمتك، وإن شئت أتيت خراسان، وأمددتك بالجنود، وإن شئت سرت إلى حرب عبد الله بن علي، فأمره بالمسير لحرب عبد الله". (2)

أما رواية اليعقوبي فتذكر : أن أبا مسلم كره توجيهه لعبد الله، وأنه قال لأبي جعفر : "إن أمر عبد الله أقل وأذل، وأمر خراسان أمر يجل خطبه، وأنه رأى أن ينصرف إلى خراسان وأيهما غلب كتب إليه بالسمع والطاعة، إلا أن كاتبه حمله أن لا يعصي أمر الخليفة، وأن لا ينقضه بعد تأكيده" (3)

ـ وكل هذه الروايات تصور رضا أبي مسلم بانتدابه لمهمة القضاء على عصيان عبد الله بن علي، ماعدا رواية اليعقوبي، والمهم أن أبا جعفر نجح في إقناع أبي مسلم بالمسير إلى عبد الله، والقضاء على تمرده، وبعد أن تلقى المنصور نبأ هزيمة أبي مسلم لعبد الله، واستلائه على الغنائم، بعث إليه من يحصيها فغضب أبو مسلم وقال :"ما لأبي جعفر ولهذا ؟ إنما له الخمس، فقال أبو الخصيب [مولى أبي جعفر] هذا مال أمير المؤمنين دون الناس، وليس سبيل هذا ماله منه الخمس، فشمته وهم بقتله ثم أمسك، إذ قيل له : إنما هو رسول، فخل سبيله فرجع إلى جعفر، فأخبره أن أبا مسلم هم بقتله .. (4)

---

(1) ابن الأثير . **الكامل** . ج.4 ، ص 347.

(2) **المصدر نفسه** . ج4، ص.348

(2) اليعقوبي . **تاريخ** . ج.2 ، ص.302.

(4) الطبري . **تاريخ** . ج. 7 ، ص. 482

وانصرف بعدها أبو مسلم يريد خراسان مغاضبا لأبي جعفر، وقيل أنه عزم على الخلاف فخاف المنصور أن يتوجه أبو مسلم إلى خراسان بهذه الصفة، فتفسد عليه الأمور هناك (1) وقد كان المنصور يرى في شخص أبي مسلم الصورة الناطقة للقوة الخراسانية على سلطان الدولة، مما جعل المنصور يراسل أبا مسلم ويطيب نفسه ويسكنه، ويعده الجميل، ويدعوه إليه حتى يتمكن منه، وكان مما كتبه إليه قوله :"إنا كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء فأنا نافر من قربك، حريص على الوفاء بعهدك، حري بالسمع والطاعة لك غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة" (2). ويذكر صاحب الفخري : "إن أبا مسلم قال للرسول قل لصاحبك إنه ليس من رأيي الحضور عندك، وأنا متوجه إلى خراسان، فقال له الرسول : يا أبا مسلم أنت مازلت أمين آل محمد، فانشدك الله ألا تسم نفسك بسمة العصيان والشقاق، والرأي أن تحضر عند أمير المؤمنين، وتعتذر إليه، فلن ترى عنده إلا ما تحب، فقال له أبو مسلم : متى كنت تخاطبني بمثل هذا الخطاب؟ فقال الرجل : سبحان الله، أنت دعوتنا إلى ولاية هؤلاء القوم ونصرهم وقلت لنا : من خالفهم فاقتلوه، فلما دخلنا معك فيما ندبتنا إليه، رجعت عنه، وأنكرته علينا ! فقال أبو مسلم : هوما قلت لك ولست أرجع، فقال له : فليس عندك غير هذا ؟ قال : نعم ! فخلا به وأبلغه ما قاله المنصور : فوجم وأطرق ساعة ثم قال : إن جاءك كتابي وهو مختوم بنصف خاتمي فهو كتابي وإن كان مختوما بكل الخاتم، فاعلم أنه ليس ختمي، وأوصاه بما أراد، ثم سار إلى المنصور فلقيه بالمدائن"(3)

وبذلك استطاع المنصور بوفوده التي أرسلها، وبالنبرة الهادئة التي اتسمت بها رسائله أن يقنع أبا مسلم بأن طريق السلامة هو طريق اللقاء بالخليفة، وأنه بالإمكان استعادة ثقة الخليفة عن طريق إظهار الولاء وكان اللقاء في معسكر الخليفة أبي جعفر بالمدائن، وبدأ الإجتماع في الأول وديا بالغ المنصور في تعظيمه لأبي مسلم، فكان إذا ركب إلى الخدمة يركب في ثلاثة آلاف، فكلمه ابن عم الخليفة في أن يختصر هذا المركب فما زالوا به حتى كان يركب في مائة فارس، فدخل يوما إلى المنصور وقد أعد له عشرين بالسلاح في مجلس وقال : إذا رأيتموني أصفق بيدي فدونكم عدو الله، فدخل والحجّاب يمنعون أمراءه من

(1) ابن الطقطقي. **الفخري** . ص. 169.

(2) الجهشياري. **الوزراء والكتاب** . ص . 77.

(3) ابن الطقطقي. **الفخري** . ص . 169، 170.

الدخول حتى بقي وحده، فأخذ المنصور يعنفه ويتغير له، ويعدد ذنوبه بعد أن قال له : أرن سيفك هذا، فأخذه ونظر فيه ووضعه تحت طراحته، فبقي أبو مسلم يعتذر ويقول : ما قتلت من يسمي مولانا أمير المؤمنين إلا في إقامة دولتكم، ثم صفق بيده المنصور فخرج العشرون فذل أبو مسلم وقال :" يا أمير المؤمنين استبقني لعدوك، فقال : وهل أعدى لي منك ؟ فقطعوه في الحال، ولفّ في بساط وألقوا رأسه إلى أصحابه خارج القصر . (1)

وكان على أبي جعفر مواجهة قواده وجنده الخراسانية الذين كانوا رهن إشارة أبي مسلم، غير أن أبا جعفر استطاع أن يصرفهم بالأموال، والهدايا، والجوائز الضخمة، التي جعلتهم يعودون منصرفين من عنده . (2)

وقد تعددت الروايات حول طبيعة المقابلة التي جرت بين الخليفة وأبي مسلم، ومادار بينهما من حوار ساخن، بعضها موضوع وبعضها مبالغ فيه وفي ذكر التهم التي وجهها الخليفة له : "ومن المحتمل أن تكون بعض هذه التهم موضوعة أوأنها لم تثر أصلا في هذه المقابلة. وذلك أن الإخباريين والرواة في محاولتهم توضيح العداوة بين الخليفة وأبي مسلم رجعوا إلى أحداث ومناسبات عديدة في الماضي البعيد والقريب، وقع فيها احتكاك بين الرجلين، فاعتبرها الإخباريون سببا في مقتل أبي مسلم، وقد جمع بعض الإخباريين هذه الأحداث وتخيلوا أنها كانت موضوعة للنقاش، بين أبي جعفر وأبي مسلم في تلك المقابلة الأخيرة، في حين أن ظروف المقابلة، وقِصر تصميمها، وتصميم الخليفة على قتل أبي مسلم لم تكن في الواقع تستلزم ذلك الإستجواب الطويل" . (3)

وهكذا استطاع أبو جعفر أن يقضي على شخص أبي مسلم، ولكنه لم يستطع أن يمحوه كرمز للنضال والقوة، حتى غدا أسطورة نُسجت حولهاقصص مبالغ فيها، بل إنه أصبح بالنسبة للمتمردين في إيران المنقذ الذي سيعود إلى هذه الأرض "ليملأها عدلا، بعد أن ملئت جورا" (4)

---

(1) الذهبي . **دول الإسلام** . تحقيق فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى ابراهيم . [د.م] : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ج. 1 ، ص. 93 . وأيضا : المسعودي. مروج الذهب. ج . 3 ، ص. 304. الطبري . **تاريخ** .ج.7 ، ص. 492. أبي الفداء . المختصر في أخبار البشر . بغداد : مكتبة المثنى [د.ت] ، ج.1 ، ص . 214 ، 215.

(2) ابن الطقطقي. **الفخري**. ص. 171 ، المسعودي . مروج الذهب. ج.3. ص. 305

(3) فاروق عمر . **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين** . ط.2 ، بيروت : دار اقرأ، 1406هـ/ 1985م ، ص. 154.

(4) SADIGHI : LES MOUVEMENTS RELIGIUESE IRANIENS -PARIS 1938

نقلا عن : فاروق عمر . **المرجع السابق** ، ص. 155.

كان أبو مسلم الخراساني رمزا للمعارضة ضد السلطة العباسية، والحقيقة أنه لم يكن من أصحاب الرسالات، أو منقذا منتظرا، بل كان رجل أحداث إمتاز بقدرته على المراوغة السياسية، واستطاع أن يجمع الناس من حوله، وأن يوجه فكرهم نحو قضيتهم السياسية، واستطاع بذكائه، ومقدرته الحربية أن يؤلف جيشا استطاع أن يجعله رهن إشارته مطيعا لأوامره مؤيدا لسياسته التي تهدف إلى حماية الدعوة، وإرساء قواعد الدولة الجديدة محبطا كل مؤامرة تثور في وجهها. (1)

ويبدو أن خراسان بمواردها الإقتصادية والبشرية الكبيرة كانت تغري أبا مسلم بالإنفصال عن السلطة المركزية، ويرى الدكتور فاروق عمر (2) أن أبا مسلم بطموحاته الواسعة كان يخطط للإنفصال، أو على الأقل لإيجاد صيغة لا مركزية للعلاقة السياسية والإدارية بين خراسان والسلطة العباسية المركزية، وإذا صحت هذه الفرضية فقد حاول أبو مسلم أن يحقق ما حققه الطاهريون بعده في خراسان، على أن طموحات أبي مسلم جاءت في غير أوانها، ذلك لأن دولة المنصور كانت في أوج عزتها وقوتها.

ومن هذا المنطلق فإننا نرجح أن اغتيال أبي مسلم الخراساني جاء نتيجة للصراع بين نزعتين سياسيتين : الأولى، تميل إلى الإنفصال الإقليمي، والثانية : تميل إلى الوحدة والتماسك، وتأكيد السلطة المركزية، وقد انتصرت عوامل الوحدة والتماسك، على عوامل الإنفصال والإقليمية بفضل دهاء المنصور، وتدبيره الفذ.

ولعل شخصية أبي مسلم الغريبة والعجيبة، استغلتها بعض المذاهب المنحرفة التي تمردت في المشرق، والتي نادت بالثأر له من العباسيين، ومن هؤلاء المتمردين سنباذ، وأستاذ سيس، والمقنع الخراساني، وعبد الجبار الأزدي ... وسوف نعرض فيما يلي لكل حركة على حدة، بنوع من الإيجاز، مع توضيح الدور الخراساني فيها.

2ـ 3 ـ حركات المعارضة بعد نهاية أبي مسلم الخراساني.

رأى العباسيون الأوائل أن دعوتهم السرية تسللت إليها عناصر مختلفة انضوت تحت لوائها، وتسربلت بردائها، وكان من بينها طوائف ظلت تعتنق دياناتها القديمة المنحرفة، وتؤمن بعقائدها الزائفة، وتحاول أن تظهرها حينا .. وتدعوا إليها في كثير من الأحيان، مع إشاعة ما فيها من تعاليم فاسدة مليئة بالإغراء على ارتكاب المحرمات، والإنغماس في

---

(1) انظر : فاروق عمر . **طبيعة الدعوة العباسية** . مرجع سابق ، ص . 244.

(2) فاروق . **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين** . مرجع سابق . ص . 158.

أساليب الضلال .. ونشر الريبة والشك في نفوس الضعاف، مستهدفين بذلك تحطيم ذلك السياج الديني في خراسان من أيام كان أبو مسلم يتولى الدعوة فيها للعباسيين سرا. (1)

وما لبثت هذه العناصر حتى أخذت تستهدف إحياء أمجاد الفرس القديمة، وتعمل على استعادة مكانتها السياسية البائدة، وتتخلص من الحكم العربي الدخيل، وتحول أنظار الناس عن دين الله الحق باعتباره رسالة ملتصقة بالعرب وبجهادهم، ويؤيد هذا ما ذكره المقريزي حين قال :"واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام، أن الفرس كانوا من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر على نفسها بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على يد العرب وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطرا، تعاظم الأمر وتضاعفت المصيبة، ورامو كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق وكان من قائميهم سنباذ، والمقنع، وبابك وغيرهم". (2)

بالإضافة إلى أنهم وجدوا أن مقتل أبي مسلم الخراساني على يد الخليفة المنصور فرصة للخروج المسلح، ومحاولة لضرب استقرار الدولة الناشئة، وتشتيت قواتها، وإضعاف وحدتها فاتخذوا من أبي مسلم زعيما دينيا لا قائدا عسكريا فحسب، فكانوا يندفعون وراء كل ثائر لمقتله،ناقم على السلطة العباسية، مع خيبة الأمل التي مُني بها أهل خراسان عندما أحسوا أن السلطة الجديدة لم تحقق ماوعدت به، ولم تطبق مِعْشَار المبادئ والشعارات التي رفعتها أيام الدعوة السرية .

ومن هنا قامت هذه الحركات المعارضة في مناطق مختلفة من إقليم خراسان وغيره، ترفع راية العصيان والتمرد على السلطة العباسية، مع العلم أنها اكتسبت خبرة في القتال، وأفادت من الثورة العباسية، ولم يكن لبوسها ثورات وحركات عسكرية فقط، إنما اتخذت لبوسا فكريا يتسرب إلى عقول العامة والدهماء من الناس .(3) ولكن الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول استطاعت أن تقضي على هذه الحركات بفضل العقيدة الصحيحة الجامعة بين أغلبية المجتمع الإسلامي مع الحنكة العسكرية التي كان يتسم بها الخلفاء الأوائل لدولة بني العباس.

وسوف نعرض لهذه الحركات باختصار ونوضح فيها مدى مشاركة أهل

---

(1) ابراهيم أحمد العدوي . **المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية** . مصر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، 1961 . ص. 100.

(2) المقريزي. **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار** (المعروف بالخطط المقريزية) . القاهرة : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، [د.ت] . ج. 2 . ص . 362.

(3) أحمد ابراهيم الشريف. حسن أحمد محمود. **العالم الإسلامي في العصر العباسي** . مرجع سابق . ص . 82.

خراسان سواء من كان منهم من العرب أو من العجم.

2ـ3ـ1ـ حركة سنباذ :

كان سنباذ من إحدى قرى نيسابور، وهو من أتباع أبي مسلم وصنائعه، ولذلك كانت ثورته غضبا لقتل أبي مسلم وطلبا بثأره .وادعى كذلك بأن أبا مسلم لم يمت بل انقلب إلى حمامة بيضاء، وهرب، وأنه عائد لا محالة" (1)، وقد غلب سنباذ على خزائن أبي مسلم التي خلفها بالري، وكثر أشياعه، وأطاعه كثير من أهل خراسان، وغلب على كثير من بلادهم. (2) وإذا تمعنا في الشعارات التي رفعها سنباذ نجد أنها شعارات مزجت بين تعاليم إسلامية غالية، وخرمية (3)، ومزدكية. (4) وهذا يدل على أن سنباذ جمع في دعوته عناصر مختلفة، إسلامية وغير إسلامية، من أجل أن يجمع أكبر عدد ممكن من الأتباع، ولهذا كانت شعاراته سياسية ودينية في آن واحد، فكان يبشر الفرس المجوس بأن حكم العرب المسلمين صائر إلى الزوال لا محالة، وأن دولة المجوس آتية لاريب فيها، كما أنه وعد أتباعه بالذهاب إلى الحجاز وهدم الكعبة،(5) وفي هذا ترضية للعناصر المجوسية باستبدال الكعبة بالشمس قبلة في أثناء الصلاة، والعبادة، والمعروف أن الشمس لعبت دورا رئيسيا في العبادات

(1) الطبري . **تاريخ** . ج.7. ص. 495.

(2) ابن الطقطقي . **الفخري** . ص . 171.

(3) الخرمية : وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلون بأبي مسلم وإمامته، وقد تنازعوا ذلك بعد وفاته ، فمنهم من رأى أنه لم يمت حتى يظهر فيملأ الأرض عدلا ، وفرقة قطعت بموته وقالت بإمامه إبنته فاطمة ، وهؤلاء يدعون بالفاطمية . انظر : المسعودي **مرجع الذهب** . ج.3 ، ص. 305.

(4) المزدكية : "من ديانات الفرس ، تنسب إلى مزدك من أهل نيسابور ، وكان في زمن قباذ ملك فارس (448م ـ 531م)، وهي تتفق مع المجوسية والزرداشتية ، والمانوية ، والديصانية وغيرها في أصول العقيدة ، وتختلف عنها في بعض النظريات وأمور الفلسفة والإجتماع .. والمزدكية تذهب إلى أن الكون يقوم على ثلاثة عناصر : الماء والنار والأرض ، ومن اختلاط هذه العناصر بعضها ببعض انبثق مدبر الخير من صفوها ، وظهر مدبر الشر من كدرها .. وزعم مزدك أن الله يجلس على كرسي في الملكوت الأعلى ، وبين يديه أربع قوى هن: التمييز ، والفهم ، والحفظ ، والسرور ... أنظر : أحمد عبد الغفورعطار . **الديانات والعقائد في مختلف العصور** .ط . 1 ، مكة المكرمة : (د . ن) . 1401هـ/1981م . ج . 1 ، ص . 272 ، وانظر أيضا : الشهرستاني . **الملل والنحل** . ج .2 ، ص. 275

(5) ابن الطقطقي . **الفخري** . ص .171.

الفارسية القديمة، وقد حاول "بها فريد" (1) أن يجدها في تعاليمه، وجاء سنباذ ليؤكد هذا المبدأ .

وكثر أتباع سنباذ، وأصبحوا يعدون بالآلاف، وقد تحرك من نيسابور إلى الري يريد العراق، وحين احتل الري أسر عددا كبيرا من المسلمين، وخاصة النساء منهم اللواتي سباهن، وهن على جمال، وأمر بإخراجهن قدام المعسكر، فخرج النساء حواسر على الجمال، وصحن صيحة واحدة ـ وامحمداه! (2) وحين تحرك سنباذ باتجاه همذان اضطر الخليفة المنصور إلى تجهيز حملة مستعجلة بقيادة جهورين مرار العجلي، وكان تعداد المقاتلة 10 آلاف رجل ثم تبعتها تعزيزات جديدة، وقد انضم إلى الجيش العباسي العرب المسلمون الذين كانوا مستقرين في منطقة الجبال بقيادة عمر بن العلاء، وربما انضم إلى هؤلاء المتطوعة بعض الموالي من سكان الجبال والري، والتقى الجيشان في موقعة جرجنبان بين الري وهمذان، وقد أظهر عمر بن العلاء شجاعة فائقة في المعركة، مما أدى إلى هرب سنباذ والتجائه إلى اصبهذ طبرستان (3) وتروي المصادر التاريخية بأن عدد القتلى أربى على الـ 60 ألفا، وسبي الكثير من النساء والأطفال . (4)

وقد رحب أمير طبرستان بسنباذ أول الأمر حيث أرسل أحد الأمراء ليستقبله، إلا أن أمير

---

(1) بها فريد بن فرفار: من مواطني زوزان وهي مدينة بين نيساور وهراة ، وذهب إلى الصين وبقي عدة سنوات ، وحين رجوعه جلب معه قميصا أخضر مع رداء ثم اختفى بعد أن تظاهر بالموت لمدة سنة كاملة ، ثم ظهر وادعى أن الله أماته منذ سنة ثم أجلاه مرة ثانية ، وخلع عليه من خلع الجنة التي ما يوجد مثلها في الدنيا .. وادعى النبوة ، وأظهر كتابا باللغة الفارسية زعم أنه أوحي به إليه ، وبشر بأنه خليفة زرداشت إلا أنه عدل عنه في بعض تعاليمه، مثل الإمتناع عن شرب الخمر ، وأكل الميتة، ونبذ عادة الزواج بالأمهات ، والأخوات .. وكانت هذه عادة متبعة لدى أتباع زرداشت ، وأمر بها فريد أتباعه بالصلاة سبع مرات يوميا يتوجهون فيها إلى الشمس ... كما كان من الداعين إلى (مذهب الرجعة) ومغزاه أن الإنسان لا يموت ، وإنما يختفي في مكان ما ، وأنه إذا مات سيعود إلى هذه الدنيا قبل يوم البعث ، وقد ثار بهافريد قبل إعلان الثورة في رمضان سنة 129هـ ، ولم يقف أبو مسلم ضده ، بل على العكس إستفادة منه أول الأمر باعتباره عاملا جديدا يزيد في ضعف الأمويين في خراسان ، وحين احتل أبو مسلم نيسابور سنة 131هـ كان لابد أن يقضي على بها فريد ، فخراسان لا تتسع لأكثر من دعوة واحدة ، وهذه الدعوة من وجهة نظر أبي مسلم يجب أن تكون الدعوة العباسية .

أنظر : فاروق عمر . **العباسيون الأوائل** . بيروت : دار الإرشاد، 1970، ص .ص . 280، 284.

(2) ابن الطقطقي . **الفخري** ، ص . 171.

(3) اصبهذ طبرستان، اصبهذ : اسم أعجمي كان ملوك الفرس يطلقونه على الرجل الذي يولونه على بلاد طبرستان ويسمونه الإصبهذ، وطبرستان : طبر : معناه الجبل . طبرستان : تعني بلاد الجبل ، وفي المئة السابقة (الثالثة عشر) أي في نحو زمن الفتوحات المغولية بطل استعمال اسم طبرستان على ما يظهر وحل محله اسم ما زندران . كي لسترنج ـ **بلدان الخلافة الشرقية** ـ مرجع سابق ، ص. 409 ، ابن منظور . **لسان العرب** . ج.1 ، ص . 86.

(4) **المقدسي. البدء والتاريخ** . ج.6 ، ص.82 ، المسعودي . **مروج الذهب** . ج.3، ص. 306.

طبرستان لم يكن راغبا في تكدير علاقته بالخليفة العباسي، وقد رأى في التجاء سنباذ له مبعثا لإثارة مشاكل معقدة مع السلطة العباسية، وفي إقليمه، ولذلك دبر مؤامرة قتله ،

،وهكذا خمدت حركة سنباذ بعد مدة قصيرة من إعلانها حيث لم تستمر أكثر من شهرين ونصف تقريبا. (1)

وقد تميزت هذه الحركات بتأييد البسطاء من أهل القرى، والمدن الخراسانية، وقد يكون ذلك نتيجة خيبة هؤلاء في الحكم العباسي، أو حتى عدم انتشار الإسلام كما ينبغي في مناطق إيران الشمالية الوعرة، وكذلك بعض أقسامها الجنوبية، وهذا بدوره يفسر محاولات الخلفاء العباسيين المتلاحقة لإخضاع طبرستان، والري، والجبال، وأرمينية، وسجستان، كما حدث في أيام المنصور وحفيده الرشيد . ولا يمكن اعتبار هذه الحركات الثورية بأنها (ثورات قومية) ذلك لأن الإيرانيين انضموا بعد فشل هذه الثورة مباشرة إلى القائد العربي جهور العجلي، الذي اختلف مع المنصور على تقسيم الغنائم، وتسليم خزائن أبي مسلم، فالمصالح الشخصية لعبت هي الأخرى دورا هاما في هذه الحركات حيث انضم المتذمرون إلى كل ثائر يرفع شعار الثورة على خلافة بني العباس . (2)

2ـ3ـ2ـ حركة أستاذ سيس :

بعد القضاء على ثورة سنباذ قامت بخراسان حركة في سنة 150هـ ـ 767م، بقيادة المدعو أستاذ سيس، وقد كان على ما يظهر أميرا للدولة العباسية على بعض الجيوش الخراسانية (3) فخرج بها عن طاعة الدولة وسرعان ما استفحل أمره وكثر أتباعه حتى بلغوا ثلاثمائة ألف مقاتل (4) ، تمكن بواسطتهم من الإستيلاء على هراة، وباذغيس (5)، وسجستان (6) وتشير الروايات إلى خطورة هذه الحركة فتقول :"وعظم الخطب، واستفحل الشر، واشتد على المنصور الأمر" . (7)

---

(1) فاروق عمر . **الخلافة العباسية** .مرجع سابق ، ص. 193.

(2) فاروق عمر . **العباسيون الأوائل** . مرجع سابق ، ص 288، 289.

(3) السيوطي . **تاريخ الخلفاء** . ص. 244

(4) **العيون والحدائق** . ج.3 ، ص . 262.

(5) باذغيس: هي ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ، ومرو الروذ ، وقيل أصلها بالفارسية باذخير معناه قيام الريح أو هبوب الريح لكثرة الرياح بها . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج.2 ص. 31.

6) سجستان: هي ناحية كبيرة وولاية واسعة جنوب هراة ، وأرضها كلها رملة سبخة والرياح فيها لا تسكن أبدا . أنظر . ياقوت . **معجم البلدان** . ج.5 . ص .37.

(7) السيوطي . **تاريخ الخلفاء** . ص .244.

وقد دعا أستاذ سيس إلى نفس المبادئ التي نادى بها "بهافريد"، ويؤكد الشهرستاني ذلك فيقول : "بأن كلا الفريقين السيانية [نسبة إلى أستاذ سيس] والبهافريدية تعود في الأصل إلى فرقة مجوسية واحدة" (1)، وهذا القول يؤكد أن أستاذ سيس، جاءت تعاليمه استمرارا لتعاليم بهافريد .

ولما بلغ المنصور أمر استفحال حركة أستاذ سيس بادر إلى إسناد مهمة مواجهة هذه الثورة إلى إبنه وولي عهده محمد المهدي الذي كان يعسكر بقواته آنذاك بالري، وأمده بجيش إضافي يقدر عدده بنحو ألف مقاتل بقيادة خازم بن خزيمة التميمي (2) ، فلما وصلت تلك الإمدادات إلى المهدي، انتقل بجيشه من الري إلى نيسابور حيث عسكر فيها لقتال أستاذ سيس . (3)

على أن كثرة القيادات وعدم انتظامها في الجيش العباسي أدت إلىانهزامه في عدد من المعارك وحينئذ طلب التميمي من المهدي أن يعطيه القيادة العامة للقوات، وأن يأمر كل القواد بإطاعة أوامره، فكان له ما أراده، ولكن مقاومة أستاذ سيس ومساعدة الحريش (4) كانت لا تزال قوية صامدة فطلب خازم التميمي العون من المهدي الذي أمر بدوره القوات الإسلامية في طخارستان بالتوجه إلى خازم التميمي لمساندته وقد استغل خازم بن خزيمة عامل الوقت فاختار قبل قدوم أستاذ سيس بجيشه لملاقاته موضعا يحيط به خندق عظيم تحصن فيه، وأدخل فيه جميع أصحابه وما يحتاج إليه من مؤنة، وجعل له أربعة أبواب ودعم كل باب بقوة من أصحابه. (5)

أقبل أستاذ سيس بجيشه ومعهم الفؤوس وغير ذلك من أدوات الحفر لردم الخندق واقتحامه فهجموا على الخندق من الباب الذي كان عليه بكار بن مسلم هجمة شديدة لم يستطع المدافعون عنه من الصمود، فكاد أستاذ سيس أن يجد ثغرة يدخل بها الحصن لولا ثبات بكار بعدد من أفراد عشيرته وأهله حتى تمكن من ردهم (6). وحاولت فرقة أخرى بقيادة الحريش التقدم لمهاجمة الباب الذي كان عليه خازم بن خزيمة، وعندئذ لجأ خازم الحريش التقدم

---

(1) الشهرستاني. **الملل والنحل** . ج.2 ، ص 267

(2) خازم بن خزيمة التميمي : أحد نظراء النقباء العباسيين ،وهو من أهل خراسان، انظر **أخبار الدولة العباسية** . ص.220.

(3) الطبري . **تاريخ** . ج .8 ، ص. 29.

(4) من أبناء سجستان ، كان هو الذي يدبر أمر أستاذ سيس . أنظر : **العيون والحدائق**. ج . 3 ، ص . 263 .

(5) الطبري .**تاريخ** . ج .8 ، ص . 30. ابن الأثير. **الكامل** .ج. 5 ، ص . 23

(6) الطبري . **تاريخ** . ج.8 ، ص. 31 ،**العيون والحدائق**.. ص 263.

لمهاجمة الباب الذي كان عليه خازم بن خزيمة. وعندئذ لجأ خازم إلى خطة بارعة لإنزال الهزيمة بهم .

إذ أرسل إلى قائد ميمنته يطلب منه الخروج بقوة من جيشه حتى يبتعد عن نظر جيش أستاذ سيس، فإذا ما انشاغل هؤلاء بالهجوم على خازم التف هو من حلفهم، قادما صوبهم، رافعا الرايات، معلنا وصول الإمدادات من طخارستان، وقد تمت تلك الخطة بنجاح، وأوقع خبر قدوم الإمدادات من طخارستان الرعب في صفوف العدو، وعمهم الإرتباك فأحاط بهم أصحاب خازم من الأمام ولقيهم قائد الميمنة بقواته من الخلف، بينما خرجت قوات أخرى من الميسرة فدارت معركة رهيبة بين الطرفين انتهت بهزيمة أستاذ سيس، وقتل من أصحابه نحو سبعين ألف مقاتل وأسر أربعة عشر ألفا آخرين بينما فر الباقون. (1) وهرب بعدها أستاذ سيس بعد تحققه من الفشل، والتجأ إلى الجبال مع من تمكن من اللحاق به من أتباعه، غير أن قائد الجيش العباسي لم يهملهم إنما أمر بتتبعهم بعد أن تخلص من الأسرى بضرب أعناقهم، وسار إلى المكان الذي لجأ إليه أستاذ سيس فحصره، حتى اقترح هو نفسه التسليم فقبل ذلك خازم التميمي وأوثقه مع بنيه، وأهل بيته بالحديد، وأعنق الباقين، وأرسله إلى المهدي الذي أرسله بدوره إلى الخليفة المنصور الذي أمر بقتله، وبذلك انتهت حركة أستاذ سيس بالهزيمة سنة 151هـ/768م(2) .

2ـ3ـ3ـ حركة المقنع الخراساني :

أهمل العباسيون مطالب العديد من الجماعات التي ساعدتهم في قيام دولتهم، وقصّروا في تحسين أوضاعها، وتأمين حاجاتها بعد تسلمهم الحكم، وكان لهذا الإهمال أثره الواضح في ظهور حركات مناوئة للحكم العباسي الجديد، ومن بين هذه الحركات حركة المقنع التي كانت حلقة في سلسلة من الحركات الدينية والسياسية الخراسانية التي دعت إلى إعادة مجد إيران القديم، بتقاليده، وديانته الموروثة، وإلى إنهاء السيادة العربية الإسلامية عليها .

الا أن أول مشكلة يواجهها الباحث في هذه الحركات هي قلة المصادر التاريخية الموثوقة، من ندرة المعلومات واقتضابها حينا، وتناقضها أحايين أخرى، ويذكر الدكتور فاروق عمر (3) أن حركة المقنع إذا قارناها بغيرها فإننا نلاحظ كثرة المعلومات التاريخية نسبيا فيما يتعلق بتاريخ (المقنعية) السياسي، أما بخصوص مبادئ المقنع وآرائه، فإن الباحث يعود

---

(1) الطبري . **تاريخ** .ج.8، ص31 ، **العيون والحدائق** . ج.3، ص.263

(2) العيون والحدائق . ص. 263 ، السيوطي . **تاريخ الخلفاء** .ص . 244، ابن الأثير . **الكامل** . ج. 5 ، ص. 28

(3) فاروق عمر . **بحوث في التاريخ العباسي** .مرجع سابق ص . 169

فيجد به مشكلة ندرة الأخبار وتناقضها .

وقد ظهرت حركة المقنع الخراساني في سنة 159هـ/775م (في الأغلب)، و تناقضت الروايات التي تشير إلى بدء حركة المقنع، فيذكر ابن الأثير (1) "أن المقنع ثار في ولاية حميد بن قحطبة الطائي" (2) ولعل هذه الرواية هي أصح الروايات لأن هذا الأخير كان واليا على خراسان حتى سنة 159هـ، حيث توفي وأعقبه في ولاية خراسان أبو عون الأزدي. (3)

واختلف المؤرخون كذلك في اسمه ونسبه، فتشير بعض الروايات إلى أن اسمه عطاء (4) أو حكيم (5)، وعرف بالمقنع لأنه اتخذ لوجهه قناعا من الذهب يخفي به قبح منظره حيث كان أعورا، يبعث منظره على الكراهية، وقد ادعى أن القناع وضعه ليحول دون انبثاق الأشعة من وجهه ثم انتقل من آدم إلى صورة نوح ثم إلى صورة واحد فواحد من الأنبياء حتى حلّ في صورة أبي مسلم الخراساني، حيث انتقل أخيرا منه إلى شخصه هو - أي المقنع - (6) وتشير بعض الروايات إلى أن سبب اتخاذه القناع هو دمامته، وقبح منظره، فقد كان أعورا، ألكنا، قصيرا، مشوه الخلقة .(7) ويرجع بعض الباحثين أنه اتخذ القناع مبالغة منه في التستر وكتمان شخصيته (8)

وقد استجاب عدد كبير من العامة إليه، وأخذ يبيح لهم أشياء كثيرة تهدم تعاليم الإسلام وتقوض أركانه، فقد أسقط عن أتباعه الصلاة، وكلفهم أن يسجدوا له فقط، وأن يولوا وجوههم في تلك الصلاة نحو المكان الذي يقيم فيه، كما أمرهم بترك الصوم، والحج، وعدم دفع الزكاة، وأباح لأتباعه كذلك الإباحية في النساء (9) لأنه وجد في ذلك سبيلا لاجتذاب أعداد كبيرة منهم حوله.

---

(1) ابن الأثير . ج.5 ، ص.52.

(2) حميد بن قحطبة الطائي . من أهل خراسان . وأحد نظراء النقباء في الدعوة العباسية ، واشترك في الفتوحات التي صاحبت قيام الدولة . انظر : **أخبار الدولة العباسية** . ص .351.

(3) أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي: أحد نظراء النقباء في الدعوة العباسية . انظر : **أخبارالدولة العباسية** . ص. 129.

(4) الجاحظ.**البيان والتبيين** . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . ط.4، بيروت : دار الفكر، 1367هـ 1948م ، ج. 3 ، ص . 103.

(5) الطبري . **تاريخ** . ج.8 ، ص . 135.

(6) البغدادي . **الفرق بين الفرق** . ص . 156، وانظر : المقدسي . **البدء والتاريخ** . ج .6 ، ص. 97.

(7) ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج.2 ، ص. 426، ابن الطقطقي . **الفخري** . ص. 180.

(8) ابتسام أكرم مندورة . أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي. مكة المكرمة : قسم الدراسات العليا للتاريخ الإسلامي والحضارة . كلية الشريعة . جامعة أم القرى . 1410هـ 1990، (رسالة دكتوراه) ، ص 67.

(9) البغدادي. **الفرق بين الفرق** . ص. 155

ودعم المقنع مكانته في نفوس أتباعه من خلال بعض الأعمال التي قام بها، والتي بدت وكأنها أعمال خارقة، فقد كان خبيرا بالهندسة والحيل وهي الأمور التي تساعده على تنفيذ بعض الأشياء التي يصعب على الناس في تلك الحقبة فهم سرها، وحملهم على الإيمان بها، وكأنها ضرب من المعجزات، ومن ذلك أنه حفر بئرا في إحدى مناطق الجبال القريبة من مقره، وطرح فيها الزئبق الكثير فوق الماء، حتى صارت الأشعة تنعكس عليه ويراها الناس في الجو أشبه بالقمر، وكان الناس يرون هذا القمر الصناعي على مسيرة شهر من مكانه، حيث يختفي بعد ذلك إلى أن يجدد المقنع وضع الزئبق، واستهوت هذه الخدعة عددا كبيرا من العامة. (1) ونستطيع أن نجمل تعاليم المقنع التي جاء وبشر بها أتباعه كالآتي (2) :

1. إدعى المقنع الألوهية.

2 ـ نادى بالحلول والتناسخ معا.

3 ـ إدعى بأنه بعد وفاته سيعود إلى هذه الأرض لينشر العدل وليحكم أتباعه هذا العالم، ولقد ظل المقنع مخلصا لهذا المبدأ حتى وفاته، فإنه رمى بنفسه في النار حين حاصره الجيش العباسي، ولم يترك أثرا له، ولذلك أعتقد أتباعه بأنه اختفى وسيعود حتما.

4 ـ قدس أبا مسلم الخراساني، ونادى لأفضليته حتى على الرسل.

5 ـ أسقط الفرائض من صوم وصلاة وزكاة، وحرم على أتباعه القول بأن هناك حراما وحلالا.

6 ـ طبق تعاليم "مزدك" على أتباعه، وخاصة ما يتعلق منها بإباحة النساء والأموال فيما بينهم.

7 ـ أعطى الحق لأتباعه بقتل كل من يخالفهم في المعتقد، وأن يسبوا نساءهم وأطفالهم ويسلبوا ممتلكاتهم.

وبعد أن وجد المقنع الخراساني بأن علنية الحركات السابقة كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى سرعة فشلها، فإنه لجأ منذ سنة 149هـ/767م (3) إلى السرية والتكتم الشديدين لثورته، مستفيدا على ما يبدوا من درس الدعوة العباسية. وقد مرت حركة المقنع بمرحلتين: (4)

---

(1) القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد. ص. 155

(2) أنظر : **العيون والحدائق** . ص. 273، وانظر أيضا : ابن الطقطقي . **الفخري** ، ص. 244، 245 . البغدادي . **الفرق بين الفرق** . ص. 155، الشهرستاني . **الملل والنحل** . جـ .1، ص . 152. ابن الأثير . **الكامل** . ج. 5، ص . 52.

(3) باعتبار أن حركة المقنع قد انتهت سنة 163هـ ، فكان التمهيد لها منذ سنة 149هـ . انظر : البغدادي . الفرق بين الفرق . ص. 155.

(4) ابتسام أكرم منذورة . **أوضاع الدولة العباسية وعلاقتها** مرجع سابق ، ص . 70.

أولهما : المرحلة السرية : والتي كشف المقنع في أثنائها عن ذكاء ودهاء كبيرين، ففي حين نجده مختبئا في مقره بمرو الشاهجان، كان دعاته يجوبون أنحاء خراسان لنشر دعوته، وكانوا يلوحون لكل فئة من الناس بالشعارات التي تستهويهم من تعاليم المقنع، ولذلك فقد انضم إليه كما تشير الروايات المختلفة خلائق لا يحصون، واستطاع المقنع بما أظهره من تمويهات، وسحر عظيم، أن يأسر عقولهم، وكانوا يسجدون له من أي النواحي كانوا .. وعندما ألح عليه أتباعه في طلب رؤيته قال لهم : هذا شيء سأله قوم موسى فاحترقوا، وذلك في القرآن في قوله تعالى :"وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون" (1) فقال قوم منهم : رضينا بذلك، ويجوز أن نراك نحترق، فوعدهم يوما، وأمر فوضع في منبر مقابلة الشمس وقت الضحوة، وعلق مرآة من الحديد الصيني فوق المنبر بحيث يكون شعاعها الخارج بينهما بالزاوية القائمة في مقابلة الباب الذي يدخلون منه، ثم أذن لهم بعد ارتفاع النهار، وأمر برفع الستر، فلما وقع عليهم الشعاع احترق منهم قوم، وهرب الباقون من ذلك المكان، فاغتر به القوم، واعتقدوا أنه لا تدركه الأبصار . (2)

هذه الحادثة، واستشهاد المقنع بآيات قرآنية، تثبت أن هناك أعداد من المسلمين في خراسان قد اتبعت المقنع، وانضمت إلى دعوته، وهذا نتيجة لرقة إسلامهم، وضعف إيمانهم، وبقاء رواسب من المذاهب المنحرفة القديمة في نفوسهم .. بل إن الشيعة الغلاة وجدوا في دعوة المقنع عشا يختبئون فيه، وستارا يخفي غلوهم، وفرصة لإعلان تذمرهم وسخطهم على الدولة العباسية التي غدرت بهم .. وقد فهم المقنع هذا الأمر، مما جعله يتبرأ من قتل يحي بن يزيد الشيعي، حتى يتقرب منهم، ويحصل على ولائهم له .

واستطاع المقنع أن ينجح في نشر دعوته سرا، حتى وصلت إلى بلاد ماوراء النهر(3) وجلب إليه الكثير من العناصر الثائرة من الإيرانيين، ومن العرب كذلك، فقد كان عبد الله بن عمر أحد العرب الخراسانية من أهالي مرو بين المتحمسين إلى دعوة المقنع حتى إنه زوجه ابنته، وكان من الدعاة الذين نشروا مذهبه في بلاد ما وراء النهر.

---

(1) سورة : البقرة . **الآية** (55)

(2) المقريزي. **الخطط** . ج.2. ص. 354.

(3) ما وراء النهر : يراد به ما وراء نهر جيحون ، فما يوجد في شرق هذا النهر يقال له ما وراء النهر ، وما كان في غربيه فهو خراسان . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج.7 ، ص. 370 . وانظر أيضا : كي لبسترنج . **بلدان الخلافة الشرقية** . ص. 476 .

ثانيهما : الجهر بالدعوة بعد أن استكمل المقنع خططه الدينية والحربية، أعلن حركته وقام بالثورة، وأخذ في الإغارة على القرى والقوافل الإسلامية (1) ، وقد حاول الوالي العباسي حميد بن قحطبة التصدي له، وجدّ في طلبه، ولكن المقنع هرب إلى بلاد ماوراء النهر، وعجزت الحاميات التي نصبها حميد بن قحطبة لمراقبة شواطئ نهر جيحون لمنعه من العبور (2) غير أن المقنع أفلت منهم، وتمكن من الوصول إلى مدينة كش (3) في حصن سنام (4) ، وهناك وجد حلفاء كثيرون له، وتحالفت معه المبيضة (5) في بلاد ماوراء النهر، واستطاع أن يلق أتباعه في الجهات التي كان له فيها نفوذ، فالتفّوا حوله، ورفعوا شأنه، حتى صار شعارهم في القتال "يا أبا هاشم أعنا" بدلا من ذكر الله سبحانه وتعالى . (6)

ولكن لم تلبث حركة المقنع أن دخلت في أعنف أدوارها، منذ مطلع خلافة المهدي بن المنصور حوالي سنة 160هـ، وصارت خطرا يجب القضاء عليه، فعبأ المهدي جيوشا كبيرة، جعل على رئاستها خيرة قادته، أمثال: أبو النعمان،والجنيد، وليث بن نصر، غير أن تلك الجيوش عجزت المرة تلو الأخرى عن القضاء على المقنع وأتباعه، من المبيضة المتمرسين على القتال.

وأخيرا أعد المهدي جيشا هائلا سنة 161هـ، بقيادة جبريل بن يحيى (7) الذي أبدى جهدا كبيرا في قتال المبيضة المتحصنة في بعض حصون بخارى، حيث تمكن ـ بعد أن اشتبك معهم في معارك دامت أربعة أشهر ـ من إنزال الهزيمة بهم، وإجلائهم من تلك الحصون، وقتل سبعمائة شخص منهم، ثم أخذ في تتبع فلولهم المنهزمة حتى لحقت بالمقنع في مأمنه (8).

---

(1) فاروق عمر . **العباسيون الأوائل** . مرجع سابق ، ص. 301 .

(2) شاكر مصطفى . **دولة بني العباس** . مرجع سابق ، ج. 1 ، ص. 292 .

(3) كش : قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج. 7 ، ص. 254 .

(4) سنام : قلعة بما وراء النهر أحدثها المقنع الخارجي . أنظر : ياقوت . معجم البلدان . ج. 5 . ص. 141 .

(5) المبيضة : هي من الفرق الخرمية التي تنادي بترك الفرائض الدينية . وتوالي أبا مسلم الخراساني . . . وقالوا بأن الدين معرفة الإمام فقط . إختارت اللون الأبيض شعارا لها ضد المسودة العباسيين الذين قتلوا أبا مسلم . وعلى ذلك فإن التبييض . كما يعني بصورة عامة العداء للعباسيين . ولكن إصطلاح المبيضة كان يقصد به في خراسان وماوراء النهر أتباع أبي مسلم من الخرمية . ويعتبر البغدادي المبيضة هم المقنعية . فليس هناك فرق بين الإثنين .أنظر : الشهرستاني . الملل والنحل . ج. 1 ، ص. 153 . وأنظر أيضا : البغدادي . الفرق بين الفرق .ص. 155 ؛ فاروق عمر .**الألوان ودلالتها السياسية في العصر العباسي الأول** . مجلة « كلية الآداب » ، العراق : جامعة البصرة . 1972 . ع. 6 ، ص. 161 .

(6) ابن الأثير . **الكامل** . ج. 5 ، ص. 52 .

(7) جبريل بن يحي العجلي الأزدي : أحد كبار القادة العباسيين . تم على يده بناء مدينة المصيصة بأمر من أبي جعفر المنصور سنة 141 هـ . ثم أرسله المنصور إلى قتال الترك بأرمينية سنة 147 هـ . وفي سنة 159 هـ ولاه المهدي على سمرقند ثم أرسله لقتال المقنع .أنظر ابن كثير . البداية والنهاية . ج. 5 ، ص. 103 . وانظر أيضا : ابن الأثير . **الكامل** . ج. 5 ، ص. 53 .

(8) ابن الأثير . **الكامل** . ج. 5 ، ص. 53 .

ولما وجد المهدي أن تلك المعارك قد استنفدت قوى جبريل بن يحيي عمد إلى اسناد القيادة إلى أبي عون عبد الملك بن يزيد، غير أن حدوث ثورة داخلية عنيفة بقيادة يوسف البرم الخارجي ببخارى في ذلك الوقت، أدت إلي تشتيت جهود أبي عون، فلم تتح له الفرصة كاملة لتوجيه ضربات ناجحة ضد المقنع، فعزله المهدي وهو ساخط عليه،وولى مكانه معاذ بن مسلم (1).

سار معاذ بن مسلم(2) لقتال المقنع بجيش تعداده سبعون ألف مقاتل، جاعلا على رأسه سعيد الحرشي (3)، الذي اتبع فنا حربيا جديدا فاجأ به المقنع واتباعه. وأنزل في قلوبهم الرهبة والفزع. ذلك أنه أمر بصنع أكثر من مائتي سلم من الحديد والخشب ليضعها على فتحة الخندق الذي حفر حول سور القلعة، كما جلب من مدينة مولتان بالهند عشرة آلاف من جلد الجاموس، حشيت كلها بالرمل، وألقي بها في الخندق حتى يساعد رجاله على عبوره، ومهاجمة المقنع في عقر داره، وكان المقنع قد جمع في قلعته كثيرا من المؤن والطعام والسلاح استعدادا لمقاومة الحصار إلا أن الحصار كان أكبر من أن يقاوم، مما جعل روحهم المعنوية تضعف، حتى بادر ثلاثون ألفا منهم إلى طلب الأمان سرا، فأجابهم الحرشي إلى ذلك، فكان ذلك سببا في سقوط الحصن(4). ولم يبق حول المقنع غير ألفين من المقاتلين، وأهل بيته، وعندئذ أدرك هذا الأخير أن لا أمل له في النجاة، فأشعل النار في القلعة وأحرق ما فيها من دواب، وثياب، ومتاع. وتشير بعض الروايات إلى أنه صنع محلولا ساما يقال إنه من النحاس، والسكر، أذابهما في إناء، وجمع نساءه وأولاده وأصحابه وقال لهم :« أنا صاعد إلى السماء، فمن أراد أن يصحبني فليشرب من هذا الشراب » وسقاهم منه، كما شرب هو منه أيضا، وأخذ بعد ذلك يلقي بنسائه وأولاده في النار، كما رمى فيها كثيرا من أتباعه بأنفسهم، وأخيرا اندفع المقنع إلى النار (5)، حتى لا يظفر المسلمون بجثته.

على أن انتهاء تلك الحركة لم يقض على أتباع المقنع الذين استمروا على ضلالهم، بعد موته، وتشير بعض المصادر إلى أن بعضهم ظل على عقائد المقنعية المنحرفةفي مناطق

---

(1) الطبري . **تاريخ** . ج. 8 ، ص. 128 .

(2) معاذ بن مسلم : أحد قدماء القادة العباسيين . اشترك في الحملة التي أرسلها المنصور لقتال الترك بأرمينية في سنة 147 هـ ، وظل في خدمة العباسيين حتى عهد الخليفة المهدي . أنظر : **أخبار الدولة العباسية** . ص . 225 . وانظر أيضا : ابن كثير . **البداية والنهاية** . ج. 5 ، ص. 103 ؛ الطبري . **تاريخ** . ج. 8 ، ص. 197 .

(3) هو يحي بن سعيد بن عمر بن الأسود الحرشي : من قواد الدولة الأموية . ولاه عمر بن هبيرة على خراسان سنة 103 هـ . ثم عزله عنها . فانحاز إلى جانب العباسيين . أنظر : ابن الأثير . **الكامل** . ج. 4 . ص. 183 .

(4) البغدادي . **الفرق بين الفرق** . ص. 156

(5) **المصدر نفسه** . ص. 156 . ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج. 2 ، ص. 426.

مختلفة من إيران، وخاصة منهم العوام، والضعفاء من الناس. ويذكر البغدادي : أن المقنع افتتن به أصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا له جثة ولا رمادا، وزعموا أنه صعد إلى السماء» (1)، وقالوا بأنه وعدهم " أن تتحول روحه إلى قالب رجل أشمط على برذون أشهب، وأنه يعود إليهم بعد كذا سنة، ويملكهم الأرض » (2)، ولذلك كانوا يترقبون عودته مجتمعين في قرى مختلفة من بلاد ما وراء النهر، على أن خوفهم من عامة المسلمين جعلهم يظهرون إسلامهم، وظلوا يعربدون في خراسان، وغيرها من البلاد التي تسللوا إليها،غير أنهم قهروا أخيرا من عامة المسلمين وزال أثرهم.

ولا شك أن المبادئ الدينية والسياسية التي نادى بها المقنع الخراساني كانت تمثل خطرا على الدولة العباسية وعلى كيانها السياسي، فمن وجهة النظر الدينية كانت تشكل سلسلة من الحركات المنشقة، التي تبرقعت بالإسلام، وتبنت بعض آرائه في الظاهر، ومن وجهة النظر السياسية كانت تشكل خطرا عسكريا وسياسيا يهدد الدولةالعباسية ونفوذها في المشرق الإسلامي (3).

ومن هنا يتضح لنا أن الثورات السابقة الذكر(ثورة سنباد، وثورةأستاذ سيس، وثورة المقنع الخراساني)، كانت كلها ردود فعل لمقتل أبي مسلم الخراساني، وقد حملت في طياتها العداء الشديد للإسلام والمسلمين في محاولتمنها لاستعادة أمجاد الدولة الفارسية.

2ـ3ـ4ـ حركة عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي

كان عبد الجبار الأزدي من أهل خراسان، وكان يعد من الدعاة السبعين (4)، في نشر الدعوة العباسية، ولما استتب الأمر لأبي العباس السفاح جعله رئيسا على شرطته، كما أقره أبو جعفر المنصور على نفس المنصب عند استخلافه (5)، ثم عينه سنة 140هـ واليا على خراسان (6).

وفي خراسان بدأ عبد الجبار بداية حسنة من الناحية الإدارية والمالية، حيث تشير المصادر إلى إصلاحاته، ولكنه عاد فتعسف في الجباية، وحين عارضه رؤساء القبائل العربية من أنصار العباسيين سجنهم، وقتل بعضهم بتهمة ميلهم للعلويين (7).

---

(1)البغدادي. **الفرق بين الفرق** . ص. 156

(2) المقدسي . **البدء والتاريخ** . ج. 6 ، ص. 98 .

(3) فاروق عمر . **بحوث في التاريخ العباسي** . مرجع سابق ، ص. 178 .

(4) **أخبار الدولة العباسية** . ص. 221 .

(5) الطبري . **تاريخ** . ج. 7 ، ص. 471 .

(6) **المصدر نفسه** . ج. 7 ، ص. 503 .

(7) فاروق عمر . **العباسيون الأوائل** . مرجع سابق . ص. 97 .

ولقد أثار مقتل أولئك الرؤساء المتشيعين للدولة العباسية غضب الخليفة أبي جعفر المنصور، وجعله يستشف نية عبد الجبار الأزدي للتمرد، وخلع الطاعة، وخاصة عندما طلب منه الخليفة المنصور أن يرسل بنجدات من جيش خراسان إلى القوات المرابطة على الحدود البيزنطية، فاعتذر له بعدم وجود قوات إضافية لديه، وأخبره بأن الترك قد جاشت، وإن فرقت الجنود ذهبت خراسان (1)، عندئذ وجد المنصور بأن الفرصة مناسبة لإرسال حملة عسكرية تسيطر على خراسان، وتقضي على عبد الجبار الذي كتب إليه « إن خراسان أهم إلي من غيرها، وأنا موجه إليك بجنود من قبلي » (2)، وبعد أن ورد عليه الكتاب تأكد المنصور تماما بأن عبد الجبار قد خرج عن دائرة طاعة الخلافة، لذلك توقف عن مكاتبته لتيقنه بأن المراسلات لم تعد ذات فائدة، بعد أن اتضحت نواياه(3). وبادر باتخاذ الإجراءات اللازمة لقمع تمرده.

ومن أجل أن يجلب عبد الجبار أنصارا جددا، رفع شعار الدعوة للعلويين ـ رمز المعارضة ـ وسأل محمدا ذا النفس الزكية، أو أخاه إبراهيم، المجيئ إلى خراسان. ولكن أيا منهما لم يذهب، ولذلك نصب عبد الجبار الأزدي شخصا عاديا مدعيا أنه ابراهيم بن عبد الله الحسني (4). فأرسل المنصور جيشا أسند قيادته لابنه المهدي، وأمره بنزول الري وتوجيه خازم بن خزيمة التميمي، وهو من أهل خراسان من العرب لقتال عبد الجبار، فسار المهدي بجيشه، وخازم في مقدمته يستطلع الأخبار، حتى وصل إلى الري، ومن ثم تقدم منها إلى نيسابور، فلما بلغ أهل مروالروذ خبر قدومه، تشجعوا وساروا إلى عبد عبد الجبار من ناحيتهم فناصبوه الحرب (5)، وذلك بسبب كرههم لإمارته، وتمكنوا بعد أن التقوا معه في معركة شديدة، من إنزال الهزيمة به، وانطلق عبد الجبار هاربا حتى لجأ إلى مقطنة فتوارى فيها (6).

ولما علم أهل مروالروذ بمكانه، تقدم إليه بعضهم، فتمكنوا منه، وأسلموه أسيرا للقوات العباسية حين وصولها، فألبسه خازم بن خزيمة جبة من صوف، وحمله على بعير محولا وجهه إلى ناحية عجزه تحقيراله، وسيره مع ولده وأصحابه إلى المنصور وذلك في سنة 142هـ (7).

---

(1) الطبري . تاريخ . ج. 7 ، ص. 509 .

(2) المصدر نفسه ج. 7 ، ص 509

(3) المصدر نفسه . ج. 7 ، ص. 509 .

(4) شاكر مصطفى . دولة بني العباس . مرجع سابق . ج. 1 ، ص. 252 .

(5) الطبري . تاريخ . ج. 7 ، ص. 509 .

(6) المصدر نفسه . ج. 7 ، ص. 509 .

(7) ابن الأثير . الكامل . ج. 5 ، ص. 506. الطبري . تاريخ . ج. 7 ، ص. 509 .

وقد أذاق المنصور عبد الجبار وأصحابه من الأساليب نفسهاالتي استخدمها خلال ولايته على خراسان. فبسط عليهم العذاب، وضربهم بالسياط، حتى استخرج منهم ما قدر عليه من الأموال (1)، وعندما عرف عبد الجبار بقرب مقتله سأل المنصور قائلا : « يا أمير المؤمنين قتلة كريمة، فقال "المنصور" : وراءك تركتها يا ابن اللخناء » (2)، ثم أمر فقطعت يداه ورجلاه وضرب عنقه (3).

2ـ3 ـ 5 ـ حركات الخوارج

ارتبط تاريخ الخوارج (4) في أزهى عصورهم بالبطل الكبير المهلب بن أبي صفرة(توفي سنة 83هـ)، وقد شهدت السنوات الأولى من العقد السابع للهجرة، وفاة القادة الذين ضيقوا الخناق عليهم، فتوفي المغيرة بن شعبة (سنة 50 هـ)، وزياد بن أبيه (53هـ)، ومعاوية بن أبي سفيان (سنة 60هـ)، وعبيد الله بن زياد (سنة 67هـ) فشعر الخوارج بأنهم تحرروا من أغلالهم، وبدأوا يتذكرون مآسيهم مع الأمويين، والدماء التي أراقها هؤلاء منهم. ومما ساعدهم على النهوض والتكتل من جديد، إضطراب الأحوال بعد موت الخليفة معاوية، ثم إنه كان قد تهيأ للخوارج قيادة رائعة على يد البطلين الشهيرين، نافع بن الأزرق(5)، وقطري

---

(1) الطبري . تاريخ . ج. 7 . ص 509 .

(2) الجاحظ . البيان والتبيين . ج. 2 ، ص. 111 . ابن اللخناء : الفاحشة .

(3) الطبري . تاريخ . ج. 7 ، ص. 509 .

(4) الخوارج : هم كل من خرج على الإمام الحق . الذي اتفقت عليه الجماعة . سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم ... وهم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد صفين وحادثة التحكيم . ورفعوا شعار « لا حكم إلا لله » بعد أن اعتبروا التحكيم جريمة كبيرة تستوجب التوبة . بل اعتبروه كفرا يجب الرجوع عنه . وكان علي رضي الله عنه يقول : « كلمة حق يراد بها باطل . نعم إنه لا حكم إلا لله . ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله . وإنه لابد للناس من أمير بر . أو فاجر . يعمل في إمرته المؤمن . ويستمتع فيها الكافر . ويبلغ فيها الأجل . ويجمع فيها الفيء . ويقاتل به العدو . وتأمن به السبل . ويؤخذ به الضعيف من القوي . حتى يستريح بر . ويستراح من فاجر ..» وقد تأولوا قول الله تعالى : « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله . ثم يدركه الموت . فقد وقع أجره على الله » وسموا أنفسهم بـ « الشراة » أي الذين باعوا أنفسهم لله متأولين قوله سبحانه « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » واعتبروا غيرهم من المسلمين ديار حرب . فاستحلوا قتالهم . وسبيهم . ومن أفكارهم أيضا : ـ جواز أن يرتكب الأنبياء الكبائر . والصغائر ـ فكرة الولاية ـ فكرة التقية ـ فكرة عدم الحاجة إلى الإمام ـ إنكار بعض سور القرآن الكريم ـ فكرة شعب الله المختار .أنظر : جميل عبد الله المصري . **الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية زمن الدولة الأموية** . ط. 1 . عمان : (د. ن) ، 1989 ، ص. 222 وما بعدها . وانظر أيضا : الشهرستاني . **الملل والنحل** . ج. 1 ، ص. 105 . المقريزي . **الخطط** . ج. 2 ، ص. 354 . ابن الجوزي . **تلبيس إبليس** . بيروت : دار الرائد العربي ، (د. ت) ، ص. ص. 90 ، 97 . عبد القادر شيبة الحمد . الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . المدينة المنورة : مطبوعات الجامعة الإسلامية . (د.ت) ، ص. 103 .

(5) نافع بن الأزرق : هو رأس الخوارج الأزارقة . واليه نسبتهم . كان أمير قومه وفقيههم . وكان وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان رضي الله عنه . قتل يوم « دولاب » على مقربة من الأهواز سنة 65 هـ . أنظر : الزركلي . **الأعلام** ج.7. ص. 351 . انظر أيضا : ابن الأثير . **الكامل** .ج.3 . ص.349 . ابن اعثم . **الفتوح** .ج.6 ص.ص. 1. 24 .

بن الفجاءة (1).

وفي خلافة عبد الملك بن مروان، اشتعلت نيران الحرب بين الخوارج، وبين والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي وقائده المهلب بن أبي صفرة (2)، مما اضطرهم بعد هزيمتهم إلى الإنتشار في نواحي كرمان، وأصفهان . ويشير الطبري (3) إلى أن قطريا خرج بمن تبعه إلى طبرستان، وعندما علم الحجاج بمسيره، أنفذ إليه جيشا كبيرا قضى عليه وعلى أتباعه. ومن ذلك الوقت ضعفت قوتهم من جديد. ومع مطلع العصر العباسي الأول أمسى الخوارج يحملون روح العصر الجديد فكريا وسياسيا بحيث أصبحوا على مستوى الواقع الإجتماعي الذي يرزح تحت أعباء الظلم والتذمر، ولهذا فقد حزموا أمرهم على الإنتشار في المناطق الشرقية من الدولة الإسلامية . واتخذوا لأنفسهم مراكز في خراسان، تحصنوا فيها ونشطوا في ربوعها، وجعلوا منها مراكز لانطلاق دعوتهم من جديد، نظرا لقيمتها الحربية والعسكرية.

ويدل الإنتشار الواسع لحركة الخوارج في خراسان على التأييد الكبير الذي تمتعوا به هناك، بما يدل دلالة بينة على تطور الفكر الخارجي، وأسلوب الدعاية الذي كان يسلكه لكسب المؤيدين له من بين صفوف الشعب المثقلين بأعبائهم الإجتماعية والإقتصادية. (4).

---

(1) قطري بن الفجاءة : هو أبو نعامة قطري بن الفجاءة .واسمه جعونة . وإنما قيل لأبيه « الفجاءة » لأنه كان باليمن . فقدم على أهله فجأة . فسمي به وبقي عليه . وقطري هو الذي عناه الحريري في المقامة السادسة بقوله « فقلدوه في هذا الأمر الزعامة . تقليد الخوارج أبا نعامة .". وكان رجلا شجاعا مقداما كثير الحروب والوقائع . قوي النفس لا يهاب الموت وفي ذلك يقول مخاطبا نفسه :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاع
فصبرا في مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب الحياة بثوب عز ... فيطوي عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي ... وداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون إلى إنقطاع
وما للمرء خير من حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع

وهذه الأبيات مذكورة في الحماسة .. وهي تشجع أجبن خلق الله . وما أعرف في هذا الباب مثلها .وما صدرت إلا عن نفس أبية . وشهامة عربية . أنظر : ابن خلكان . وفيات الأعيان . ج. 3 ، ص. 255 .

(2) أنظر : تفاصيل حروب الخوارج مع المهلب في الطبري . **تاريخ** . ج. 6 ، ص. 195 ، ابن عبد ربه . **العقد الفريد** . ج. 2 ، ص. 391 .

(3) **الطبري . تاريخ** . ج. 6 . ص. 308 . ابن الأثير . **الكامل** . ج. 4 ، ص . 68.

(4) **قحطان عبد الستار الحديثي . حركات الخوارج في خراسان في القرنين الثاني والثالث للهجرة . مجلة « كلية الآداب » . البصرة : 1979 ، س . 5 ، ع. 6 ، ص. 138 .**

ومن هنا قام الخوارج بثورات مختلفة في أقاليم الدولة العباسية الناشئة، ففي إقليم الجزيرة الفراتية بالموصل ثار ملبد بن حرملة الشيباني الحروري سنة 137هـ، واستطاع المنصور أن يقضي عليه، بإرساله جيشا من ثمانية آلاف مقاتل بقيادة خازم بن خزيمة التميمي ، ودات معركة كبيرة قتل فيها ملبد،وكثير من أتباعه (1) ثم جاءت ثورة عطية بن بعشر التغلبي، وخرج أيضا من الموصل باتجاه الجنوب حيث يروي أنه قصد السوس (2) ليهاجم قافلة عباسية محملة بالأموال ولكنه لم يلحق بها، فاصطدم بوالي السوس وقتل 200 من أهل السوس، وفي طريقه إلى الموصل وقع في كمين وضعه له أبو حميد المروزي فقتل مع أتباعه .(3)

وبعد وفاة المنصور استمر الخوارج رافعين سيوف المعارضة،والتكفير، والتشهير، ببني العباس، وامتد نفوذهم في أقاليم كثيرة من مناطق الدولة الإسلامية، مما جعل مهمة الخليفة صعبة في القضاء عليهم، حتى شبه ابن الطقطقي عصر المهدي بعصر المنصور فقال : ".. كان المهدي شهما فطنا كريما شديدا على أهل الإلحاد والزندقة، لا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم... وكانت أيامه شبيهة بأيام أبيه في الفتوق والحوادث،والخوارج... » (4).

وقد تجددت حركاتهم الثورية في كل من الجزيرة وخراسان، والذي يعنينا في هذا البحث هي ثورة الخوارج التي حدثت في خراسان بقيادة يوسف البرم سنة 160هـ (5). والذي استطاع بشعارات كاذبة أن يجمع حوله كثيرا من الأتباع هناك. ويبدو أن يوسف البرم قد فكر في أن يلعب لعبة سياسية خطيرة يوسع بها نطاق ثورته من ناحية، ويضيق الخناق على الخلافة العباسية من الشرق والغرب من ناحية أخرى، فلقد أرسل إلى والي مصر موسى بن رباح يدعوه إلى الإنضمام إليه، وتأييده في ثورته،ولكن موسى بن رباح رفض هذا العرض، وقبض على رسول البرم، ثم أنفذ له بعد ذلك جيشا قويا بقيادة يزيد بن مزيد الشيباني، واستطاع يزيد بما لديه من خبرة بأساليب الخوارج في القتال أن ينزل بيوسف وأتباعه هزائم متتالية أدت إلي إنهاك قواهم... حتى استطاع أسر يوسف، وإرساله إلى المهدي، مع جملة من أعوانه المقربين، فلما انتهى بهم إلى النهروان حمل يوسف البرم علي بعير قد حول وجهه إلى ذنب البعير وأصحابه على بعير،ولما وصلوا به إلى المهدي أمر فقطعت يداه

(1) الأزدي . **تاريخ الموصل** . ص. 167 .
(2) السوس : مدينة قرب نهر كرخة في خوزستان . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج. 5 ، ص. 171. وانظر أيضا : كي لسترنج . **بلدان الخلافة الشرقية** . ص. 274 .
(3) فاروق عمر . **العباسيون الأوائل** . مرجع سابق . ص. 254 .
(4) ابن الطقطقي . **الفخري** . ص. 179 .
(5) الطبري . **تاريخ** . ج. 8 . ص. 124 . ابن الأثير . **الكامل** . ج. 5 . ص. 54 .
(1) الطبري . **تاريخ** . ج. 8 ، ص. 124 .

وهكذا فشلت ثورة يوسف البرم، كما فشلت ثورات الخوارج الأخرى من قبل إلا أنه بعد موت الخليفة المهدي، تحركت في عهد هارون الرشيد، ثورات خارجيةأخرى في خراسان وبخاصة في ولاية علي بن عيسى بن ماهان (ت 198 هـ)، ولعل تعسف هذا الوالي في الجباية، والتنكيل بأشرف رجالاتها كان من الأسباب التي دفعت الخوارج لإعلان ثورتهم هناك، فقد نهض حمزة بن أترك السجستاني (1) بباذغيس من خراسان سنة 185هـ، وكان قبل ذلك قد شري (2) أمره منذ عام 179هـ، فوثب عيسى بن علي بن عيسى على عشرة آلاف من أصحاب حمزة فقتلهم (3)، ومما يدل على أهمية هذه الثورة ما قيل فيها من أبيات شعر نوهت بالأماكن التي انتشرت فيها أو تلك التي تأثرت بها(4) :

كاد عيسى يكون ذا القرنين بلغ المشرقين والمغربين

لم يدع كابلا ولا زابلستا ن(5) فما حولها إلى الرخجين (6).

وفي سنة 184 هـ يشير الطبري إلى خروج أبي عمرو الشاري بخراسان (7) إلا أنه لم يذكر اسمه الكامل، ولا المكان الذي أعلن فيه الثورة، كما أن بقية المصادر الأخرى لم تبين طبيعة هذه الحركة إلا ما ذكره الطبري من أن زهير بن القصاب، أحد قواد ابن ماهان، قام بإخماد التمرد. (8).

(1) الطبري .**تاريخ** ج. 8 ، ص. 261 .

(2) شري : صار من الشراة وهم الخوارج وأحدهم شاري . مشتق من شري الرجل إذا ألح أو معناه يستشري بالشر . .. وقد قال الخوارج « شرينا أنفسنا لدين الله . فنحن لذلك شراة » وقيل أنه من قولهم : شاريته أي لا حمته وماريته . وقيل شري الرجل غضبا إذا استطار غضبا . وقيل لهم هنا لشدة غضبهم . أنظر : المقريزي . **الخطط** . ج. 2 ، ص. 356 .

(3) **الطبري** . **تاريخ** . ج. 8 ، ص. 273 .

(4) وردت هذه الأبيات على لسان أبي الغذافر . أنظر **الطبري** . **تاريخ** . ج. 8 ، ص. 273 .

(5) زابلستان : كورة واسعة قائمة برأسها جنوبي بلخ وطخارستان . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج. 4 . ص. 365

(6) الرخجين : مفردها رخج وهي كورة ومدينة من نواحي كابل . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج. 4 ، ص. 241

(8) **المصدر نفسه** ج 8 . ص. 272 .

وإن الضربات العنيفة التي توالت على الخراسانيين الخوارج بعشرت الكثير من جهودهم،وولدت عندهم شعورا بحتمية الصراع مع العباسيين، واستمرار الكفاح ضدهم، لكن انتشارهم في مناطق متفرقة، وتوزعهم على أماكن متباعدة أضعف بدون شك من قواهم العسكرية،وفت في عضدهم، وشتت شملهم. مما سهل على الخلافة ضربهم بسهولة، وإطفاء تمردهم بقسوة، وبعد وفاة الرشيد، ترقب الخوارج في خراسان حدوث مستجدات على الصعيد السياسي تمكنهم من السيطرة، إلا أن الخراسانيين الخوارج خاب ظنهم، عندما لم يف المأمون بما وعدهم به من اتباع الحق والعدل فيهم، واعتبر آخر معول لهدم ذلك التعاون بين الخراسانيين والعباسيين.

ولم يخضع الخوارج لسلطة الولاة في خراسان، واستمروا يزاولون نشاطهم إلى زمن الخليفة المعتمد على الله (سنة 252 ـ 279 هـ)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

3 ـ الخراسانيون ودورهم في الإدارة العباسية

3 ـ 1 ـ الوزارة :

3 ـ 1 ـ 1 ـ أصل الوزارة وأهميتها :

ـ يتفق المؤرخون واللغويون على لفظ الوزارة مشتق من ثلاثة مصادر لغوية عربية :

ـ **الأول** : من الوزر، وهو الثقل، لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله

ـ **الثاني**:من الوزر ،وهو الملجأ،لأن الملك يلجأ إلى الوزير،ويستعين به، ومنه قوله تعالى : " **كلا لا وزر** " أي لا ملجأ، لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته لأن عليه مدار السياسة وإليه تفوض الأمور

ـ **الثالث** : من الأزر، بمعنى الظهر،لأن الملك يقوى بوزيره كمايقوى البدن بالظهر (1) .

ـ ولقد عمد بعض المؤرخين المحدثين إلى القول بأن نظام الوزارة العباسية مقتبس من الفرس،وأنها فارسيةالمنشأ لأن معظم الذين وزروا في هذا العصر كانوا من العناصر الفارسية (2)، ولكن استوزار الفرس في هذا العصرليس دليلا قاطعا بأن الوزارة العباسية فارسية، إذ أن كلمة وزيرعربية . وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : " ..واجعل لي وزيرا من أهلي .. » (3) .

ويبدوأن التطور الإداري الذي طرأ على الدولة الإسلامية، واتساع رقعتها ،أظهرالحاجة إلى مثل هذا المنصب لمعاونة الخليفة في إدارة الدولة،ولا ننكر أن الوزارة كانت معروفة لدى الساسانيين، وأن العرب قد استفادوا منهم في هذاالمجال (4) . ولم يطلق لقب الوزارة رسميا في تاريخ الإسلام إلا قبل استخلاف أبي العباس السفاح بشهرين تقريبا ، عندما قدم الدعاة أبا سلمة الخلال،وسلموه الرياسة وسموه " وزير آل محمد " (5)، فلما تولى السفاح الخلافة أبقاه في منصبه،ويعلق ابن خلكان على استيزارالسفاح له بقوله : " وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير، وشهربالوزارة في دولةبني العباس، ولم يكن من قبله يعرف بهذا النعت،

---

1 ـ الماوردي . **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** . ط .1 ، القاهرة :[د.ن] ، 1909 ، ص. 210

2 ـ حسن إبراهيم حسن . **تاريخ الإسلام** .مرجع سابق ، ج.2 ،ص .209

3 ـ سورة : طه : (**الآية** : 29)

4ـ محمد أبو محمد إمام . **نظام الحكم في العصر العباسي الأول** . مكة المكرمة : كلية الشريعة ـ جامعة أم القرى . 1408هـ / 1988م (رسالة ماجيستير) . ص . 132

5 ـ الجهشياري . **الوزراء والكتاب** . ص . 58

ولا في دولة بني أمية ولا في غيرها من الدول » (1) . والظاهر أن وظيفة الوزارة في الدولة الأموية كان يشغلها الكاتب (2) ويؤيد هذا ما ذكره ابن الطقطقي في قوله :"والوزارة لم تتمهد قواعدها، وتتقررقوانينها إلا في دولة بني العباس، فأماقبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد،ولا مقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية، فإذا حدث أمر استشار ذوي الحجا، والآراء الصائبة، فكل منهم يجري مجرى وزير، فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة، ويسمى الوزير وزيرا، وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا » (3)، ونادرا ما حمل بعض المستشارين أو أصحاب الرأي في الدولة الأموية هذا اللقب، مثل (زياد بن أبيه) الذي لقب بالوزير في عهد معاوية، و (روح بن زنباع) الذي لقب بالوزير في عهد عبد الملك بن مروان (4) وإلى هذا أشار المسعودي بقوله : " إن ملوك بني أمية كانت تنكر أن تخاطب كاتبا لها بالوزارة وتقول : الوزير مشتق من المؤازرة، والخليفة أجل من أن يحتاج إلى المؤازرة ... ولم تكن الخلفاء والملوك [قبل بني العباس] تستوزر إلا الكامل من كتابها، والأمين العفيف من خاصتها، والناصح الصدوق من رجالها، ومن تأمنه على أسرارها وأموالها، وتثق بحزمه وفضل رأيه، وصحة تدبيره في أمورها ."(5)

ولكن بعد قيام الدولة العباسية، واستفحال الملك كان من الطبيعي أن يتخذ الخلفاء العباسيون وزراء يقومون بمهام رسمية في الدولة، يعاونون الخليفة في شتى الأمور، ولهم مطلق الإعانة، وإلى هذا أشار ابن خلدون بقوله : «والوزارة أم الخطط السلطانية،والرتب الملوكية،لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة»(6)، فطبيعة عمل الوزير أن يعاون الخليفة في شتى الأمور، وهي بهذا الشمول تفوق المناصب الأخرى التي تخصصت كل منها بعمل معين كالكتابة والحجابة والجباية ...

3 ـ 1 ـ 2 ـ الوزارة العباسية قبل الفضل بن سهل .

لما ولي أبو جعفر المنصور استوزر أبا أيوب حسن المورياني (7) وهو فارسي الأصل واسمه سليمان بن مخلد، وكان ظريفا خفيفا حسن التأني لما يريد، وقد أخذ من كل علم طرف، وكان يقول « ليس من شيء إلا وقد نظرت فيه، إلا الفقه فلم أنظر فيه قط، وقد

1 ـ ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج .2 . ص. 195

2 ـ مثل عبد الحميد الكاتب في عهد عبد الملك بن مروان .

3 ـ ابن الطقطقي . **الفخري** . ص . 153

4ـ أحمد مختار العبادي. **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية** . الكويت: منشورات ذات السلاسل، 1985،ص. 151

5 . المسعودي : **التنبيه والإشراف** . (د.م) : المكتبة التجارية . 1357هـ .1938م ، ص. 294.

6 ـ ابن خلدون . **المقدمة** . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1982 ، ص. 419

7 ـ نسبة إلى قرية من قرى الأهواز في نواحي خوزستان تسمى " موريان " انظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج .8 ، ص.189

نظرت في الكيمياء والطب والنجوم والحساب والسحر » (1)، وارتفعت مكانة أبي أيوب عند المنصور وخف على قلبه ومع ذلك فكان يخشى المنصور، وترتعد فرائصه إذا دعاه إليه (2)، وقد استوزر المنصور عددا من كبار الشخصيات كان نصيب البعض منهم القتل، ونصيب الآخرين العزل، فالوزراء في عهده لم يكن لهم شأن كبير لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته . (3) .

ـ ولما استقرت الأمور في خلافة المهدي، استنام إلى بعض الدعة،ووكل كثيرا من الأمور للوزراء يدبروها حسبما يرون (4)، فعظم لذلك مركز الوزارة، واستقرت قواعدها وربما دعاه إلي ذلك كفاءة وزيره أبي عبيد الله معاوية بن يسار الذي كان كاتبا للمهدي، ونائبا عنه، قبل أن يتولى الخلافة، و هو الذي جمع له حاصل المملكة، ورتب الديوان،وقرر القواعد، وكان كاتب الدنيا وأوحد الناس (5) ومنذ ذلك الحين بدأت اختصاصات الوزير وسلطاته تتحدد، وتتضح معالمها، وبدأت مكانة الوزراء في الإرتفاع في العصر العباسي حتى أخذوا ينازعون الخلفاء سلطانهم ويتدخلون في كثير من صلاحياتهم، مما أدى في كثير من الأحيان إلى النهايات المحزنة التي تعرض لها الكثيرون منهم .

وبعد المهدي استوزر الهادي إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحراني ـ من موالي المنصور ـ وقد كان إبراهيم حريصا على أموال الدولة، يراجع المستحقين في أعطياتهم والمجازين، والأخبار التي وصلتنا عن إبراهيم بن ذكوان في المصادر التاريخية قليلة، وذلك لقصر المدة التي قضاها في الوزارة، وعندما توفي الهادي وتولى الرشيد الخلافة سخط على ابراهيم وصادر أمواله، وحبسه، فتوسط له محمد بن سليمان (6)، فسأله العفو عنه، وتخلية سبيله، والإذن له في المضي معه إلى البصرة، فأجابه الخليفة إلى ذلك (7)

---

(1) ـ الجهشياري . **الوزراء والكتاب** . ص 97

(2) ـ الخضري بك . **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية** . (الدولة العباسية) . ط.1، تحقيق الشيخ محمد العثماني . بيروت : دار القلم ، 1406 هـ / 1986م ، ص. 86 .

3 ـ أنور الرفاعي . **الإسلام في حضارته ونظمه** . بيروت : دار الفكر ، 1973 ، ص.107 ، 108

4ـ أحمد شلبي . **موسوعة التاريخ الإسلامي** . ط .8 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1985 ، ج .3 ، ص.123

5 ـ ابن الطقطقي . **الفخري** . ص . 181

6 ـ محمد بن سليمان : أمير البصرة ووالبيها سنة 160 هـ ، زمن الخليفة المهدي ... وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الأهواز وفارس . عزل سنة 164 هـ وأعاده الرشيد ، وزوجه أخته العباسة بنت المهدي سنة 172هـ ، واستمر في البصرة إلى أن توفي فيها سنة 173 هـ انظر : الزركلي . **الأعلام** . ج .6 ، ص. 149

(7)ـ الطبري . **تاريخ** . ج . 8 ، ص.233 . الجهشياري . **الوزراء والكتاب**. ص.178 .

ولما بويع الرشيد بالخلافة استوزر كاتبه يحي بن خالد بن برمك، وفوض إليه أمور دولته، فنهض بأعبائها أتم نهوض، وتدارك الخلل، وجبى الأموال، وعمر الأطراف، وأظهر رونق الخلافة، وتصدى لمهمات الدولة، وعاونه في عمله بعض أبنائه وأقاربه خصوصا الفضل وجعفر.. ويقول صاحب الفخري : " كان يحي وبنوه كالنجوم زاهرة، والبحور زاخرة، والسيول دافقة، والغيوث ماطرة، أسواق الآداب عندهم نافقه، ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية، والدنيافي أيامهم عامرة، وأبهة الملك ظاهرة، وهم ملجأ اللهف، ومعتصم الطريد.. » (1) .

ولكن الرشيد نكب البرامكة، وذكر المؤرخون أسباب متعددة لذلك، خلاصتها أن الرشيد لم يقبل أن يبقى مسلوب السلطة في دولة هو على رأسها، والبرامكة يستبدون بالأمور دونه، ولا ريب أن فقد أسرة البرامكة كان خسارة فادحة للدولة العباسية إذ إختلت الأمور فيها بعد انقضاء أمرهم (2)، واضطر الرشيد أن يلي شؤون الدولة بنفسه، واتخذ الفضل بن الربيع وزيرا له (3) .

ولما آلت الخلافة إلى الأمين بعد وفاة الرشيد سنة 193هـ استبقى الأمين الفضل بن الربيع على الوزارة .. وفي خلافة المأمون استوزر الفضل بن سهل، وفوضه أمور دولته، وسوف نعرض لوزارة الفضل بن سهل كنموذج للدور الخراساني في الإدارة العباسية .

3 ـ 1 ـ 3 ـ وزارة الفضل بن سهل .

تنتسب عائلة بني سهل إلى سهل بن زاذا نفروخ من قرية "السيب الأعلى" (4)، وقد كان سهل من أبناء ملوك الفرس المجوس، أسلم أيام الرشيد الرشيد ، واتصل بيحي بن خالد البرمكي (5)، وقد أحضر سهل ابنيه الفضل والحسن، فاتصل الفضل بن سهل بالفضل ابن جعفر ، وتقلد قهرمته واتصل الحسن بن سهل بالعباس بن الفضل بن يحى وخدماهما وقد قدم الفضل إلى جعفر، فأدخله بدوره على المأمون فأحسن إليه وأجرى عليه رزقا مع حشمه، ولم يزل ملازما للفضل بن جعفر حتى أصيب البرامكة فلزم المأمون (6) .

---

1 ـ ابن الطقطقي . **الفخري** . ص.197

2 ـ محمد جمال الدين سرور . **الحياةالسياسية في الدولة العربية الإسلامية** . ط.6 . القاهرة : (د. ن) ، 1979 ، ص . 220

3 ـ الجهشياري . **الوزراء والكتاب** . ص . 265

4 ـ ابن الطقطقي . **الفخري** . ص . 210

5 ـ السيب : كورة من سواد الكوفة وهما سيبان أعلى وأسفل . انظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج .5 ، ص.190

6 ـ ذكر أن " الفضل بن سهل وأخاه الحسن أسلما على يد يحيى بن خالد فاختاره يحي لخدمة المأمون ولذا عرف بنو سهل بأنهم من صنائع البرامكة ".الجهشياري . **الوزراء والكتاب** . ص . 229 ، ابن الطقطقي . **الفخري** . ص . 220

7 ـ الجهشياري . **الوزراء والكتاب** . ص . ص . 230 ، 231

وقد بدت على المأمون منذ صغره مخايل الفطنة، والنجابة، والإتزان، استرعت انتباه كبار رجال حاشية أبيه الرشيد ـ ومنهم الفضل بن سهل ـ فتنبأ له بمستقبل زاهر وبدأوا يتقربون إليه. ويعبر ابن الطقطقي عن ذلك بقوله : " لما رأى الفضل بن سهل نجابة المأمون في صباه، ونظر في طالعه، وكان خبيرا بعلم النجوم، فدلته النجوم على أن يصير خليفة، فلزم ناحيته، وخدمه، ودبر أموره، حتى أفضت الخلافة إليه فاستوزره » (1) . وقد ظل الفضل امتدادا حقيقيا للبرامكة في سخائه، وكثرة إفضاله على الناس، وفي براعته في تحريك الأمور من وراء ستار، لأنه لم ينس أصله الفارسي قط (2) . ولم يكن الفضل يطمع في مال أو جاه بقدر ما كان يهدف إلى تحقيق أمله في السيطرة على الدولة وقد قال له مؤدب المأمون يوما في أيام الرشيد " إن المأمون لجميل الرأي فيك، وإني لا أستبعد أن يحصل لك من جهته ألف ألف درهم، فاغتاظ الفضل من ذلك وقال : ألك علي حقد ؟ علي إليك إساءة ؟ فقال له المؤدب : لا والله ما قلت هذا إلا محبة لك، فقال، أتقول لي أنك تحصل معه ألف ألف درهم ؟ والله ما صحبته لأكتسب منه ما لا قل أو جل، ولكن صحبته ليمضي حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب، فقال : فوالله ما طالت المدة حتى بلغ ما أمل » (3) .

ولقد لعب الفضل بن سهل دورا هاما في انتصار المأمون على أخيه الأمين، فهو الذي نظم جيوش المأمون، واصطنع من القواد من عرف بكفايته وبلائه، وهو الذي ثبّت المأمون في مكانه المرة تلو الأخرى، وحثه على التمسك بحقه في الخلافة، بعد أن عزم في إحدى ساعات ضعفه على الخضوع والتنازل عن ولاية العهد لموسى بن أخيه الأمين، ولولا الفضل لضاع حق المأمون في الخلافة (4) .

ولما أحس المأمون بأنه مدين للفضل في كثير من انتصاراته، أراد مكافأته فعقد له في رجب من سنة 196هـ على المشرق، من جبل همذان إلى منطقة التبت طولا ومن بحر فارس والهند إلى بحر الديلم، وجرجان عرضا (5)، ولقبه ذا الرياستين ـ أي رياسة الحرب ورياسة التدبير (6) أي أنه أصبح مطلق التصرف تقريبا في كل ناحية من نواحي الإدارة والسياسة والحرب . (7)

---

1 ـ ابن الطقطقي . **الفخري** .ص. 221

2 ـ محمد مصطفى هدارة . الفضل بن سهل . مجلة « **العربي** » . الكويت . نوفمبر 1966 . ع. 96 . ص.59

3 ـ الجهشياري . **الوزراء والكتاب** ص .280 ، ابن الطقطقي . **الفخري** . ص .221

4ـ ابراهيم سليمان الكروي . **نظام الوزارة في العصر العباسي الأول** . ط.2 ، مصر : [د.ن] ، 1989 ، ص.171

5 ـ الطبري . **تاريخ** . ج . 8 ، ص .424

6 ـ الجهشياري . **الوزراء والكتاب** . 305

7 ـ إبراهيم سليمان الكروي . **المرجع السابق** . ص .302

وقد كتب له توقيعا قال فيه : « أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة الله، وإقامة سلطاني، فرأيت كيف أغنيك، وأحببت أن أسبق إلى الكتاب لك بخطي، بما رأيته على نفسي، وقد أقطعتك السيب بأرض العراق، عطاء لك ولعقبك، لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتي، ولما قمت به من حق الله وحقي، فلم تأخذك في لومة لائم، ولم تراقب ذا سلطان ولا غيره، وقد جعلت لك بعدي ذلك مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه، ولا تتقدمك مرتبة أحد، ما لزمت ما أمرتك به من العمل لله ولنبيه، والقيام بصلاح دولة أنت ولي بقيامها، وجعلت ذلك كله بشهادة الله، وجعلته ذلك كفيلا على عهدي، وكتبت بخطي سنة 196هـ »(1) .

ولم يتردد الفضل في الإستيلاء على مقاليد الدولة العباسية، بعد أن منحه الخليفة التفويض السابق ذكره، ولما كان الفضل فارسيا، فقد كان من الطبيعي أن تظهر عليه أعراض الشعوبية (2)، فأصبح يتظاهر بكل ما هو فارسي، و وكان الفضل يتشبه بوزراء الأكاسرة، ويستعلن بمظاهر الحضارة الفارسية رغبة في إحياء مجد الفرس القديم، ومن الوسائل التي توسل بها تحقيقا لهدفه، ما ذكره الجهشياري إذ يقول : « إن الفضل بن سهل بن زادا نفروخ كان يجلس على كرسي مجنح، ويحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه، فإذا وقعت وضع الكرسي، ونزل عنه، فمشى وحمل الكرسي حتى يوضع بين يدي المأمون، ثم يسلم ذو الرياستين، ويعود فيقعد ... وإنما ذهب ذو الرياستين إلى مذهب الأكاسرة لأن وزيرا من وزرائهم كان يحمل في مثل ذلك الكرسي، ويقعد بين أيديهم عليه، ويتولى حمله إثنا عشر رجلا من أولاد الملوك » (3) .

ـ وكان لشعور الفضل بن سهل بأنه له اليد الطولى في إعادة المأمون إلى دفة الحكم أعظم الأثر في نزعته الإستبدادية واستعلائه على الرعية، واستطاع أن يستغل ثقة المأمون فيه، وتكريمه له، في أن يبسط نفوذه من مرو إلى بغداد طمعا في أن تؤول إليه السيطرة الشاملة على شؤون الخلافة، ولم يكن ذلك ليتيسر تحقيقه، والعراق بين يدي طاهر بن الحسين، وهرثمة

---

1 ـ الجهشياري . **الوزراء و الكتاب** . ص. 302

2 ـ الشعوبية : حركة فارسية الأصل هدفها مزدوج ، الحط من الجنس العربي ،و النيل من الدين الإسلامي . ووسيلتها لذلك أن تتعصب لرفع شأن غير العرب ، وبخاصة الفرس ، والتفاخر بأمجادهم . ورقي حضارتهم ، وما يتبع ذلك من تصغير شأن العرب ، والهجوم عليهم ، ووصفهم بأحقر الأوصاف . ويصور الجاحظ حركة الشعوبية وأهدافها بقوله : " إن عامة من ارتاب في الإسلام ، كانت الشعوبية أساس ارتيابهم ، فلا تزال الشعوبية تنتقل بأهلها من وضع إلى وضع حتى ينسلخوا من الإسلام ، لأنه نزل على نبي عربي ، وكان العرب حملة لوائه عندما نزل " . انظر : أحمد شلبي . **حركات فارسية مدمرة ضد الإسلام والمسلمين عبر العصور** . ط.1 . القاهرة : [د.ن] ، 1988 ، ص . 32

3 ـ الجهشياري . **الوزراء و الكتاب** . ص . 316

بين أعين فأصدر أمرين على لسان المأمون : أولهما : بتولية الحسن بن سهل جميع ما افتتحه طاهر من كور الجبال،وفارس، والأهواز، والبصرة، والكوفة، والحجاز،و اليمن، وكتب إلى طاهر أن يسلمه جميع ما بيده من الأعمال وأن يشخص إلى الرقة لمحاربة نصر بن شبث وولاه الموصل، والجزيرة، والشام، والمغرب، فلم يسع طاهرا إلا أن يسمع ويطيع فسلم ذلك كله، وثانيهما : أنه أمر هرثمة بن أعين أن يأمره بالشخوص إلى خراسان فشخص (1) . وبهذا الإجراء ضمن الفضل بن سهل تحقيق هدفه في السيطرة على الدولة، فأهل خراسان من الفرس، وبنو سهل يديرون دفة دولته. وعادت الأوضاع إلى مثل ما كانت عليه في أوائل عهد الرشيد عندما كان البرامكة يسيطرون على أجهزة الدولة التنفيذية (2) .

بالإضافة إلى ذلك فقد أشار الفضل بن سهل على المأمون أن يبايع بولاية العهد لعلي بن موسى، وتمت البيعة بولاية العهد له سنة 201هـ وسماه " الرضا " وألبس الناس الثياب الخضر، وطرح السواد، وأعطى الجند رزق سنة، وذلك في شهر رمضان من هذه السنة ... وكتب بذلك إلى جميع الولايات (3) .

وهناك رأيان في سبب أخذ هذه البيعة ... الرأي الأول : يرى أن المقرر الأول لفكرة البيعة للرضا هو الخليفة المأمون نفسه حيث كانت الفكرة قد اختمرت في ذهنه ـ بطبيعته المجبولة على العناد ـ على أن ينفذها ـ والرأي الثاني : يميل إلى القول بتأثير الفضل بن سهل ووجود المأمون في خراسان هما اللذان إضطراه إلى اتخاذ هذه الخطة، ويقول بهذا الرأي الدكتور عبد العزيز الدوري وأدلته في ذلك ما يلي : (4)

أ ـ الروايات التاريخية التي تؤكد دور الفضل بن سهل الرئيسي في البيعة .

ب ـ لوم البغداديين للفضل بن سهل في تدبيره هذه الخطة، وعدم لومهم للخليفة .

جـ ـ رغبة الفضل في إرجاع سلطة الفرس.لأن نقل الخلافة إلى علوي معناه إبقاء مركز الخلافة في خراسان لعدم رغبة أهل بغداد بمبايعة علوي، وقد اتهم نعيم بن خازم الفضل بأنه يحتال ليصير الملك كسرويا .

د ـ إن انتصار المأمون كان ضربة لبني العباس أخوال الأمين، ودحرا لآمالهم فقد المأمون تأييدهم، ولذلك أراد أن يكسب ثقة وتأييد الفرع الهاشمي الآخر وهو الفرع العلوي ويُظهر الدوري المأمون كأنه مجبر على البيعة للرضا، لكي يجاري أهواء أهل خراسان، ولكن لم

---

1 ـ الخضري بك . **تاريخ الأمم الإسلامية** (الدولة العباسية) . مرجع سابق ، ص . 199

2 ـ محمد جمال الدين سرور . **الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية** . مرجع سابق ، ص.227

3 ـ انظر : المسعودي .مروج الذهب . ج.3 ، ص.28، وانظر أيضا : الأزدي . **تاريخ الموصل** . ص . 341

4 ـ فاروق عمر . **سياسة المأمون تجاه العلويين** . مجلة " كلية الآداب " . بغداد : 1973، ع .16 ، ص.113

يعرف أن أهل خراسان ميلهم القوي للعلوية، وربما كانت بينهم فئة تمثل الشيعة العلوية، ولكن هذه الفئة لم تكن من القوة بحيث تؤثر على سياسة الخليفة .

إلا أن السخط والتذمر ما لبث أن عم أرجاء كثيرة من أنحاء الخلافة، وبخاصة العراق وبغداد حيث يوجد أبناء البيت العباسي (1)، إذ كان من الطبيعي أن لا يتقبل معظم أهالي العراق هذا الأمر. فحادثة مقتل الأمين لم تمح آثارها بعد، والتي كانت بسبب نزع ولاية العهد من المأمون، وتحويلها إلى ابنه، وشعور الناس بالأسى على التفريط في العهود والمواثيق، لا يزال حيا في قلوبهم، فكيف يتقبلون خلعا جديدا من المأمون لأخيه المؤتمن، ثم تولية أحد أبناء البيت العلوي الذين ما زالت حركاتهم تظهر بين الآونة والأخرى للمطالبة بالخلافة (2)، وعندما جاءهم كتاب المأمون يأمرهم فيه بالبيعة اختلفوا « فقال قوم : نبايع، وقال قوم : لا نخرج هذا الأمر من ولد العباس، وإنما هذا دسيس من قبل الفضل بن سهل، وغضب ولد العباس من ذلك، واجتمع بعض إلى بعض، وتكلموا فيه وقالوا نولي بعضنا ونخلع المأمون، وكان يتكلم في هذا والمختلف فيه والمتقلد له إبراهيم ومنصور إبني المهدي » (3) فعقدوا بالخلافة لإبراهيم بن المهدي عم المأمون، وفي هذه الأثناء كان المأمون لا يزال في خراسان وفي مرو بالذات، فنشب الخلاف بين جند ابراهيم وجند المأمون ... وقد أخفى الفضل بن سهل عن المأمون ما يجري في العراق، وموقف أهلها من البيعة لعلي الرضا غير أن علي الرضا نفسه كشف للمأمون حقيقة ما يجري هناك (4)، فأُعلم بسخط الناس عليه وعلى بيعته له و ما هم فيه من الأذى.(5)

وكانت لا بد لهذه الأحداث التي حدثت في بغداد ومبايعة العباسيين لإبراهيم بن المهدي بالخلافة، والتي حدثت بناء على مشورة الفضل بن سهل، وتدبيره، ردود فعل قوية لدى المأمون، وخاصة بعد أن عرف أن قتله " هرثمة بن أعين " كان ظلما، لأنه أراد كشف حقيقة الأمور إليه، وأن هناك كثيرا من كبار القواد يعلمون حقيقة الأمر (6) . منهم : يحيى بن معاذ، وعبد العزيز بن عمران، وموسى، وعلي بن أبي سعيد ـ وهو ابن أخت الفضل ـ وخلف المصري، فسألهم عما أخبرهم المأمون فأبوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن

---

1 ـ الطبري . **تاريخ** . ج.8 ، ص.555

2 ـ **المصدر نفسه** . ج . 8 ، ص.555

3 ـ ابن الجوزي . **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** . ط.1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1992 ، ج.9 ، ص.92

4 ـ ابن الأثير . **الكامل** . ج.5 ، ص .191

5 ـ الطبري .**تاريخ** . ج .8 ، ص.564

6 ـ **المصدر نفسه**. ج.8 ، ص.564

سهل، ألا يعرض لهم، فضمن لهم ذلك (1)، فأخبروه بما منّه عليه الفضل في أمر هرثمة، وأن هرثمة إنما جاء ناصحا ليس ليبين له ما يعمل، وأنه إن لم يتدارك الأمر خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته، وأن الفضل دسّ إلى هرثمة من قتله، وأن طاهرا بن الحسين قد أبلى في طاعته ما أبلى، حتى إذا وطأ الأمر أخرج من ذلك كله، وصير في زاوية من الأرض بالرقة، قد حظرت عليه الأموال حتى ضعف أمره، فشغب عليه جنده، ولو كان على خلافتك ببغداد لضبط الملك و لم يجرأ عليه بمثل ما اجترئ به على الحسن بن سهل، وأن الدنيا قد تفتّقت من أقطارها، وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد، فإن بني هاشم، والموالي، والقواد والجنود، لو رأوك سكنوا أو فاءوا بالطاعة لك (2).

لما تحقق من ذلك المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد، ولم يسلم هؤلاء القواد من شر الفضل، بل عاقبهم بالحبس والطرد، فراح علي الرضا إلى المأمون وأعلمه بما كان من ضمانه لهم، فأعلمه بأنه يداري ما هو فيه، فما أن بلغوا سرخس في طريقهم إلى بغداد ،هناك شدّ قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام فضربوه بسيوفهم حتى مات، وكان ذلك في الثاني من شعبان عام 202هـ (3).

ويبدو أن المأمون أراد موالاة الفرس، وعدم تمردهم، إن هم أحسوا بانقلاب أمره على بني سهل، فولّى الحسن بن سهل الوزارة خلفا لأخيه.

وأشرقت بغداد حاضرة آبائه من جديد، وتجلت مزاياه العالية، وأخلاقه التي لم يشابهه فيها أحد من أهل بيته، وساس الأمة سياسة لين لا يشوبه ضعف، وقوة لا يشينها عنف، وأخذت بغداد وأقاليم الدولة الإسلامية في المشرق تستعيد نضرتها، وعظمت بها الحركة العلمية لما كان من ميل المأمون الشديد إلى تقدير تلك الحركة والنهوض بها.

وستوضح ذلك بجلاء في الباب الثاني الخاص بالناحية العلمية إن شاء الله.

3ـ2 الجيش.

3ـ2 ـ1 ـ تنظيم الجيش العباسي :

حينما نعرض للحديث عن الجيش العباسي وتنظيماته يمكن القول أن هذا التنظيم هو استمرار للديوان الذي أنشئ على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما أشار عليه خالد بن الوليد رضي الله عنه بتأسيس ديوان الجند فقال له : " قد كنت بالشام فرأيت

---

1 ـ الطبري. **تاريخ** . ج.8 ، ص. 564

2 ـ **المصدر نفسه** . ج.8 ، ص. 565

3 ـ الخضري بك . **تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)** . مرجع سابق ، ص. 207

ملوكها قد دونوا ديوانا، وجندوا جندا فدون أنت ديوانا، وجند جندا،(1) ومنها أولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عناية خاصة لعيال المقاتلة وذراريهم، وما يولد لهم، وفرض لهم فروضا نقدية من جهة، كما أمر بتوزيع الأرزاق عليهم شهريا من جهة أخرى . (2)

وخلال العصر الأموي تفرغ الخلفاء إلى تدبير شؤون الجيش، وتنظيماته إداريا، وماليا وعسكريا، إلا أن هناك تطورا جديدا في مقادير العطاء ومواعيد استحقاقه، وهذا خاضع لظروف الدولة من الناحيتين المالية والعسكرية ومتأثر بتوجهاتها .

وكانت تحفظ كل تلك المعلومات في "الجريدة السوداء " (3) وهي الأصل الذي يرجع إليه في تنظيم الجند، وأوصافهم، وأنسابهم، وأجناسهم، ومقدار أعطياتهم .

ـ وقد اتبع المسلمون في إدارة الدولة نظام اللامركزية، وهو يتضمن استيفاء الإنفاق من مبالغ الجباية والواردات، ثم إرسال الرصيد إلى المركز في حالة زيادة الواردات على مبالغ الإنفاق، أما في حالة قصورها عن ذلك، فإن المركز يتولى مسؤولية تسديد الفروق ومقابلتها .(4)

وقد كانت رواتب الجند، ونفقات الجيش تدخل ضمن قوائم النفقات، وبالتالي فإنها تقع ضمن مسؤولية الأقاليم المحلية، وإن نحن نظرنا إلى مقدار أعطيات المقاتلة في الدولة الأموية نجد أنها مقاربة لما كانت عليه في عصر الراشدين إلى حد بعيد، أما ما نلاحظه فيه من تفاوت بسيط أحيانا فقد يكون بسبب تفاوت الأسعار، أو تطور نفقات الفرد، كما أن بعض الخلفاء قد يسيرون على سياسة الترفيه عن الجند، وإحداث الزيادات في أرزاقهم، وأعطياتهم، بتأثير طبيعة خاصة يتلزم بعضهم بها(5).

ـ ولكن رغم ذلك، فإنالخلفاء الأمويين لم ينجحوا في إرساء دعائم لديوان الجند وفق أساليب جديدة، بل ظلوا يعتمدون على مبدأ الأمة المقاتلة، لذلك لما ضعف المقاتلة ضعف تماسكهم من جراء العصبية القبلية، أو المطامع الشخصية أو غيرها، وفقدت رابطة الهدف

---

1 ـ الماوردي . **الأحكام السلطانية** . ص. 200

2 ـ عبد العزيز السلومي . **ديوان الجند ـ نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون ـ** ط .1، مكة المكرمة:مكتبة الطالب الجامعي ، 1986 ، ص . 116

3 ـ الجريدة السوداء : دفتر من دفاتر الجند المقاتلة ، كانت تملأ كل سنة بأسماء الرجال ، وأنسابهم ، وأجناسهم ، ومبلغ أرزاقهم ، وقبوضهم ، وسائر أحوالهم . أنظر : الخوارزمي . **مفاتيح العلوم** . القاهرة : مطبعة الشرق ، 1342 هـ ، ص . 38

4 ـ حسام الدين السامرائي . **المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية** .ط . 2 ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 1403هـ ، ص 244

5 ـ عبد العزيز السلومي . المرجع السابق ، ص . 156

المشترك الذي يربطهم بالدولة انهارت الدولة الأموية .

ـ وقد استغلت الدعوة السرية العباسية في خراسان تذمر المقاتلة العرب من أهل خراسان بسبب سياسة التجبر الأموية التي تقضي بإبقاء المقاتلة على الحدود شتاء، وعدم السماح لهم بالرجوع إلى الأمصار من جهة وقطع أعطياتهم، أو سلب غنائمهم من جهة أخرى، إذ كان الواجب أن تأخذ الدولة الخمس، وتترك الباقي يوزع على المقاتلة .(1)

ولقد زاد من أسباب تذمر العرب من أهل خراسان في أواخر العصر الأموي إرسال ربع خراسان من الضرائب إلى بيت المال المركزي في الشام، بينما طالب أهل خراسان بضرورة صرفه على إقليم خراسان نفسه، وأكثر من ذلك كان الوالي الأموي يسلط أحيانا الدهاقين من الفرس على المستقرين العرب لجباية الضرائب منهم، وتقدير نسبها، وهكذا استطاعت الحركة العباسية أن تستقطب أعدادا كبيرة من هؤلاء العرب المتذمرين في خراسان وغيرها .

3ـ2 2ـ الدور الخراساني في تنظيم الجيش العباسي .

حين انتصرت الدولة العباسية كان المقاتلة العرب من أهل خراسان هم نواة جيش الدولة الجديدة، وقد استفاد العباسيون من أخطاء الأمويين، ولذلك سُجل هؤلاء المقاتلة في ديوان شيعة بني العباس حسب قراهم، ومدنهم، وأقاليمهم التي عاشوا فيها بخراسان، لا حسب قبائلهم، وأنسابهم .

ورغم إبقاء الدولة العباسية على أهل خراسان، وغالبيتهم من العرب، في وحدة عسكرية واحدة، ترتبط بالولاء للدولة التي كانت تسمى بدولة أهل خراسان، فإنها نظمت تشكيلات عسكرية أخرى تستند على القبائل، فكانت هناك فرق قبلية يمانية، ومضرية، وربيعية، وهذا يشير بوضوح إلى أن الجيش العباسي في عصره الأول كان جيشا عربيا ـ لا كما يقال فارسيا ـ كما أن قيادة الجيش ظلت في أيدي عربية .

ـ على أن قلة استعمال اصطلاح " أهل خراسان " في المصادر التاريخية بعد الإنتصار العباسي قد يدعوا إلى استنتاج خاطئ فيما يتعلق بدورهم ككتلة سياسية في البلاط العباسي، فالإعتقاد بضعف قوتهم، أو تلاشيها ليس له نصيب كبير في الصحة ، ذلك لأن مصطلح " أهل خراسان " لم يكن المصطلح الوحيد الذي عرفت به هذه الكتلة السياسية، فقد كان يطلق عليهم أيضا إسم " الشيعة "، و " أنصار الدولة " و " ورؤساء الشيعة " و

---

(1) أنظر : فاروق عمر . **بحوث في التاريخ العباسي** . مرجع سابق ، ص . 39 ، 40 .

القواد" ، وبما أنهم سجلوا في البداية بأسماء مدنهم وقراهم ، لذلك كان يطلق عليهم اسم " المروزية" و " أهل بلخ " ...

وعلى ذلك فإن الكثير من أبرز رجالات أهل خراسان لم يكونوا يعرفون باسم الخراسانية، بل باسم قراهم، أو مناطقهم التي عاشوا فيها(1)، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومتفرقة في الروايات التاريخية منها:

- خازم التميمي (المروزي)
- قحطبة الطائي (الجرجاني)
- الفضل التميمي (الطوسي)
- عبد الملك العتكي (الجرجاني)

من هذا المنطلق يمكن الإستنتاج بأنه من غير المعقول ولا من الدقة في شيء أن نصف المروزية أتباع خزيمة التميمي أو الجرجانية أتباع عبد الملك العتكي على أنهم فرس.

وحين بنى الخليفة المؤسس أبو جعفر المنصور مدينته المدورة "بغداد"، كان هدفه الرئيسي إيجاد مركز إداري عسكري جديد، ولذلك كانت مدينة السلام في بدايتها وكأنها قلعة عسكرية دائرية يسهل الدفاع عنها، ولم يسمح بالسكن فيها، وما حولها، إلا للشيعة العباسية من جند خراسان من المقاتلة . وقد حصل " الخراسانية " أفرادا وجماعات على أرباض وأراض داخل المدينة الجديدة وفي ضواحيها، وقد سكن نسبة منهم في الشمال من بغداد، حيثوا استقروا تبعا للمدن والمناطق التي قدموا منها في خراسان، وبمعنى آخر كان سكناهم على أساس إقليمي لا عنصري . (2) .

وحين حضرت المنصور الوفاة، دعا بني هاشم والشيعة من خراسان أن يتحدوا وراء المهدي ولي العهد، ويساعدوه على تسيير أمور الدولة ثم قال : " وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدي، ولا يلبسكم شيعا . ولا يذيق بعضكم بأس بعض، يا بني هاشم، ويا أهل خراسان » ثم أخذ في وصيتهم بالمهدي، وتذكيرهم بالبيعة له، وحضهم على القيام بدولته، والوفاء بعهده .

وفي أواخر عهد المهدي، وفي أيام الهادي، وهارون الرشيد، بدأ يظهر اصطلاح جديد بين كتل البلاط، وتشكيلات الجيش العباسي ألا وهو (الأبناء)، ويذكرهم ابن سعد في طبقاته باسم (أبناء خراسان) حيث يشير إلى "أن إسحق بن إبراهيم هو من أبناء خراسان ـ من

---

(1) أنظر : فاروق عمر . **طبيعة الدعوة العباسية** . مرجع سابق ، ص . 284 .

(2) فاروق عمر . **الجند الأموي والجند العباسي ـ دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الأموي والعباسي** ، مجلة "المورد" ، العراق : 1979 ، ع . 4 ، ص . 138 .

أهل مرو" وفي رواية للطبري يسمي هذه الكتلة "معشر الأبناء وأهل السبق إلى الهدى"، والهدى هنا معناه الإنضمام للدعوة العباسية . كل ذلك يشير دون شك إلى الأصل الخراساني للأبناء، وبمعنى آخر أن "الأبناء" هم أبناء وأحفاد أهل خراسان .

ويجب أن نشير إلى أن هؤلاء العرب الخراسانية الذين عاشوا في خراسان لفترة طويلة تكلموا الفارسية إضافة إلى العربية، وتزوجوا نساء فارسيات، ولبسوا الملابس الفارسية، وتكيفوا مع البيئة الفارسية بتقاليدها العريقة، واحتفلوا بالأعياد الفارسية، بالإضافة إلى أن أهل خراسان الأصليين بعد زحفهم إلى العراق خلال الثورة مروا بعملية تعريب، وأن الخلفاء العباسيين الأوائل كانوا أنفسهم يشجعون الروح العربية في البلاط والمجتمع العباسي . (1)

ويصف ابن المقفع الخراسانية فيقول : «فمن الأمور التي يذكر بها أمير المؤمنين أمر هذا الجند من أهل خراسان، فإنهم جند لم يدرك مثلهم في الإسلام، وفيهم صفة بها يتم فضلهم إن شاء الله، أما هم فأهل بصر بالطاعة، وفضل عند الناس، وكف عن الفساد، وذل للولاة، فهذه حال لا نعلمها توجد عند أحد غيرهم» . (2)

وقد اشترك الخراسانية في الجهاد ضد البيزنطيين وأظهروا استبسالا منقطع النظير في الدفاع عن الدولة الإسلامية، وحماية بيضتها من العدو المتربص بها، على أن الخراسانية لم يكونوا الفرقة الوحيدة في الجيش العباسي، فقد شكل العباسيون وحدات أخرى على أسس قبلية، وكذلك أشركوا القبائل في حملاتهم العسكرية، وعلى هذا فإن الخلفاء طبقوا الأسس القبلية في ما يخص غير الفرقة الخراسانية، فسياسة عدم الإعتراف بالقبيلة ضمن تشكيلات الخراسانية كانت موافقة تامة لفترة الدعوة العباسية . ثم إن العباسيين رغم ثقتهم بالخراسانية، واهتمامهم برعاية امتيازات هذه الفرقة، فقد وضعوا احتمال حدوث تمرد أو انحراف من جانبها، وبهذا شكلوا فرقا أخرى لتأمين جانبهم من هذه الناحية . (3)

3 ـ 3 ـ الإمارة .

3 ـ 3 ـ 1 ـ الطاهريون والإمارة :

ينتمي الطاهريون إلى إحدى الأسر الفارسية التي كانت تحتل مكانة خاصة وتتمتع بنفوذ واسع في خراسان، قبل عصر المأمون في بلدة بوشنج (4) ويرجع أصلهم إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان، مولى طلحة الطلحات الخزاعي، وقد اضطربت المصادر في

(1) فاروق عمر . **الجند الأموي والجند العباسي** . مرجع سابق ، ص . 128 .

(2) ابن المقفع . **رسالة الصحابة** . ص . 119 ، نقلا عن : فاروق عمر : المرجع السابق ، ص . 130 .

(3) أنظر : فاروق عمر . **الخلافة العباسية** . مرجع سابق ، ص . ص . 209 ، 229 .

4 ـ بوشنج : هي بلدة بخراسان تقع على سبعة فراسخ من هراة . أنظر : ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج . 2 ، ص . 206.

الجد الأعلى لهذه الأسرة ففي بعضها « أنه طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان » و قيل رزيق بن أسعد بن رادوية » (1)

وقد كان طاهر بن الحسين من كبار القواد حكمة وشجاعة، وطد الحكم للمأمون، بعد أن اتصل به في صباه، وقد كانت لأبيه منزلة عند الرشيد، وكان جده مصعب بن رزيق واليا على مرو وهراة في خراسان، كما كان قبل ذلك كاتبا لسليمان الخزاعي داعية بني العباس، فالعلاقة إذن كانت وثيقة بين الطاهريين والعباسيين.(2)

ـ وخلال الفتنة التي حدثت بين الأمين وأخيه المأمون، لعب طاهر بن الحسين وولده عبد الله دورا بارزا في ترجيح كفة المأمون على الأمين، وأعانه على تحقيق أهدافه في نيل الخلافة، فاشتهر أمر طاهر، وذاع صيته، وكان طبيعيا أن يكافأ على حسن صنيعه، إذ منحه المأمون أسمى المراتب، حتى سماه بذي اليمينين.(3)

وعينه واليا على إقليم الجزيرة، وأسند إليه رئاسة الشرطة ببغداد، كما عين أفراد أسرته في مناصب كبيرة في الدولة العباسية، إلا أن طاهرا لم يقنع بولاية الجزيرة، بل ظل يتطلع للوصول إلى ولاية خراسان، غير أن المأمون لم يجبه إلى طلبه في بادئ الأمر، لأن الفضل بن سهل حمل المأمون على تنحية طاهر عن العراق وإرساله إلى الجزيرة لحرب نصر بن شبث (4)، وكان الهدف من ذلك هو حرمان طاهر بن الحسين من ثمرة انتصاراته التي حققها، ليخلو الأمر لبني سهل، وكان نصر بن شبث العقيلي من قيس عيلان من بني عقيل، قد أظهر الخلاف على المأمون بعد مقتل الأمين بكيسوم (شمالي حلب) غضبا على مقتله، وتعصبا للجنس العربي، وقد استطاع أن يضم إليه كثيرا من الأعراب، ويغلب على ما جاوره من البلاد (5)، فخرج إليه طاهر بن الحسين سنة 199هـ، (6) ولكنه لم يخرج بنفس العزيمة التي خرج بها لقتال علي، لإحساسه أن الغرض من إخراجه لقتال نصر هو إبعاده

1ـ ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج . 2 . ص . 201 . الخضري بك . محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) المرجع السابق ص 228

2 ـ الخضري بك **المرجع السابق** . ص . 228

3 ـ سأل المعتصم يوما جماعة من خواصه عن معنى تسمية طاهر بذي اليمينين فلم يعرفوه ، فقال محمد ابن عبد الملك : معناه : ذو الإستحقاقين ، استحقاق بالجدة ، ودنو في الدولة ، وكان أحد النقباء ، واستحقاق ماله في دولة المأمون . قال الله تعالى : " لأخذنا منه اليمين .. أي بالإستحقاق ، وقال الشاعر :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أنظر الشابشتي . الديارات . تحقيق كوركيس عواد ، بغداد : مطبعة المعارف ، 1951 ، ص . 91

4 ـ الطبري . **تاريخ** . ج . 8 ، ص . 527.

5 ـ ابن الأثير . **الكامل** . ج . 8 ، ص . 527 ، ابن أعثم . **الفتوح** . ج . 8 ، ص. 313

6 ـ الأزدي . **تاريخ الموصل** . ص . 334.

عن العراق، في الوقت الذي كان يشعر فيه بعلو مقداره وفضله في تولية المأمون الخلافة، فقد روي عنه قوله حين انتدب لقتال نصر : " حاربت خليفة، وسقت الخلافة إلى خليفة، وأومر بمثل هذا ؟ إنما كان ينبغي أن يتوجه إليه قائد من قوادي » (1)، ولكن ما لبث أن وافق المأمون على تولية طاهر بن الحسين خراسان رغم أنه كان متخوفا من هذا الأمر، والدليل على ذلك ما عبر به لوزيره أحمد بن أبي خالد حين خاطبه في إسناد ولاية خراسان إلى طاهر حيث قال : « إني أخاف أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة » (2)

ـ ويبدو أن المأمون استهدف من تعيين طاهر على خراسان القضاء على حركات التمرد والعصيان في ذلك الإقليم، نظرا لما كان يعهده فيه من مقدرة وكفاءة، وسار طاهر إلى خرسان في آخر شهر ذي القعدة من عام 205هـ (3)، واستخلف ابنه عبد الله بالرقة لقتال نصر بن شبث، وكتب إليه وصية جمع فيها حسن السياسة والدهاء، وأوصاه فيها بعدم الخروج على أحكام الشريعة في أمور القتال (4) .

ـ وقد استطاع عبد الله بن طاهر أن يقضي علي ثورة نصر بن شبث ويدخل كيسوم، ويخرجها، ويبعث بنصر إلى المأمون سنة 210هـ (5) . ثم أسند إليه المأمون في نفس السنة مهمة القضاء على ثورة عبيد الله بن السري بن الحكم الذي حدثته نفسه بالإستقلال عن الخلافة العباسية، وفتنة جالية الأندلسيين بالإسكندرية (6)، فذهب إليه عبد الله إلى مصر، واستنزل عبيد الله بن السري من معاقله، بعد أن أذله، وأجلى الأندلسيين عما غلبوا عليه . قال يونس بن عبد الأعلى أحد علماء الحديث من أهل مصر، قدم علينا من قلب المشرق فتى حدث ـ يعني عبد الله بن طاهر ـ و الدنيا عندنا مفتونة قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب، والناس منهم في بلاء فأصلح الدنيا، وأمن البري، وأخاف السقيم، واستوثقت له الرعية بالطاعة " .(7) وظل عبد الله بن طاهر واليا على مصر والشام والجزيرة . إلا أنه لم

---

1 ـ ابن الأثير . **الكامل** . ج .5 ، ص .197.

2 ـ إبن الطقطقي . **الفخري** . ص 224 ، **العيون والحدائق** . ص 361

3 ـ إبن الأثير . **الكامل** ج 5 ، ص.196

4ـ راجع هذه الوصية كاملة في الطبري ، **تاريخ** . ج8 ، ص 582 ، و أيضا :ابن الأثير . **الكامل** .ج .5 ، ص 198.

5 ـ الأزدي . **تاريخ الموصل** . ص .366.

6 ـ أخرج هؤلاء الأندلسيون عقب ثورة الربض التي حدثت في عهد الأمير الحكم بن هشام ، فاتجه فريق منهم إلى فاس بالمغرب ، وفريق توجه إلى الإسكندرية واستولوا عليها . أنظر : السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين في الأندلس . بيروت : دار النهضة العربية. 1981 ، ص .224

7 ـ الخضري بك : **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية** (الدولة العباسية) المرجع السابق . ص .230

ببق في مصر بل استخلف عليها عيسى بن يزيد الجلودي، وعاد هو إلى العراق سنة 212هـ (1)، بعد أن أصلح أحوال مصر وجبى بها الأموال (2).

3ـ3ـ 2ـ الطاهريون في خراسان .

بالرغم من أن طاهر بن الحسين كان لا يزال يشعر بالخوف من المأمون لقتله أخاه الأمين تلك القتلة الشنيعة (3) فإن المأمون أيضا كان يخشى هو بدوره أيضا من ميول طاهر إلى الإستقلال عن الخلافة العباسية قبل توليته خراسان، إلا أن ضمان وزيره أحمد بن أبي خالد بعدم خيانة طاهر له جعله يأمن جانبه (4) .

وهكذا استطاع طاهر بن الحسين الفوز بولاية خراسان، وكان ذلك سنة 205هـ . ويذكر ابن الطقطقي أن المأمون أنكر عليه أمورا، وكتب إليه يتهدده، فرد طاهر عليه بجواب أغلظ له فيه (5)، ولذلك كان من الطبيعي أن تتوتر العلاقة من جديد بينه وبين المأمون، حتى إنه ما لبث أن قطع ذكره في خطبة الجمعة في خراسان سنة 207هـ (6) .

وبعد وفاة طاهر بن الحسين رأى المأمون أن يولي طلحة بن طاهر مكان أبيه ليكون حائلا بين الناس والشك في أن طاهر مات مقتولا من قبل المأمون، واستمر حكم طلحة لخراسان، إلى أن توفي سنة 213هـ، وظل وفيا للخليفة المأمون فلم يخرج عليه، وكان يكاتبه باسمه (7) .

وبعد وفاة طلحة بن طاهر، استعمل المأمون أخاه عبد الله بن طاهر على خراسان، وبذلك اكتسبت الأسرة الطاهرية صفة الوراثة . ونالت مركزا هائلا، وسلطة نافذة، لم يتمتع بها حاكم من الحكام السابقين .

---

1 ـ **العيون والحدائق** . ص .369.

2 ـ الشابشتي . **الديارات** . ص. 88

3 ـ في شهر محرم من سنة 198 هـ ظفر طاهر بن الحسين بالأمين فقتله ، ونصب رأسه على رمح وكان مليحا أبيض جميل الوجه طويل القامة ، عاش سبعا وعشرين سنة ، واستخلف ثلاث سنين وأياما ... ثم أنشد طاهر بعد مقتل الأمين.

ملكت الناس قسرا واقتدارا ... وقتلت الجبابرة الكبارا

ووجهت الخلافة نحو مرو ... إلى المأمون تبتدر ابتدارا

وسوف أدين قيس الشام ضربا ... يطير من رؤوسهم الشرارا

أنظر : ابن العماد . **شذرات الذهب** . ج .1 ، ص .350 ، 354

4 ـ ابن الطقطقي . **الفخري** . ص. 224

5 ـ **المصدر نفسه** . ص .224

6 ـ **العيون والحدائق** . ص .364

7 ـ محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية في المشرق** . القاهرة : عالم الكتب ،(د . ت) ، ص .45 .

وقد قام عبد الله بن طاهر بحكم خراسان أربع عشرة سنة، استقرت فيها أمور الدولة واتسع نطاقها بعد أن أضاف له المأمون حكم طبرستان، والري، وكرمان فضلا عن خراسان، فأرسل عمالها إليها، وجبى أمواله، واستقر حكمه فيها (1).

وبعد وفاة المأمون ثبت المعتصم عبد الله بن طاهر في ولاية خراسان، بالرغم من عدم ارتياحه له حتى أنه كتب إليه قائلا : " أما بعد : عافانا الله معك، فقد كانت في نفسي عليك حزازات غبرها بقاء الإنتقام عليك لك، وقد بقيت منها هنات أخاف منها عليك، فلا تقدم وحسبك مما أنا منطو عليه لك إظهاري إياك على ما في ضميري والسلام »(2)، وقد استطاع عبد الله بن طاهر أن يريح الخلافة العباسية من محاربة المازيار (3)، الذي خرج في ولاية شروين في أطراف طبرستان، حيث وجه عمه الحسن بن الحسين بن مصعب لقتاله فهزم المازيار وحمله وإخوته وأهل بيته إلى المعتصم، فتولى قتله وصلبه . (4)

وفي عهد الواثق بالله ظلت ولاية خراسان كما هي في يد عبد الله بن طاهر إلى أن توفي سنة 280هـ (5) فأشار القاضي أحمد بن داود على الواثق بالله تولية ابنه طاهرا خلفا له، فوافق الواثق علي ذلك وولى طاهرا بن عبد الله ولاية خراسان في نفس السنة التي توفي فيها والده (6)، واستمر طاهر واليا على خراسان طيلة حكم الواثق بالله، ثم المتوكل على الله، ثم المنتصر بالله، وفترة من خلافة المستعين بالله إلى أن توفي سنة 248 هـ، ولما بلغ

---

(1) محمد علي. **جهد الدويلات الإسلامية في المشرق** . مرجع سابق ، ص . 46 .

2 ـ الشابشتي . **الديارات** . ص .90

3 ـ المازيار . رجل من كبار ملاك الأراضي في فارس ، وقد نسبت تلك الطائفة من جماعة الخرمية إليه ، وعرفت باسم المازيارية ... وقد كانت محاولة لإحياء تعاليم مزدك ، رسول الإباحية القديم أيام كسرى قباذ . وقد استطاعت هذه الجماعة أن تجتذب إليها ضعاف النفوس ... ودأب أتباع المازيار على اتخاذ ليلة يجتمعون فيها على الخمر والزمر ، نساءا ورجالا . ثم عمد المازيارية بعد ذلك إلى إخفاء حركتهم باتباع بعض المظاهر الإسلامية مثل : بناء المساجد ، ولكن دون تأدية الصلاة فيها ، أو أن يمارسوا شيئا من الفروض الإسلامية كالصوم وما أشبه ذلك ... وقد استطاع المازيار أن يكسب ثقة الخليفة المأمون بأساليب ماكرة وخفية ، ونال منه ولاية شروين في أطراف طبرستان ، حتى أصبح له حق الإتصال مباشرة بالخلافة من دون ولاة خراسان ، وظل المازيار طوال خلافة المأمون ينظم صفوف أتباعه في طبرستان ويولي حكاما في تلك الجهات من المؤمنين برسالته ضد العرب ... أنظر : إبراهيم أحمد العدوي . المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية . مرجع سابق . ص .131.

4 ـ مسكويه . **تجارب الأمم** . ج .6 ، ص .511 ، وما بعدها . **العيون والحدائق** ، ص .401 وما بعدها .

5ـ الطبري . تاريخ .ط .2 .(د. م) : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر .1987 ، ج 9 ، ص .67 . المسعودي . **مروج الذهب** . ج. 4 ،ص .77 . ابن الأثير . **الكامل** . ج .5 ، ص 270 . ابن العماد . **شذرات الذهب** ج 2 ص .68.

6 ـ الطبري **تاريخ** . ج .9 ، ص .67 . مسكوية . **تجارب الأمم** . ج .6 ، ص. 528

المستعين خبر وفاة طاهر كتب بالولاية إلى ابنه محمد . (1)

وقد ظل الطاهريون يقدمون خدمات للخلافة العباسية، يذودون عن حياضها، و يحرسون حدودها الشرقية ... ويعملون على تحقيق الأمن والإستقرار في خراسان مما أرضى الخلفاء العباسيين عليهم، رغم تنامي الوعي القومي الفارسي في خراسان في ظل الحكم الطاهري . إلا أن الولاء ظل دائما لكل خليفة عباسي يتولى الحكم ... إلى آخر حكام الطاهريين محمد بن طاهر (248هـ ـ 259هـ) حيث قدر لهذه الأسرة أن تزول على أيدي الصفّاريين ففي سنة 257هـ تقدم يعقوب بن الليث الصفار إلى بوشنج، واستولى عليها وقبض على طاهر عامل محمد بن طاهر عليها، فأرسل إليه محمد بن طاهر يسأله إطلاق سراحه فلم يلب طلبه، وأبقاه في الأسر . (2)

ولكن بالرغم من عدم اعتراف الخليفة العباسي بشرعية ولاية يعقوب بن الليث الصفار على خراسان (3)، وإعادته ولاية خراسان إلى محمد بن طاهر بعد فك أسره من يعقوب بن الليث (4)، إلا أن محمد ابن طاهر لم يعد إلى خراسان ثانية، فقد كان يقوم بأمر خراسان واليا من قبله وهو الحسين بن طاهر (5) في الوقت الذي كانت لا تزال فيه خراسان تحت السيطرة الفعلية ليعقوب بن الليث إلى أن توفي في سنة 265هـ (6) وخلف يعقوب أخوه عمرو بن الليث الذي بادر بالولاء للخليفة العباسي، والرجوع إلى الدخول تحت حكمه، فرحب الخليفة العباسي بذلك وأرسل له تقليدا بولاية خراسان، وفارس، وأصبهان، وسجستان، وكرمان، والسند . (7)

وهكذا فقدت الدولة العباسية أسرة قدمت لها أجل الخدمات في خراسان، وغيرها، ولعبت دورا بارزا في الإدارة العباسية، سواء قبل الإستقلال، بخراسان، أو بعدها . كما أن الحكومة المركزية في بغداد لم تتوان عن تقديم العون للطاهريين بالقدر الذي سمحت به ظروفها، فقد كان الطاهريون بمثابة شركاء في توجيه سياسة الدولة العباسية، وإدارة شؤونها، إذ كانت أهم المناطق تحت نفوذهم، تمتعوا بنفوذ داخلي كبير فيما يتعلق بشؤون الإدارة

---

1 ـ الطبري . **تاريخ** . ج .9 ، ص .130

2 ـ محمد علي حيدر . **الدويلات الإسلامية في المشرق** . مرجع سابق ،ص .48 .

أنظر : ابن الأثير . **الكامل** . ج .5 ، ص .369 ، 370

3 ـ الطبري . **تاريخ** . ج .9 ، ص .255

4 ـ الشابشتي . **الديارات** . ص .24

5 ـ الطبري . **تاريخ** . ج .9 ، ص . 259

6 ـ الذهبي . **العبر في خبر من غبر** . ج .1 ،ص . 381 ، ابن كثير . **البداية والنهاية** . ج .11 ،ص .38

7 ـ ابن كثير . **البداية والنهاية** . ج .11 ، ص .38

المحلية (1)، كما لم يحاول الطاهريون اغتصاب أرض أو ضم مناطق جديدة إلى ولايتهم بالقوة أو التحايل، إلى حد أن اعتبرهم البعض ولاة، وليسوا أمراء مستقلين (2) .

ونخلص إلى القول بأن الطاهريين لم يدّخروا جهدا في القضاء على الحركات المعادية للخلافة في أقطارهم. فقد قمع طاهر بن الحسين الجند الثائرة، ورتب الدواوين، فأصبحت في غاية الدقة والتنظيم، ونظم جباية الخراج، ويسّر سبل الحج، وحكم هو ومن جاء بعده بالعدل والقسطاس ... بالإضافة إلى أن خلفاء بني العباس منذ عصر المأمون قلّدوهم شرطة بغداد، فتوارثها بنو طاهر حتى سنة 300 هـ (3) .

وعلى أية حال لم تنتقص الحكومة المركزية من الإستقلال الذاتي للأسرة الطاهرية بخراسان، كما لم يخرج الطاهريون عن سياسة التبعية والولاء للحكومة المركزية . فقد كانت العلاقة بينهما شبيهة بتلك العلاقة بين الدويلة والدولة الأم الإتحادية، أو «الإتحاد الفيدرالي»، المعروف في عصرنا الحديث . (4)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ـ محمد علي حيدر . **الدويلات الإسلامية في المشرق** . مرجع سابق . ص .48

2 ـ مسعود أحمد مصطفى . **أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية** . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 ، ص .215.

3 ـ الطبري . **تاريخ** . ج .8 ، ص .577.

4 ـ مسعود أحمد مصطفى . **المرجع السابق** . ص .216.

الباب الثاني

الخراسانيون ودورهم العلمي في العصر العباسي الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

1ـ التعليم في خراسان

1ـ1ـ طلب العلم وفضله:

كانت بعثة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى العالمين نورا بدد الظلمات، وأزال الجهالات حتى عم ضياؤه الأرجاء، فاستنارت العقول التائهة، واستهدت النفوس الشاردة، وأنست الدنيا بفجر جديد، امتد على المعمورة فغمرها بفيض العلم،والنور، والهداية، ولم يمض عصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعصر الراشدين المهديين من بعده حتى انتشر العلم في جميع ديار المسلمين، فأولاه الناس عظيم عنايتهم، وتوجهوا إليه بكليتهم، فعشقته النفوس، وشغفت بحبه القلوب، وشنفت لسماعة الآذان، وتمنّى كل فرد أن ينال منه القسط الأوفى، والنصيب الأوفر، والقدح المعلّى . وذلك تحقيقا لنصوص قاطعة الثبوت والدلالة، تحث على طلب العلم، وتبين فضله، وترفع من قدر العلم والعلماء، ومن بين هذه النصوص : قوله تعالى:"قل هل يستوي الذين يعلمون، والذين لا يعلمون" (1)، وقال أيضا:"يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجت" (2)، وقال تعالى أيضا:"إنما يخشى الله من عباده العلمؤُا" (3) كما أمرنا تعالى من الإستزادة من العلم بقوله:"وقل رب زدني علما" (4).

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة عن عدد من مراحل المعرفة ومظاهرها منها: ـ الظن (72) مرة، والشك (15)، والزعم (17)، والشعور (33)، والبصر (149)، والنظر (124)، والمعرفة (47)، والدرس (16)، والعقل (50)، والفكر (18)، والفهم (1)، والفقه (20)، والحكمة (20)، والحكيم (105).

كما وردت من أساليب المحادثات: الجدال (25)، والمشاقفة (15) ، والمحاججة (12)، والبرهنة (8)، والتيقن (29) . ووردت كلمة "العلم" ومشتقاتها في (624) موضعا من القرآن الكريم .(5)

---

(1) سورة : الزمر (الآية : 9)

(2) سورة : المجادلة (الآية : 11)

(3) سورة : فاطر (الآية : 28)

(4) سورة : طه (الآية : 114)

(5) صالح أحمد العلي . دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام.ط .1، بيروت : مؤسسة الرسالة . 1983 . ص.ص. 30 31.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وجاء في السنة الشريفة أحاديث كثيرة تحث على طلب العلم، وترشد إليه، منها: قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" (1)، وقال أيضا :"من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض، حتى الحيتان، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" (2)

ولم يكتف الإسلام بحث المؤمنين على طلب العلم، والإرتواء من منابعه، وإشباع النهم العقلي منه، دون تبليغه، وإشاعته بين الناس، لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ "نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه، كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع" (3)، بل حذر من كتمه، وحجبه عن طلابه. قال تعالى : " إن الذين يكتمون مآأنزلنا من البَيِّنت والهدى من بعد ما بَيّنهُ للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا و أصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم" (4)، وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة" (5)

فهذا الترهيب، وذاك الترغيب كان لهما وقع شديد في نفوس أهل العلم، فقد حملاهم على الجهاد في طلبه، والسفر إلى حواضره ثم الرجوع لتبلغه ونشره في الناس كاملا غير منقوص، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أعدادا كثيرة من المسلمين الأوَل من الصحابة الذين حمل كل واحد منهم علما عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَقِهُوا هذه المعاني، فخرجوا حاملين القلم والكتاب ليفتحوا المدن والبقاع، مستوعبين قانون الإمتداد الحضاري، فبعد الإمتداد بالفتوحات، كان لزاما عليهم أن يمتدوا بالدعوة، ونشر الثقافة والعلم، لتحقيق التوازن بين الدولة والدعوة، والأرض والعقيدة، والسياسة والفكر ... وإلا فقدت الفتوحات مؤهلها للبقاء والتقدم .. !!

1ـ 2 ـ الرحلة في طلب العلم.

تُعتبر الرحلة في طلب العلم من أهم مميزات حضارتنا، والسمة البارزة في تاريخنا الثقافي، بها عُرف الأوائل من المشتغلين بالعلم ودرسه، والسعي إليه، والإرتحال إلى

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم . باب 13 ، حديث 1

(2) أخرجه الترمذي في جامعه . واللفظ له . في كتاب العلم. باب 19 ، حديث 2. وابن حجر. فتح الباري . ج.1، ص.83.

(3) المصدر نفسه. باب 7، حديث 2.

(4) سورة: البقرة (الآية : 160).

(5) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم. باب 9، حديث 1، واللفظ له .

حواضره، غير مبالين على بُعد الشُّقة ما يعترضهم من مشقة وعناء، وجهد ونفقة، وقد عبر عن هذا الخطيب البغدادي بقوله:"لو كان حكم المتصل والمرسل واحدا لما ارتحل كتبة الحديث، وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار، للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق" (1)، وذلك تحقيقا لقوله تعالى:"فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" (2)

فكانت الرحلة بمثابة المحك لصبر المتعلم وتحمله ، وتمحيصا لعلمه ورسوخه ، وتثبيتا لمحفوظاته بين يدي العلماء في كل فن من الفنون، وفي هذا يقول ابن خلدون ـ مشيدا بالرحلة في طلب العلم ـ :" ... فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ، يفيده في تمييز الإصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم، وطرق توصيل، وتنهض قواه إلى الرسوخ والإستحكام في الملكات، ويصحح معارفه، ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين، وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم، وهذا لمن يسر الله عليه طريق العلم والهداية، فالرحلة لابد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ، ومباشرة الرجال، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم". (3)

وكان طلبة العلم أثناء رحلاتهم يعملون من أجل توفير النفقة على أنفسهم، فيمارسون الحِرف والصنائع ليقتاتوا منها، ويعينهم ذلك على معاشهم أثناء فترة التحصيل، فيدرسون، ويتلقون من المشايخ العلوم، ويجتمعون بالعلماء في المساجد والمدارس المنتشرة آنذاك في طول العالم الإسلامي وعرضه، فكانت رحلتهم على ما فيها من عناء تمثل المتعة عند تحقيق الهدف الذي خرجوا من أجله.

وقد كان طلاب الفقه مثلا يرحلون إلى البادية، ويختلطون بقبائل العرب البدو يفيدون من أساليبهم، ويقومون عوج ألسنتهم، ويحفظون الشعر لأنه ديوانهم ... وكان أصحاب الحديث يتحملون أكثر من غيرهم مشاق الرحلة في طلب العلم، والصبر على عنائها، وكثيرا ما كانت رحلة الحج مناسبة هامة للتحصيل والعطاء في آن واحد ، وقد كان من بين الخراسانيين مشاهير في هذا الميدان من أمثال : ـ أبو السكن البرجمي البلخي (الخراساني) بين 115هـ 215هـ) الذي قدم بغداد في طريقه إلى الحج، فسمع بها، وحدث أيضا، في ذهابه، ورجوعه، وروى عنه أحمد بن حنبل، والبخاري، وروى عنه حفيده: محمد بن الحسن المكي، ويحي بن

---

(1) الخطيب البغدادي. **الكفاية في علم الرواية**. ط.1، القاهرة: دار الكتب الحديثة، [د.ت] ، ص. 402.

(2) سورة التوبة الآية ـ 122.

(3) ابن خلدون. **المقدمة** . ص.1044.

يحي النيسابوري، ويحي بن معين، وعدد كبير من العلماء المعاصرين له، حج ستين حجة ... وجاور بالبيت عشر سنين، وكان يقول :"قطعت البادية من بلخ خمسين مرة حاجا ... وكان ثبتا في الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات. (1)

ومن أمثالهم أيضا: إسحق بن راهوية المروزي (161هـ - 238 هـ)، وهو أحد أئمة الإسلام، وأحد كبار الشافعية، وعالم خراسان في عصره، من سكان مرو، وهو أحد كبارالحفاظ، رحل في طلب الحديث فورد بغداد غير مرة، وجالس حفاظ أهلها، وذاكرهم، وعاد إلى خراسان، فاستوطن نيسابور إلى أن توفى بها، وانتشر علمه عند الخراسانيين، وممن روى عنه البخاري ومسلم، والترمذي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم كثير. (2)

أما نعيم بن حماد المروزي فقد كان أحد الرحالة في طلب الحديث، سمع بالعراق، والحجاز، ومصر، ومات في سجنه ببغداد غداة يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من جمادي الأولى سنة 228هـ.(3)

وكثيرا ما كانت الفتن والثورات دافعا للرحلة وهجرة الوطن الأصلي، ومن بين الذين هاجروا بسبب الفتن النعمان بن عبد السلام بن حبيب النيسابوري - (وهو عربي من تميم) - نقله أبوه أيام فتنة أبي مسلم الخراساني إلى أصبهان، ثم سار به إلى البصرة، فتفقه على سفيان الثوري، وكان يجالس أبا حنيفة وزفر، وقد روى عنهما، وكانت وفاته سنة 183هـ. (4)

ولم تقتصر الرحلات على طلاب الحديث، إنما شملت طلاب العلوم الأخرى كاللغة، والأدب، وغيرها ... فالإمام الفقيه أبو عمرو - ويقال أو سهل السلمي (حفص بن عبد الله) قاضي نيسابور، ولد بعد عام 130هـ، ورحل في طلب العلم فسمع من مسعر بن كدام، وعثمان بن عطاء الخراساني، وسفيان الثوري ... وغيرهم. (5)

---

(1) ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج.1 ، ص 179، الذهبي . **تذكرة الحفاظ**. بيروت : دار إحياء التراث العربي ، [د.ت] ، ج.2 ، ص. 433، أبو نعيم الأصفهاني . **حلية الأولياء** . ج.9 ، ص. 234، ابن الأثير . **الكامل** . ج. 5، ص. 293.

(2) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد**. ج. 13، ص . 115، ابن سعد . **الطبقات الكبرى** . ج.7 ، ص . 237 ، ابن حبان . **الثقات**. ط.1 ، الهند . مطبعة مجلس دائر المعارف العثمانية. 1980. ج.7، ص. 526.

(3) الخطيب البغدادي .. **تاريخ بغداد**. ج.13 ، ص. 306، ابن حجر . **تهذيب التهذيب**. ط .1 . حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ، 1327هـ/1909م ، ابن سعد . **الطبقات** . ج.7، ص. 359، الذهبي . **العبر** . ج.1، ص. 318.

(4) ناجي معروف . **عروبة العلماء المنسوبين للبلاد الأعجمية في المشرق الإسلامي** .مرجع سابق ، ص . 85

(5) الذهبي . **سير أعلام النبلاء** . ط .1. تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وآخر . بيروت : مؤسسة الرسالة .1402هـ/1982م. ج.9 ، ص. 485، ابن حجر. تهذيب التهذيب. ج 2، ص. 403، الذهبي. تذكرة الحفاظ. ج. 1. ص. 368.

ومن الجدير بالذكر أن الذين يرحلون في طلب العلم (وخاصة طلاب الحديث) كانوا بعدما يختمون المصنفات، والكتب على مشايخهم تعطى لهم إجازات علمية تشهد بحفظهم، واستيعابهم لما أخذوه، ويخول لهم نقله وتدريسه.

1ـ3ـ إهتمام الخلفاء ووزرائهم بالحركة العلمية .

كان خلفاء بني العباس في عصرهم الأول . يحتفون بأهل العلم، ويحدِبُون على طلابه ويقدمون العون للساعين من أجله، لأنهم كانوا هم أنفسهم من المشتغلين بالعلم، بل كانوا من مريديه . فهذا أبو جعفر المنصور كان طلاّبة للعلم، وخاصة علم الحديث، قال الصولي :"كان المنصور في شبيبته يطلب العلم من مظانه، والحديث والفقه، فنال جانبا جيدا، وطرفا صالحا، وقد قيل له يوما، يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تنله ؟ فقال: شيء واحد، فقالوا : ماهو؟ قال : قول المحدث للشيخ من ذكرت رحمك الله؟ (1)، فاجتمع وزراؤه وكتابه، وجلسوا حوله وقالوا : ليمل علينا أمير المؤمنين شيئا من الحديث، فقال: لستم بهم، إنما هم الدنسة ثيابهم، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، رواد الآفاق، وقطاع المسافات، تارة بالعراق، وتارة بالحجاز، وتارة بالشام، وتارة باليمن، فهؤلاء نقلة الحديث ". (2)

وقال محمد بن سلام الجمحي:"قيل للمنصور: هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تنله؟ قال : بقيت خصلة، أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث، يقول المستملي: من ذكرت رحمك الله ؟ قال: فغدا عليه الندماء، وأبناء الوزراء بالمحابر، والدفاتر، فقال: لستم بهم، إنما هم الدنسة ثيابهم، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، برد الآفاق، ونقلة الحديث" (3)

وكان المنصور يوصي ابنه المهدي بتلقي الحديث،ونقله، ومجاورة أهله بقوله :"يا بني لا تجلس مجلسا إلا وعندك من أهل الحديث من يحدثك، فإن الزهري قال: علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكران الرجال، ولا يكرهه إلا مؤنثوهم". (4)

أما الخليفة هارون الرشيد فقد طلب العلم، وشغف به قبل الخلافة وبعدها، روى الإمام السيوطي عن أحد القضاة قوله :"ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشيد، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ عن مالك رحمه الله ... ثم رحل لسماعه السلطان

---

(1) كان من عادة أئمة الحديث إذا جلسوا للإملاء أن يستفتح المستملي المجلس بالبسملة والحمدلة . والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ثم يقبل على المحدث ويقول : من ذكرت، أوما ذكرت رحم ، أو غفر الله لك ، أو نحوه . ثم يبدأ الشيخ بالإملاء . أنظر: ابن الصلاح. **علوم الحديث** . تحقيق نور الدين عتر. بيروت : المكتبة العلمية .1402هـ/1981م ، ص. 219.

(2) نقلا عن : ابن الكثير. **البداية والنهاية**. ج.10، ص. 126.

(3) السيوطي . **تاريخ الخلفاء** . بيروت : دار الفكر . [د.ت] ، ص. 248.

(4) ابن كثير **البداية والنهاية** . ج.10، ص. 126.

صلاح الدين بن أيوب إلى الإسكندرية ... ولا أعلم لهم ثالثا" (1)

بينما اشتغل ابنه المأمون بالعلم منذ صغره، فسمع الحديث عن جماعة من الأئمة، وكان أعلم خلفاء بني العباس، فقيها، بارعا في العربية، وأيام الناس، وعني بعلوم الأوائل، وكانت عنده حافظة قوية مستحضرة، فقد قال محمد بن المنذر الكندي :"حج الرشيد فدخل الكوفة، فطلب المحدثين، فلم يتخلف إلا عبد الله بن إدريس، وعيسى بن يونس، فبعث إليهما الأمين والمأمون فحدثهما ابن ادريس بمائة حديث، فقال المأمون : ياعم أتأذن لي أن أعيدها من حفظي؟ قال : أفعل . فأعادها فعجب من حفظه" . (2)

ومما يدل على اهتمام المأمون بالعلم أيضا، وحفظه له، ما ذكره محمد بن سهل بن عسكر قوله :"وقف المأمون يوما للآذان، ونحن وقوف بين يديه، إذ تقدم إليه رجل غريب بيده محبرة فقال: يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به، فقال له المأمون: إيش تحفظ في باب كذا؟ فلم يذكر فيه شيئا، فمازال المأمون يقول: حدثنا هشيم، وحدثنا حجاج، وحدثنا فلان حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب ثان، فلم يذكر فيه شيئا، فذركه المأمون ثم نظر إلى صاحبه فقال: يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث أعطوه ثلاثة دراهم" (3)

وقد أولى المأمون "لبيت الحكمة" التي أنشأها الرشيد عناية فائقة، ووصل بها إلى الذروة في النشاط العلمي، حيث ترجمت العلوم من اللغات الأجنبية، وجلبت إليها الكتب اليونانية، والفارسية، والهندية، والقبطية، وقد صنفت هذه الكتب التي وردت إلى بيت الحكمة حسب موضوعاتها واختير لها المترجمون، ممن لهم خبرة علمية بالموضوع الذي يترجمون عنه . ويعتبر "بيت الحكمة" أول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الإسلامي، ولعله أول جمعية علمية، أو جامعة إسلامية، يجتمع فيها العلماء للبحث والدرس، ولجأ إليها الطلاب فكانت بذلك مركزا علميا شمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها، ويعتبر عصر المأمون أزهى عصور بيت الحكمة، فقد كان المأمون، مثال الخليفة العالم، يهب العلم اهتمامه ورعايته، كما يهب العلماء عطفه وعنايته. (4)

وهكذا زخرت العلوم ونفق سوقها أيام حكم بني العباس الأوائل، الذين أولوا للعلم وأهله مكانة سامقة، ودرجة رفيعة، على امتداد الرقعة الإسلامية في ذلك الوقت، فقد كانت لانبساط رقعة الدولة العباسية، ووفرة ثرواتها، ورواج تجارتها أثر كبير في إنشاء نهضة

---

(1) السيوطي **تاريخ الخلفاء** . ص. 273

(2) **المصدر نفسه**. ص. 303

(3) **المصدر نفسه** . ص . 307.

(4) عبد الحليم منتصر. **تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه** . ط.4. مصر: دار المعارف ،1971، ص 63.

ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدا أن الناس جميعا من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأنا غدوا طلابا للعلم أو على الأقل أنصارا للأدب، وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين، ثم يصنفون بفضل مابذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي أشبه شيء بدوائر المعارف، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل. (1)

ولم تقتصر العناية بجلب الكتب العلمية من البلدان الأخرى، وترجمتها، وتفسيرها، على الخلفاء وحدهم، بل شاركهم في هذا عدد من الوزراء، ورجالات الدولة، بالإضافة إلى عدد كبير من المواطنين الذين تعشقوا هذه العلوم، فراحوا يبذلون الأموال الطائلة في سبيل ترجمتها، وإيفاد البعوث الكثيرة إلى بلادالروم، وفارس والهند، للتنقيب عنها، واستجلابها، وتعريبها، والإفادة من محتوياتها.

- وقد كان "البرامكة" على رأس الذين عملوا على نقل العلوم الفارسية، والهندية، واليونانية، وبذلوا في ذلك الأموال، والهبات الكثيرة، وراحوا ينافسون الخلفاء وأمراء البيت العباسي المالك في اهتماماتهم بهذه العلوم، وحدّ بهم على العلماء والكتاب والمترجمين.

وقد تأثر بعض البرامكة بالعلوم اليونانية التي وجدت سبيلها إلى مدنية "مرو" عن طريق مدينة جند يسابور القريبة منها، والتي كان يشرف على إدارتها و التدريس فيها رهبان وعلماء من النسطوريين، كما أرسل يحي بن خالد في طلب بعض علماء الهند المتفوقين، وعيّن من يترجم عنهم كتبهم، وأفكارهم إلى العربية وبوساطة هؤلاء الهنود الذين استدعاهم يحي بن خالد نُقلت فنون من الثروة العلمية من الهندية إلى العربية،إذ كان علماء الهند ورياضيوها يفدون إلى بغداد بأعداد كبيرة. (2)

وعلى هذا كان البرامكة خير مثال على التفاني في خدمة العلم، والإغداق على مريديه، وطلابه ومؤسساته. يقول ابن خلدون :"كانت سوق العلم عند البرامكة "أعزهم الله" نافقة، فهم الذين استنهضوا همم العلماء إلى تعريب صحف الأعاجم وأشاروا بعمل الكاغد لنسخ أسفارهم، وقد رأوا الرقوق التي تستعمل في الصكوك ورسائل السلطان لا تكفيهم في تدوين مصنفاتهم ومعرباتهم، فرأوا من عمل الكاغد ذريعة إلى نشر العلم الذي عنو برفع

---

(1) nicholson. leterary history of the arabs (combridge. 1930.p.181

نقلا عن: حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام. مرجع سابق، ج. 2، ص. 263..

(2) أنظر : سليم طه . **التعريب وكبار المعربين في الإسلام**. مجلة "سومر" ، بغداد: مديرية الآثار العامة ، 1976، مج. 32 . ج . 1،2، ص . 340.

مناره، بحيث لم يدعوا سبيلا إلى انتفاع الأمة به إلا سلكوه، وقد أعقبهم هذا المسلك فخرا تناقله الألسنة عنهم بطيب الأحدوثة" (1) وقد عرف هؤلاء البرامكة كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم في تذوق الدراسات والكتب، وخدمة العلم. (2)

وجاء من بعدهم الطاهريون في خراسان، فقد كان لهم الإتجاه نفسه من الإهتمام بالناحية العلمية، والإفادة فيها، فعائلة بني طاهر كغيرها من الأسر الفارسية هرعت إلى تعلم أدب القرآن، ولغة الإسلام، ولا سيما اتصالهم بولاة الأمور، وخدمتهم، مما أكسبهم إحاطة بالعربية وآدابها.وقد أخذ أبناء طاهر العلم من أفواه أساتذة بارزين، لا يقلون علما عن أساتذة الخلفاء، وأبناء الخلفاء، فتلقفوا الفصاحة طبعا وبيانا، وجلسوا إلى الرواة وسمعوا منهم، فكان لكل ذلك أثره الواضح في اتساع ثقافتهم، وحسن تعبيرهم، وانطباعهم على البلاغة، وتذوقهم للآثار الأدبية تذوقا سليما، وفهمهم للحياة الأدبية فهما واسعا عميقا،وكل ذلك تجلى في وصاياهم، وكتبهم، ومراسلاتهم، فقد كان الطاهريون بدءا بالجد مصعب و مرورا بالأبناء والأحفاد يشكلون في خراسان مدرسة أدبية، إذ كانوا كلهم يجيدون إبداع الفنون الأدبية، ففي الكتابة والنثر برز منهم طلحة ومصعب إبنا زريق، وهما كاتبان في الدعوة العباسية، وفي الشعر والنثر، والخطابة، والحكم، والتواقيع طاهر وعبد الله، وعبيد الله، ومحمد، أما في الغناء والموسيقى فقد اشتهر عبد الله، وعبيد الله، ومحمد بن الحسن بن مصعب وغيرهم، وقد وُفق الدكتور أحمد زكي صفوت في جمع شتات رسائل طاهر بن الحسين، وتوقيعاته، وحفظها في كتابه النفيس "جمهرة رسائل العرب" فقد أورد لطاهر بن الحسين ست قطع جزلة قوية، كما أورد لعبد الله بن طاهر، ومحمد بن عبد الله، وطاهر بن عبد الله،وعبيد الله بن عبد الله، أما ما أورده ابن عبد ربه في "كتاب التوقيعات والفصول" فهي جملة كبيرة رائعة من التوقيعات، وفصول العتاب، والشكر، وحسن التواصل، والبلاغة .. وغيرها. (3)

من ذلك يتضح لنا كيف أدرك الخلفاء والوزراء والأمراء في تلك الفترة أن العلم هو سياج الدولة وعمادها، وأن العلماء هم مشاعل الحضارة، ورواد الأمة، فعملوا على تشجيع العلوم، فبنوا المدارس، والربط، لطلاب العلم، وأكرموا العلماء، وأحسنوا وفادتهم، وأجزلوا لهم العطاء، وبذلوا لهم بسخاء، كما أدركوا أن خير ما يضمن لهم بقاء دولتهم ورقيها أن

---

(1) ابن خلدون **المقدمة** . ص .750.

(2) جاك. س ـ ريسلر. **الحضارة العربية**. ترجمة غنيم عبدون. [د.م] : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، [د.ت] ، ص 98.

(3) أنظر: ابن عبد ربه . **العقد الفريد**. ج.2. ص.ص. 196.198. وانظر أيضا: **الطبري** . **تاريخ** . ج.8. ص 581 . أحمد زكي صفوت. **جمهرة رسائل العرب** . بيروت : المكتبة العلمية . [د.ت]، ج .3 ، 4.

يشحنوا مراكزها المختلفة بالعلماء في شتى الفنون للدفاع عن بيضة الدين، وحراسة الأمة.

وكان من آثار الرحلة في طلب العلم، واهتمام الخلفاء والوزراء بأهله بناء الحواضر، والأمصار التي فجّروا فيها المعارف والعلوم على اختلافها، فانبعثت النهضة، وازدانت المدن، والبلدان بالعلماء، وبنيت للعلم مراكز لا تزال شاهدة على العظمة، قائمة على تعاقب الأزمان.

1ـ 4ـ المؤسسات التعليمية في خراسان

لقد حرص الخلفاء، والأمراء، والوزراء، في الدولة الإسلامية على تهيئة الأسباب لانتشار العلوم في بلادهم، وكان من أهم ما قاموا به لتحقيق هذا الهدف هو إنشاء المراكز العلمية، والمؤسسات التعليمية في خراسان كالمدارس، والمكتبات وما إليها .. وقد مرت هذه المؤسسات بمرحلتين رئيسيتين : أولهما: المؤسسات التي سبقت إنشاء المدارس وتمثلت في الجوامع والمساجد. و ثانيها:هي إنشاء المدارس وكان أغلبها في العصر العباسي الثاني.

1ـ 4ـ 1ـ التعليم في الجوامع والمساجد.

يطلق لفظ "المسجد" على المكان الذي تقام فيهالصلوات الخمس، فإذا أقيمت صلاة الجمعة في أحدها، أطلق عليه "مسجد جامع" وربما قيل (الجامع) بحذف كلمة "مسجد" للتخفيف، وقد أقام المسلمون آلاف المساجد، فكانت مدينة نيسابور وحدها تضم عشرات المساجد الجامعة (1)، وقد عني العرب المسلمون عند تخطيط مدنهم، بجعل المسجد الجامع في وسط المدينة، حتى يسهل على الناس الوصول إليه، وقد أصبحت المساجد الجامعة في كل مكان من بغداد، والبصرة، والكوفة، ومرو، ونيسابور، ومن أعظم مراكز الحركة الفكرية خلال القرن الثاني والثالث للهجرة، زمن تدوين علوم الإسلام، وتطور مناهجها بعد ذلك.

ونظرا لسعة المساجد الجامعة، وفخامتهافقد ضمت حلقات علم متنوعة تعقد في جهات مختلفة منها، وتتخذ أسماءها إما من اسم شيخ الحلقة، كأن يقال مثلا : حلقة الحسين النيسابوري (ت 202هـ)، وحلقة النضر بن شميل المروزي (ت 203هـ) وهكذا .... وإما أن تأخذ إسمها من اسم العلم الغالب عليها كأن يقال : حلقة أهل الحديث، وحلقة النحويين .. ونحو ذلك . وكانت منزلة صاحب الحلقة ومكانته تتحدد بسعة علمه، وقدرته على ايصاله للحاضرين، فكانت الحلقات تتسع وتضيق استنادا إلى تلك المنزلة، وقدرة صاحبها على

---

(1) تزخر مدينة نيسابور بالعشرات من الآثار والأماكن التاريخية بالإضافة إلىالمراقد ، ومقابر الأولياء والأئمة. إلا أن المسجد الجامع الذي يوجد اليوم بنيسابور يعود إلى العهد التيموري فقط . فقد شيد هذا المسجد عام 899هـ من قبل علي بن بهلوان كرمي ابن يا يزيد. الذي دفن في قبو مدخل المسجد الرئيسي .

انظر : م.حداد. مجلة "**الرصد الثقافي**" بيروت : المستشارية الثقافية الإيرانية ، 1993 ، ع ـ 23 ، ص. 13.

اجتذاب الجمهور، فكانت حلقات العلماء الكبار حافلة يحضرها مئات الناس، بينما كان صاحب الحلقة الذي لا يتمتع بمنزلة مرموقة، لا يحضر عنده إلا القليل، ويتجنبه طلاب العلم، وكانت الحلقة إما أن تختص بموضوع واحد، أو تشتمل على عدة موضوعات، فقد تكون خاصة بالقرآن، أو الفقه على مذهب معين، أو الحديث، أو المناظرة، وتتضمن الفتوى والمناظرة مجموعتين، أو الحديث والفتوى، أو الفتوى والوعظ والحديث جميعا، كما كانت بعض الحلقات تخصص للعوام، بحيث تتناسب ومداركهم العقلية، ومستواهم الثقافي. (1)

وكان المدرس (2) يستمر في التدريس بالمسجد مدى الحياة مادام قادرا على القيام بهذه المهمة، وكان يخلف المدرس أحد تلاميذته النجباء ممن لازمه مدة طويلة، وتخرج عنه، ويروى لنا من القرنين الثاني والثالث الهجري أنه كانت ترمى رقاع في حلقة بعض العلماء الصالحين أمام العالم، وتتضمن هذه الرقعة طلب دعاء لمريض أو صاحب حاجة فيقبض العالم عليها، ويقرأها ويدعو لصاحبها، ويؤمن على دعائهامن حضر، ثم يمضي في درسه. (3)

ـ أما عدد الطلبة فلم يكن ثابتا في جميع المرحلة الدراسية التي يقضيها الطالب في المسجد، وسبب ذلك هو تخرج بعض الطلبة أو تركهم للدراسة، أو مجيء طلبة جدد، ومع أنه ليست لدينا معلومات عن تقسيم الطلبة إلى مراحل ـ في هذه الفترة ـ فمن المعقول أن يقسم الشيخ طلبته إلى مراحل، وإلا فكيف يمكن لمبتدئ أن يتابع من قضى سنتين أو ثلاثا في الدراسة؟ ولعل التقسيم الذي عرف في المدارس فيما بعد إلى مراحل كان معروفا في دراسة المساجد أيضا، ومن الجدير بالملاحظة أن عدد الطلبة القليل نسبيا يتيح للمدرس فرصة كبيرة للعناية بطلابه كما يوفر فرصا أفضل للطلبة أنفسهم في التعمق بالمناقشة والمساءلة. (4)

وهكذا كانت المساجد والجوامع من أبرز أماكن الدرس والتحصيل، وقد درج كثير من الباحثين على إضافة الربط والزوايا إلى المؤسسات التعليمية، ولكن الدراسة المتأنية تظهر أن إسهام الربط والزوايا في هذا المجال كان ضئيلا جدا، بحيث لم نجد عالما تخرج في أحدهما، ذلك أن الغاية من تأسيس هذه الأماكن إنما كان لإيواء الفقراء والزهاد، وليس لتلقي العلم، فقد كانت هذه المراكز تعنى بتدريب القوم على مجاهدة النفس، وربما عنيت في بعض الأحيان

---

(1) بشار عواد معروف. **حضارة العراق**. بغداد: [د.ن]، 1985، ج. 8، ص. 7.

(2) المدرس: حدد القلقشندي وظيفة المدرس بأنه "الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والصرف، ونحو ذلك"، أنظر: **صبح الأعشى**. ج.5، ص. 464.

(3) ياقوت الحموي. **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** (المعروف بمعجم الأدباء). ط.2، مصر: [د.ن]، 1930، ج.6، ص. 384.

(4) بشار عواد معروف. **المرجع السابق**. ج.8، ص. 45.

بتعليمهم معارف القوم (1) لكن أثرها في الحياة الفكرية لم يظهر بصورة تنبئ عن قيمة تعليمية واضحة فضلا عن أن إنشاء الربط والزوايا لهذه الأغراض لم يظهر إلا في فترة متأخرة. (2)

1ـ 4 ـ 2 ـ نشأة المدارس المستقلة .

تناول العديد من الباحثين المحدثين موضوع نشوء المدارس في تاريخنا التربوي، وحاولوا معرفة الأسباب والدوافع التي أدت إلى انتقال التعليم من المساجد إلى المدارس، يقول الدكتور أحمد شلبي في ذلك :". إن الناس رغبوا في الدراسات الإسلامية منذظهور الإسلام، وكلما مرت السنون إزداد الناس إقبالا على حلقات العلم حتى حفلت كثير من المساجد بعدة حلقات دراسية لا بحلقة واحدة، وكان ينبعث من كل حلقة من هذه الحلقات صوت المدرس يلقي الدرس، وأصوات الطلاب يسألون، ويناقشون، وكانت تتلاقى الأصوات المتصاعدة، من الحلقات المختلفة، فتحدث في المسجد شيئا قليلا أو كثيرا من الضجيج .. يمنع الصلاة والعبادة من أن تؤدي على وجهها، فاتضحت صعوبة احتمال المسجد للصلاة والتدريس معا إذ أن مهمة المساجد الأولى هي أن يصلي فيها الناس، ويتعبدوا، ولا يجوز أن تعطل الصلاة في الساجد مهما كانت الأسباب، وشيء آخر، هو أن العلوم تطورت بتطور الزمن وتقدم المنعارف، وأصبحت هناك مواد تستدعي دراستها كثيرا من الحوار والنقاش والجدل، كعلم الكلام، وعل الجدل والمناظرة، ومثل هذه المواد تتنتافى طبيعة تدريسها مع ما يجب أن يكون عليه رواد المساجد من هدوء وجلال" (3)

. هذه الأسباب وغيرها أظهرت الحاجة إلى إنشاء مؤسسات جديدة هي المدارس التي لا تزال بعضا منها باقيا إلى أيامنا هذه . وتدل مجموع الأخبار التي انتهت إلينا أن نيسابور كانت مهد هذه المعاهد والمدارس، وكانت أكبر مراكز العلم في خراسان (4)، وقد وقر في

---

(1) المقصود بمعارف القوم. هي المعارف التي توضح طريق السير إلى الله . لبلوغ أعلى المنازل . والوصول إلى أسنى المقامات.

(2) بشار عواد معروف . **حضارة العراق** . مرجع سابق . ج.8 ،ص.50.

(3) أحمد شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**. ط.5 ، القاهرة : [د.ن]، 1977، ص. 113.

(4) آدم متز. **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**. ط.4 ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة . [د.م] : دار الكتاب العربي ،1967. ج .1، ص. 336.

أذهان بعض المؤرخين، قديما (1) وحديثا (2) أن الأمراء المسلمين من الأعاجم هم وحدهم أول من بنى المدارس في الإسلام، وأن أول من اشتهر منهم بإنشائها نظام الملك الطوسي في أوساط القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي)، وإن السلاطين والأمراء المسلمين من بعده اقتدوا به في إنشاء المدارس الحرة المجانية في أنحاء المملكة الإسلامية وأشهرهم السلطان نور الدين زنكي (ت 569هـ / 1174م)، ثم صلاح الدين الأيوبي (589هـ / 1193م)، ثم الملك المعظم مظفر الدين كوكبري صاحب إربل (630هـ / 1232م) غير أنه بنتيجة البحث والتحري تبين مايلي: (3)

أ ـ أن مدارس كثيرة تم إنشاؤها قبل مدارس نظام الملك.

ب ـ أن طائفة كبيرة من المدارس المذكورة تم إنشاؤها على أيدي علماء من العرب المشهورين في منطقة خراسان، وماوراء النهر، بل كانوا أول من أنشأ المدارس في نيسابور ونذكر فيما يلي ـ للفائدة ـ بعضا من هذه المدارس التي أنشئت قبل مدارس نظام الملك الطوسي:

1ـ مدرسة : حسان بن محمد الأموي القرشي بنيسابور، أنشئت قبل سنة 349هـ.

2ـ مدرسة: ابن حبان التميمي البستي، أنشئت بنيسابور قبل سنة 354هـ.

3ـ المدرسة الصاعدية، التي أنشئت بنيسابور قبل سنة 402هـ.

4 ـ مدرسة سهل الصعلوكي العجلي، أنشئت بنيسابور قبل سنة 404هـ.

5ـ مدرسة أبي عثمان الصابوني، التي أنشئت بنيسابور قبل سنة 405هـ.

6ـ مدرسة ابن فورك الأنصاري، أنشئت بنيسابور قبل سنة 406هـ.

7ـ مدرسة ابن غاضرة الأسدي،التي أنشئت ببوشنج قبل سنة 450هـ.

8ـ المدرسة القشيرية، التي أنشئت بنيسابور قبل سنة 465هـ.

إلى غير ذلك من المدارس التي أنشأها العلماء من أهل خراسان، كالمدرسة العميدية بمرو

---

(1) مثل قول المقريزي : " .. والمدارس مما حدث في الإسلام ، ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين ، وإنما حدث عملها بعد الأربع مائة من سني الهجرة . وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبنيت بها المدرسة البيهقية .. وبنى بها أيضا الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين وبني بها أيضا المدرسة السعيدية ، وبني بها مدرسة رابعة ، وأشهر ما بني في القديم المدرسة النظامية ببغداد .. فاقتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق ، وخراسان ، وما وراء النهر ، وفي بلاد الجزيرة ، وديار بكر .." أنظر : **الخطط** . ج.2، ص. 363 . وانظر أيضا : ابن الأثير .**الكامل** . ج8، ص. 162.

(2) جرجي زيدان. **تاريخ التمدن الإسلامي**. مرجع سابق . ج.2، ص.ص.2،أحمد أمين . **ضحى الإسلام** . مرجع سابق . ج . 2 ، ص .49، أحمد شلبي . **تاريخ التربية الإسلامية** . مرجع سابق ، ص. 116، 358.

(3) ناجي معروف . **علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي**. بغداد . مطبعة الإرشاد . 1393هـ/ 1973. ص.4.

وهي مدرسة آل السمعاني التميمي قبل سنة 494هـ .ومدرسة المنبعي المخزومي من ذرية خالد بن الوليد التي أنشئت بمرو الروذ قبل سنة 510هـ.

والمدرسة التميمية التي أنشئت بمدينة مرو قبل سنة 548هـ، ومدرسة أبي نصر العياضي الأنصاري من نسل الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري أنشئت قبل سنة 532هـ ..." .

ويمكننا أن نؤكد من ناحية أخرى أن لغة التدريس في المدارس التي أنشأها المسلمون في المشرق الإسلامي كانت العربية، سواء كانوا من العرب أرومة أو بالولاء، كما كانت العلوم الإسلامية هي مادتها . وهذا تبعا لطبيعة العلوم الرائجة في ذلك العصر، كما كان لهذه المدارس وقوف كثيرة محبسة للإنفاق منها على شئون الطلاب، وشئون القائمين فيها على خدمتهم، وكان المأمون أول من أبرز هذه الفكرة للوجود، فإنه لم يشأ أن يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء، بل أراد أن يجعل نشاطه قويا متصلا سواء أكان الخليفة كريما أو شحيحا، فهيأ للعلماء رزقا سخيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه عن التكاليف التي تتطلبها هذه المؤسسات الثقافية، وانتشرت فكرة المأمون هذه بين من خلفه من الخلفاء، فأصبح من الضروري عند إنشاء معهد أو مدرسة أن يعين لها وقف ثابت، تتلقى منه مايفي بنفقاتها، ويمدها بما تحتاجه من مصروفات. (1)

ثم تطور هذا الإتجاه فظهرت الأوقاف، والأحباس على الذين يشغلون أنفسهم بخدمة العلم .. وينقطعون إلى التدريس في المساجد والمدارس، وقد كانت جرايات ضخمة يصرف ريعها على المدرسين والعلماء والطلبة من أهل الحديث، والمتفقهة، والوعاظ، والمذكرين، والصوفية، الذين كانوا يعرفون بالفقراء، وعلى الأئمة والمؤذنين، والخدم، والغرباء، والطارئين، والمستورين من ذوي الحاجات، والأرامل، واليتامى، وأولي الضرر، وقد أكثر الحاكم أبو عبد الله المعروف بابن البيع الضبي في كتابه "تاريخ نيسابور"، وعبد الغافر الفارسي في كتابه "السياق"، والصرفيني في كتابه "منتخب السياق"، وتاج الدين السبكي في "طبقاته"من ذكر الأوقاف التي وقفت على المدارس التي بنيت قبل النظامية في خراسان وبلاد ماوراء النهر لعمارتها، وإجراء الجرايات على أربابها من المدرسين والعلماء والطلبة .... وقد جعل ابن حبان التميمي (ت 354هـ) لطلاب مدرسته جريات دارّة يستنفقونها، وكانت لأبي بكر البستي ثروة كبيرة بنى بها لأهل العلم مدرسة ووقف على أربابها جملة من ماله .. (2)

---

(1) أحمد شلبي . **تاريخ التربية الإسلامية** . مرجع سابق ، ص. 365.

(2) ناجي معروف . **مدارس ما قبل النظامية** . مجلة "**المجمع العلمي العراقي**". العراق : 1973، ج. 22، ص. 112.

1ـ 4ـ3ـ خزائن الكتب .

لما كان الكتاب أداة العلم، والمساعد على البحث والدرس، ومنه يتعلم الطلبة جل علومهم، وإليه المرجع والمثاب، فقد احتل في الأعصر التي نمت فيها العلوم منزلة عظيمة، ومكانة رفيعة... حتى أنك تدهش في كثير من الأحيان عندما تسمع المسلم يتحدث عن الكتاب، وما يكن له من تقدير وإجلال، فتخاله يتحدث عن صديق له نما وده، وزاد إخلاصه. أوحبيب طال بعده، وكثر الشوق إليه.

ولعل الجاحظ (1) كان من الأوائل الذين وجهوا الناس إلى الكتاب وأظهروا قيمته، وبينوا النثر وفائدته، وقد كان الغالب قبل ذلك الميل لقول الشعر وحفظ دواوين الشعراء، وفي ذلك يقول :"ولولا الحكم المحفوظة، والكتب المدونة لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر، ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار، ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع، ولا مارسمت لنا الأوائل في كتبها، وخلدت من عجيب حكمتها، ودونت من أنواع سيرها، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا، وفتحنا بها كل مستغلق، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا مالم نكن تدركه إلا بهم ...." (2) وقال واصفا الكتاب :"... الكتاب صامت ما أسكته، وبليغ ما استنطقته، مسامر لا يبتديك في حال شغلك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له، والتذمم منه، وهو جليس لا يطريك، وصديق لا يغريك، ورفيق لا يملك، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب" (3). وقد استجاب الناس لنداء الجاحظ وفكرته، فأقبلوا على الكتب، وقدروها حق قدرها، فهذا محي الدين العربي يروي عن أحد العلماء قوله :"ما رأيت بستانا يحمل في ردن، وروضة تنقل في حجر، ينطق عن الموتى، ويترجم عن الأحياء، من الكتاب، فمن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك؟ ولا ينطق إلا بما تهوى؟ أكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، ولا أعلم جارا أبر، ولا خليلا أنصف، ولا رفيقا أطوع، ولا معلما أخضع، ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية، ولا أقل

---

(1) الجاحظ : هو أبو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت. 255هـ) ولد بالبصرة ، وأخذ اللغة والأدب عن أبي عبيدة والأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري ، وأخذ النحو عن الأخفش ، وأخذ الكلام عن النظام ، وحذق الثقافة الفارسية من كتب ابن المقفع ، وتوسع في الثقافات كلها بما كان يقرأ من الكتب كلها ، فامتزجت معارفه ، وتلاقحت ، وكان من ثمرتها ـ كتاب «البيان والتبيين» ، وكتاب «الحيوان» ، وكتاب «خلق القرآن» ، وكتاب «الإعتزال»، وكتاب «الإمامة» .. إلى جانب كتب كثيرة ، ورسائل جمة في الأخلاق والسياسة والنبات .. جاءت أشبه "بدوائر معارف" لزمانه ، بأسلوب يمتاز به ، ولا ينسب إلا إليه

أنظر ياقوت. **معجم الأدباء** . ج.6 ، ص. 56، الزركلي . **الأعلام**. ج.2، ص . 105.

(2) الجاحظ . **المحاسن والأضداد**. مصر : المكتبة التجارية ، 1932، ص.4.

(3) الجاحظ . **الحيوان**. ط .3 . بيروت : دار مكتبة الهلال ، 1990، ج.1، ص. 39.

إملاء ولا إبراما، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف عن قتال من كتاب" . (1)

وقد ترتب على ذلك التقدير، وهذا الإعجاب اهتمامهم بالمكتبات وإقبالهم على تكوين خزائن للكتب، وصار تقليدا علميا شمل ربوعا كثيرة من الدولة الإسلامية.

ولما كانت خراسان بلد العلم والأدب لما علمته من إنشاء المدارس فيها قبل سائر بلاد الإسلام، فقد كان الإهتمام بالمكتبات من مظاهر الحركة العلمية النشطة في ديارها، مماجعل كثيرا من مؤسسي المدارس يكثرون من إيقاف الكتب على اختلاف علومها وفنونها، وأنشأوا لها المباني الخاصة، والحجرات العديدة، وأقاموا عليها الخزان، والمشرفين والنظار، وتدل كثرة الخزائن ودور الكتب على ماكان عند المسلمين، من عناية بالعلم، ورعاية لطلبته، فانتشرت خزائن الكتب في المشرق الإسلامي. كدور الكتب في مرو، ونيسابور ...وغيرها .. وقد كانت هذه الخزائن إما مستقلة، وإما في المدارس والمساجد، إلا أن تلك المكتبات لم يصلنا من أخبارها إلا القليل. (2)

ومن ذلك ما ذكره ياقوت الحموي من أنه أخذ أكثر ما أراده عند تأليف معاجمه للأدباء والبلدان من خزائن مرو، وحينما فارقها كانت تضم عشر خزائن لم ير مثلها في الدنيا كثرة وجودة (3) ثم عددها على الوجه الآتي :"خزانتان في الجامع إحداهما يقال لها : العزيزية وقفها عز الدين أبو بكر عتيق الإنجاني، وكان فيها إثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها، والأخرى يقال لها :" الكمالية، والثالثة : خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن منصور في مدرستة التي أنشأها للحنفية بمرو وهو مؤسس مدرسة أبي حنيفة ببغداد سنة 459هـ، وكان حنفي المذهب، والرابعة: خزانة نظام الملك في مدرسته، والخامسة والسادسة : خزانتان للسمعاني والسابعة: خزانة في المدرسة العميدية، والثامنة : خزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها، والتاسعة : الخزائن الخاتونية في مدرستها، والعاشرة : الضميرية في خانكاه هناك، ثم يقول : وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مئتا مجلد، وأكثر بغير رهن ... فكنت أرتع فيها، وأقتبس من فوائدها، وأنساني حبها كل بلد، وألهاني عن الأهل والولد، وأكثر فوائد هذا الكتاب - (أي معجم البلدان) - وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن" . (4)

هذا وإن كان نص ياقوت يشير إلى عصر متأخر عن العصر الذي نبحث فيه، فإنه

---

(1) وردت هذه القطعة . منسوبة للجاحظ في كتاب **المحاسن والأضداد**. ط .2 مصر: مطبعة الجمالية ، 1913. ص 14.

(2) جرجي زيدان . **تاريخ التمدن الإسلامي**. مرجع سابق ، ج2، ص. 231.

(3) ياقوت. **معجم البلدان** ، ج.8 ، ص. 35.

(4) **المصدر نفسه** . ج.8 ، ص. 35.

يستأنس به للدلالة على البيئة العلمية التي كانت عليها حال خراسان عامة، ومرو خاصة، وقد كانت بمرو خزانة من الكتب الفارسية أتى بها قبل ذلك، يزدجرد (1)، كما أنشأ الطاهريون أنفسهم مكتبة ضخمة في خراسان. (2)

- وقد جرى إنشاء مكتبات خارج المدارس والجوامع.لها أبنية خاصة أنشئت أصلا لتكون مقرا للمكتبة، يتم تزويدها عبر عدة طرق كالشراء، والوقف، والنسخ، والإهداء، والتبادل. (3)

وقد سارع الأغنياء والعلماء والأمراء إلى تأسيس دور عامة للكتب أطلق عليها "دور العلم" فكانت معاهد عامة للدرس والإستنساخ والترجمة والتأليف تختلف عن الخزائن الخاصة. (4) وقد جعل لهذه المكتبات نظاما خاصا بالإعارة، وقد تكلم علماء المسلمين عن هذا النظام. واستحسنوه وفي هذا يقول ابن جماعة:" وإعارة الكتب للطلبة والمشيخة أمر قد استحسنه الأولون والآخرون، لما فيه من نشر العلم خاصة، وإفادة الناس عامة، حتى عدمن صفات العلماء المحمودة"(5)، لكنهم وضعو لذلك شروطا لتنظيم العمل في المكتبات وضبط سيرها، كأن يطلب من المستعير أن يدفع ضمانا أو ما يطلق عليه الآن (التأمين)، ولكن يعفى العلماء وأفاضل الناس من دفع ذلك الضمان، وكثيرا ما كان يحدد وقت للمستعير بحيث يلزمه رد الكتاب دون تجاوز هذا الوقت.وينبغي أن يحافظ عليه تمام المحافظة، فلا يجوز أن يصلحه بغير إذن صاحبه، ولا أن يحشي عليه، ولا يكتب شيئا في بياض قوائمه أو خواتمه أو هوامشه إلا إذا علم رضا صاحبه، ولا يعيره لغيره، ولا يدفعه ضمانا لشيء، وأن لا يبطء به من غير حاجة، ومن الأدب أن يشكر للمستعير ذلك ويجزيه خيرا، ولا يحبسه إذا طلبه صاحبه منه، ويتمثل قول الشاعر:

أيها المستعير مني كتابا ... إرض لي منه ما لنفسك ترضى

لا ترى رد ما أعرتك نفلا ... وترى رد ما استعرتك فرضا (6)

---

(1) أحمد أمين. **ضحى الإسلام**. مرجع سابق . ج.1، ص 180.

(2) ابن النديم. **الفهرست** . ص. 209.

(3) عبد اللطيف الصوفي . **لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات** . ط.1. ، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1987 ص. 218، 219.

(4) آدم ميتز . **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق ، ج.1 ، ص. 330.

(5) ابن جماعة. **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** . بيروت : دار الكتب العلمية ، [د.ت] ، ص. 172.

(6) لمزيد من المعلومات حول إعارة الكتاب وادابها في ذلك العصر . أنظر : عبد اللطيف الصوفي . **لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات** . مرجع سابق ، ص.ص .225، 228.

وكان يقوم على هذه المكتبات مشرفون وخزنة للقيام بمختلف الأعمال اللازمة لإدارتها والإشراف عليها والإفادة من خدماتها المختلفة، وكان الكثير منها مزودا بالورق والحبر في قاعات رتبت لتصبح مواضع للمطالعة، وفي أحيان أخرى للنسخ والتعليم، ولم تخل مكتبة من هذه المكتبات من فهارس يرجع إليها لتسهيل طلب واستخراج أو استعمال مجموعاتها من الكتب المخزونة فيها، وكانت الفهارس عادة غاية في الدقة والتنظيم يشرف على إعدادها وتطويرها خزنة الكتب ومديروها. (1)

وقبل أن نختم هذا الموضوع يجدر بنا أن نذكر أن هناك آفات كثيرة لها ضرر عظيم على المكتبات في هذا العصر تتلف الكتب وتذهب بتراث أمة ضخم، ومثل ذلك ما نقله ابن العماد من قيام البعض بالسطو على دور عدد من العلماء، وأخرجوا كتبهم، وأحرقوا منها مالم يكن منسجما مع آرائهم وعقائدهم. (2) ومن المؤلم حقا أن يستعمل التراث الجليل من العلم والمعرفة أداة ليشعل بها البرير الهمج سجائرهم فيضيع تراث الأجيال، وتندرس معالم حضارة أثيلة حملت النور والهداية للعالمين.

1ـ4ـ4 حركة الوراقين .

قبل الحديث عن الوراقين في خراسان فإنه لابد من الحديث عن صناعة الورق لارتباطهم الوثيق بها، ولأنها الأساس الذي قام عليه عملهم.

فمن المعروف أن العرب في الجاهلية وصدر الإسلام قد كتبوا على مواد مختلفة كأكتاف الإبل، والعسب (3)، واللخاف (4)، كما استخدموا الرقوق (5)، والتي كانت هي أول مادة للكتابة أنتجها العرب، وقد جاء في القرآن الكريم :"والطور وكتاب مسطور في رق منشور" (6) وهذا دليل على استخدام الرقوق في الكتابة، أما عن المواد التي كان يحتاجها الكُتّاب آنذاك للكتابة على الرقوق فهي ريش الطيور، والحبر النباتي أو المعدني، أو بعض الأحماض الخاصة بعمليات الدباغة . وقد دون المسلمون الأوائل القرآن الكريم بعد جمعه في الأديم، واستمر ذلك حتى خلافة الرشيد، مما يدل على كمية الجلود الكبيرة التي كانت تصنع في المنطقة العربية الإسلامية . (7)

---

(1) مريزن سعيد مريزن عسيري . **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي** ط.1، مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي . 1987، ص. 193.

(2) ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج.4 ، ص. 246

(3) العُسُب : ج . عسيب : وهي الجريدة من النخل كشط خوصها.

(4) اللخاف : وهي الحجارة الرقيقة البيضاء .

(5) الرقوق : وهي الجلود المدبوغة مما يجعلها صالحة للكتابة عليها.

(6) سورة : الطور (الآية : 1 ـ 3).

(7) أنظر : عبد اللطيف الصوفي. **لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات** . مرجع سابق ، ص . 38، 39.

ولما فتح المسلمون سمرقند عام (94هـ/712م) وجدوا فيها الكاغد (1)، وبالرغم من أنهم لم ينتبهوا أول الأمر إلى أهميته، واعتبروه شيئا عاديا، إلا أنهم بعد فترة تعلموا صناعته، ونقلوها إلى بغداد، حيث تأسس أول مصنع للورق فيها عام (177هـ / 793م) وقد تعلم المسلمون صناعة الورق على يد صناع من الصين أسرهم المسلمون حين فتحوا سمرقند، أو - في قول آخر - على يد صانع صيني أسره زياد بن صالح حاكم تلك المدينة سنة (134هـ/ 751م) . (2)

ولما ازدهرت حركة التدوين والتأليف والترسل،انتشر استعمال الورق، وكثر تداوله، وفي هذا يقول ابن خلدون :"ولما طما بحر التآليف والتدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه، وضاق الرق عن ذلك، أشار الفضل بن يحي زمن الرشيد بصناعة الكاغد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتخذه الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت، ثم وقفت عناية أهل العلوم وهمم أهل الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة إلى مؤلفيها وواضعيها، لأن الشأن الأهم في التصحيح والضبط. فبذلك تسند الأقوال إلى قائليها، والفتيا إلى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها... " (3)

ويتفق القلقشندي مع هذا القول حيث يذكر :"أن الورق كثر زمن الرشيد (4) وفشا عمله بين الناس، فأمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى محي فسد وإن كشط ظهر كشطه، وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار، وتعاطاها من قَرُب وبَعُد، واستمر الناس على ذلك إلى الآن"(5)

ويصف ابن النديم الورق الخراساني بقوله :"أما الورق الخراساني فيعمل من الكتان ويقال إنه حدث في أيام بني أمية - وقيل في الدولة العباسية، وقيل إن صناعا عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني" . (6)

---

(1) الكاغد : هو الورق المصنوع من العشب أو الخرق (قطع القماش البالية) . محمد ماهرة حمادة . **المكتبات في الإسلام - نشأتها وتطورها** . بيروت: مؤسسة الرسالة ، 1978، ص. 73.

(2) زكي محمد حسن. **الصين وفنون الإسلام** . بيروت : دار الرائد العربي ، 1981، ص. 33.

(3) ابن خلدون . **المقدمة** . ص. 755

(4) في حين لم يعرف الغرب المسيحي صناعة الورق إلا في القرن الثالث عشر الميلادي . حينما أنشئت مصانع الورق الأولى في إيطاليا وفي جنوب غربي فرنسا . موريس لومبار. **الإسلام في مجده الأول** . ط.1 ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1979، ص. 285.

(5) القلقشندي . **صبح الأعشى** . ج.2، ص. 486.

(6) ابن النديم. **الفهرست** . ص. 32.

وقد تطلب ظهور الورق وانتشار صناعته واستعماله في الديار الإسلامية ظهور طائفة من الناس جعلته حرفتها، واهتمت بما يتصل به من كتابة الكتب، هي طائفة الوراقين التي لعبت دورا هاما في مجال نشر الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أن مراكز كانت بمثابة دور النشر للكتب في أيامنا هذه، تقوم بنسخ الكتب وتصحيحها، وتجليدها، وعرضها في الحوانيت الخاصة بها، وبيعها في أسواق الكتب. (1)

. وقد كان الوراقون جنودا مجهولين في الحضارة العربية الإسلامية، فقد أغفل المؤرخون أخبارهم، ولم يهتموا بهم، ولهذا فإن أخبارهم نادرة ومبعثرة في بطون الكتب، ولم يعرهم الإهتمام الواضح سوى اثنين كانا وراقين أيضا،هما : ابن النديم، وياقوت الحموي، فقد تعرض ابن النديم في كتابه "الفهرست" (2) لسيرة عدد من الوراقين، أما ياقوت فقد ترجم في "معجم الأدباء" لبعض الوراقين، وقال في مقدمة كتابه :"وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إلي من أخبار النحويين واللغويين، والنسابين، والقراء المشهورين، والإخباريين، والمؤرخين، والوراقين المعروفين ..." (3)

وعلى اعتبار أن العصر الأموي كان يمثل بداية الإنطلاق للحضارة العربية الإسلامية فإن حركة الوراقين لم تنتشر فيه انتشارا واسعا، ولم نسمع عن حوانيت الوراقين كما سمعنا عنها فيما بعد ـ أي في ـ العصر العباسي ـ الذي يعتبر العصر الذهبي لحركة الوراقين بسبب كثرة عددهم وانتشار حوانيتهم وأسواقهم، ولم يكن باستطاعة أي إنسان أن يحترف مهنة الوراقة، إذ أن الشرط الأول والرئيس لهذه المهنة هي جودة الخط ووضوحه وصحته، وقد كان من الضروري أن يكون الوراق على حظ من الثقافة والمعرفة ليفهم ما ينسخ ولا يكون نسخه آليا، وأن يكون حاضر الذهن منتبها (4) . ومن أهم صفات الوراق التي يجب أن يتحلى بها الأمانة فيما ينقل وينسخ، إذ يجب عليه أن ينقل الأصل وإلا فسد المعنى، وضاعت الفائدة من المادة المنسوخة، وقد ورد في "الفهرست" عن أحد الوراقين يدعى"الكرماني" حيث وصفه بأنه شخص مضطلع بعلم اللغة والنحو، مليح الخط، صحيح النقل، يرغب الناس في خطه. (5)

وقد اشتغل بالوراقة علماء أجلاء ومؤلفون مرموقون حتى أصبحت مهنة راقية محترمة،

---

(1) ريحي مصطفى عليان. **حركة الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية**. مجلة "**مجمع اللغة العربية الأردني**" عمان : ربيع الثاني 1412هـ/ 1991م ، س. 15 . ع. 41، ص. 140.

(2) أنظر. **الفهرست** لابن النديم .

(3) ياقوت . **معجم الأدباء**. ج.1، ص.5.

(4) محمد ماهر حمادة. **المكتبات الإسلامية** . مرجع سابق ، ص. 176.175.

(5) ابن النديم. **الفهرست** . ص. 118.

ولهذا فقد انتشرت دكاكين الوراقين في طول البلاد الإسلامية وعرضها، ويبدوا أنه من الصعب جدا حصر مشاهير الوراقين، ذلك أن كتب التراجم تحوي أسماء جملة من أولئك الوراقين الذين فرضوا أنفسهم على دنيا الثقافة العربية الإسلامية. (1)

ولو تتبعنا كتب التراجم لوجدنا العديد من الوراقين ظهروا في خراسان ولعل من أشهرهم على سبيل المثال لا الحصر، الإمام الجليل أحمد بن حنبل، (2) ومن وراقي خراسان أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل طيفور المروزي، فقد كان من البلغاء المشهورين والشعراء الرواة، وهو صاحب "كتاب بغداد" في أخبار الخلفاء والأمراء، جلس في سوق الوراقين زمانا وتخصص في الوراقة وقد حدث جعفر بن أحمد، فقال :"ولم أر ممن شهر بمثل ما شهر به أبو الطاهر من التصنيف للكتب .. وكان مع هذا ظريف المعاشرة، قال ابن النديم : وله من الكتب كتاب "المنثور والمنظوم "، وكتاب "سرقات الشعراء "وكتاب "الجواهر"، وكتاب "الهدايا "... (3)

وبالرغم من أن عددا كبيرا من العلماء والفضلاء اشتغلوا بمهنة الوراقة، إلا أنه كان ينظر في بعض الأحيان إلى أصحابها بشيء من الإزدراء، وكان الوراقون عموما يشكون من هذه المهنة الشاقة، ومن هؤلاء وراق نيسابور أبو حاتم وهو القائل:

إن الوراقة حرفة مذمومة ... محرومة عشي بها زمن

إن عشت عشت وليس لي أكل ... أو مت مت وليس لي كفن. (4)

كما شكى بعضهم هذه المهنة بقوله:

أما الوراقة فهي أنكد حرفة ... أوراقها وثمارها الحرمان

شبهت صاحبها بصاحب إبرة ... تكسي العراة وجسمها عريان (5)

(1) ريحي مصطفى . **حركة الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية** . مرجع سابق، ص. 146.

(2) سوف تأتي ترجمته في الفصل الثاني .

(3) ياقوت . **معجم الأدباء** . ج.1 ، ص. 152، ابن النديم . **الفهرست**. ص. 209.

(4) الثعالبي. **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مصر : مطبعة السعادة ، 1377هـ ، ج . 4 ، ص . 442 .

(5)محمد ماهر حمادة . **المكتبات في الإسلام** . مرجع سابق . ص . 181

الفصل الثاني

2ـ إسهامات الخراسانيين في العلوم النقلية

2 ـ 1 ـ القراءات .

لقد تفرعت عن دراسة القرآن الكريم والعناية به علوم عدة مثل : ـ قراءات القرآن الكريم ـ وتجويده ـ وتفسيره وأسباب نزوله ... وغيرها . وحرص المسلمون على مر العصور على تعليم أبنائهم القرآن والمداومة على حفظه وإتقان قراءته وتجويده عملا بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(1)

وقد أطلق لفظ "القراء" في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخليفتين أبو بكر وعمر على من كانوايحفظون القرآن، كما أطلق عليهم أيضا "حملة القرآن" ـ ففي معركة اليمامة بين المسلمين والمرتدين ورد قول عمر بن الخطاب لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما : "إن القتل قد كثر واستحر بقراء القرآن يوم اليمامة، وإني أخشى أن يستمر القتل بالقراء فيذهب من القرآن الكريم الكثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن" (2)، فجمع القرآن في مصحف واحد زمن الصديق رضي الله عنه(3) وفي عهد عثمان رضي الله عنه أمر بتحويله ـ لمّا خاف الإختلاف في القراءات ـ من المواد التي كتب فيها كالعسب واللخاف وأكتاف الإبل إلى المصاحف لما رواه البخاري في صحيحه : "عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة إختلافهم في القراءة وقال حذيفة لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب إختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص ،وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام،فنسخوها في المصاحف قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل في كل

---

(1) صحيح البخاري ـ **كتاب فضائل القرآن** ـ بيروت : دار الفكر ،1981 ، ج . 6 ، ص . 108 .

(2) **المصدر نفسه** . ج . 6 ، ص 98 . ابن الأثير . **الكامل** . ج . 3 ، ص . 56 .

(3) من الناس من يرى أن جمع القرآن الكريم في مصحف واحد كان زمن عثمان رضي الله عنه . وليس الأمر كذلك . أنظر : الزركشي . **البرهان في علوم القرآن** . ط . 3 ، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1980 ، ج 1 ، ص 235.

أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق" (1)

وفي زمن عثمان وبعده تفرق الصحابة القراء في الأمصار، وأخذ الناس عن كل واحد منهم مما أدى إلى تباين في نطق بعض الألفاظ دون الإخلال بوحدة المعنى (2)

وقد اهتم علماء المسلمين بالقراءات القرآنية حتى أصبح علما هاما بين علوم القرآن الكريم بخاصة والدراسات الشرعية بعامة ولذلك ألفت عشرات الكتب في هذا العلم نظما ونثرا يقول ابن خلدون :"القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف وأدائها، وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة (3) تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالإنتساب إلى من اشتهروا بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات إلا أنها عند القراء لا تقوى قوتها في النقل".(4) وقد نشطت القراءات القرآنية في العصر العباسي الأول وظهر عدد من علماء القراءات الذين كانت إليهم رحلة طلاب العلم من أقطار العالم الإسلامي وكانت لبعضهم مصنفات مهمة في القراءات أثرت هذا الفرع من فروع الشريعة في هذا العصر .. وخاصة في بغداد، والكوفة، والبصرة، وخراسان . وبما أن الذين نعنى بهم في هذا البحث هم الخراسانيون فقد كان من أشهر قراء خراسان : **عمر بن هارون بن يزيد بن جابر بن سلمة أبو حفص الثقفي البلخي** (128 هـ ـ 194هـ) قدم بغداد، وحدّث عن الإمام

---

(1) صحيح البخاري . **كتاب فضائل القرآن** . ج 6 ، ص . 99 .

(2) يشترط في القراءة الصحيحة أن يجتمع فيها ثلاثة أركان : 1) أن توافق اللغة العربية بوجه من الوجوه ـ سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه ، أم مختلفا فيه مع قوته . 2) أن تكون موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا . 3) أن يروي القراءة ـ بتواتر ـ جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم وهكذا إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدون انقطاع في السند . ولهذا يقول المحقق ابن الجزري (ت 833هـ).

وكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالا يحوي

وصح إسنادا هو القرآن ... فهذه الثلاثة أركان

أنظر : أحمد البيلي . **الإختلاف بين القراءات** . ط . 1 ، بيروت : دار الجيل ، 1988 ، ص . ص . 76 ، 77 .

(3) في الحقيقة أن القراءات الصحيحة عشر وقد ألف ابن بندار الواسطي القلانسي كتابا بعنوان **"إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر"** تحقيق ودراسة عمر حمدان الكبيسي ـ جامعة أم القرى ـ 1404هـ/1984م . كما ألف ابن الجزري كتابه الكبير **"النشر في القراءات العشر"** ، وكذلك منظومته **"طيبة النشر في القراءات العشر"** . وكتب الدكتور محمد محيسن كتاب **"المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر"** . والدكتور عبد الفتاح القاضي **"الدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة"**.

(4) ابن خلدون . **المقدمة** . ص . 782 .

الأوزاعي وابن جريج (زوج أمه) ومالك والثوري، وأضرابهم، وكان أعلم الناس بالقراءات، وكان القراء يقرأون عليه ويختلفون إليه في حروف القرآن، ويقال إن مرجئة بلخ كانوا يقعون فيه لأنه كان شديدا عليهم، ويذكر مساويهم وبلاياهم. (1)

ومن أشهر قراء خراسان أيضا المقرئ الزاهد **أبو نعيم شجاع بن أبي نصر البلخي** (ت ـ 190هـ) قرأ القرآن على أبي عمرو، وجوده، وأقرأه، وحدث عن الأعمش وغيره .. أخذ عنه القراءة أبو عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن يونس وهارون الحمال سئل عنه أحمد بن حنبل فقال . .. بخ .. بخ وأين مثله اليوم ؟ (2)

كذلك **أحمد بن نصر أبو عبد الله النيسابوري** (ت 245هـ) المقرئ المتصدر، روى عنه الحروف أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وسمع منه محمد بن إسحاق بن حذيفة(3) كما برز من مقرئي العصر بخراسان **الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي** المروزي (ت 211هـ) روى القراءة عنه خارجة بن مصعب ومحمد بن هارون النيسابوري ومحمد بن عبد الحكم، والليث بن مقاتل المرسي . (4)

أما **خارجة بن مصعب أبو الحجاج الضبعي السرخسي** فقد أخذ القراءة عن نافع وأبي عمرو، وله شذوذ كثير عنهما وروى أيضا عن حمزة حروفا وروى القراءة عنه العباس بن الفضل، وأبو معاذ النحوي، ومغيث بن بديل، توفي سنة (168هـ). (5)

وهناك **محمد بن الحسين بن شهريار أبو بكر القطاني البلخي (ت 185هـ)** نزل بغداد وروى الحروف سماعا عن الحسين بن علي بن الأسود صاحب يحي بن آدم، وعظّم روايته عنه .. روى عنه القراءة أبو بكر بن مجاهد، والنقاش، وعبد الواحد بن عمر، وعبد الملك بن الأسير الأنطاكي (6)

أما عن القراء المكثرين على الكسائي فكان منهم : **سورة بن المبارك الخراساني الدينوري (ت 210هـ)** روى عنه محمد بن سمعان بن أبي مسعود، ومحمد بن الجهم

---

(1) الخطيب البغدادي . **تاريخ بغداد** . بيروت : دار الكتاب العربي ،(د . ت) . ج . 11 . ص 187 . 190

(2) الذهبي . **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** . ط . 1 . تحقيق بشار عواد معروف واخرون . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1404هـ/1984م . ص . 162 وانظر : ابن حجر . **تهذيب التهذيب** . ج . 4 . ص . 313 .

(3) ابن الجزري . **غاية النهاية في طبقات القراء** . ط . 1 . بيروت : دار الكتب العلمية ،1982 . ج . 1 . ص . 145 .

(4) **المصدر نفسه**. ج . 2 . ص . 9 .

(5) ابن الجزري . **غاية النهاية في طبقات القراء** . ج . 1 . ص . 268 .

(6) **المصدر نفسه** . ج . 2 . ص .130 .

وأحمد بن زكريا السوسي (1)

ومن قراء العصر بخراسان نذكر أيضا: **القاسم بن سلام أبو عبيد الخراساني والأنصاري** (ت 230هـ) أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه ... أخذ القراءة عرضا وسماعا عن علي بن حمزة الكسائي، وعن شجاع بن أبي نصر وسليمان بن حماد وسليم بن عيسى، ويحي بن آدم، وروى عنه القراءة أحمد بن إبراهيم وراق خلف الأحمر. (2)

2 ـ 2 ـ الحديث .

عني المسلمون بالحديث النبوي الشريف عناية فائقة لكونه المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وآية ذلك ما وضعوه من ضوابط وشروط للرواية هي أدق وأصح طريق علمي في نقل الرواية، واختبارها، سبقوا في مجالها أمم الأرض كلها حتى استطاعوا أن يفاخروا بها الأجيال على مر الزمان .. وكان من أهم تلك الضوابط : البحث في إسناد الحديث، والتوثق من نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق أو كذب ... ووضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب ، حتى صارت علما قائما بذاته.قال السمعاني : "إعلم وفقك الله أن علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذا الأحكام مبنية عليها، ومستنبطة منها، والله سبحانه وتعالى شرف نبينا عليه السلام حيث قال : "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" (3) وألفاظ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله وتقريراته، وأخبار ذلك، لا بد لها من النقل ولا تعرف صحتها إلا بالإسناد الصحيح والصحة في الإسناد لا تعرف إلا برواية الثقة عن الثقة والعدل عن العدل". (4)

وثمة علوم أخرى إستلزمتها دراسة السنة وروايتها والدفاع عنها وتحقيق أصولها ومصادرها، وقد أوصلها أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في كتابه "معرفة علوم الحديث إلى إثنتين وخمسين علما" (5) .. وإلى جانب إهتمام المسلمين برواية الحديث الشريف إهتموا

---

(1) **المصدر نفسه** . ج . 1 . ص 321.

(2) **المصدر نفسه** . ج 1 . ص . 322 .

(3) **سورة النجم** . (الآية . 4)

(4) السمعاني . **أدب الإملاء والإستملاء** . ليدن : (د . ن) ،1952 ،ص . 3.

(5) من بين هذه العلوم : ـ علم الرجال ـ علم الناسخ والمنسوخ ـ علم الجرح والتعديل ـ علم معرفة المسلسل من الأسانيد ... أنظر : الحاكم النيسابوري . **معرفة علوم الحديث** . ط . 4 . تحقيق لجنة إحياء التراث العربي . بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، 1980 . وانظر أيضا : **مصطفى السباعي** . السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي ط . 4 . (د . م) . (د . ن) . 1985 . ص . 113 .

أيضا بتدوينه، إلا أن الحديث الشريف في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يدون كما دون القرآن الكريم فقد إتخذ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتبة الوحي يكتبون آيات القرآن عند نزولها، ولكنه لم يتخذ كتبة يكتبون ما ينطق به من غير القرآن .. بل وجدت أحاديث كثيرة تنهى عن تدوين الحديث، إلى جانب أحاديث توحي كذلك بالسماح بكتابة غير القرآن الكريم أيضا .. وقد أراد العلماء التوفيق بين هذه الأحاديث المتضاربة فقالوا إن النهي عن الكتابة كان وقت نزول القرآن خشية إلتباس القرآن بالحديث". (1)

وبعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنتشر الصحابة في الأمصار الجديدة، ينشرون تعاليم الإسلام ويصدرون أنباء الوحي الأعلى إلى الشعوب والأمم، يهدونها ويسوقونها أفواجا إلى ساحات الإيمان ورحاب الهدى ... ومن أجل تلك الغاية استقر الصحابة في الأقطار المختلفة واستوطنوا بين أهلها وكان من الصحابة الذين خرجوا إلى خراسان بعد فتحها واستقروا فيها : **بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي** إستوطن مرو ومات فيها، **والحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري** خرج إلى خراسان غازيا ـ وله قصة طويلة ليس غرض الموضوع يحتمل ذكرها، وتوفي بمرو وقبره بجانب قبر بريدة الأسلمي ومنهم أيضا : **قريط بن أبي رمثة** غزا خراسان مع الأحنف بن قيس ونزل مرو واستوطنها إلى أن مات، وبها عقبه . ومن الصحابة بخراسان كذلك قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي أبو القاسم مات بخراسان سنة 85هـ في ولاية عبد الملك بن مروان وهو آخر مشاهير الصحابة بخراسان رضوان الله عليهم أجمعين . (2)

وقد كان الصحابة يتفاوتون في العلم ولم يكن عند كل واحد منهم جميع ماقاله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا بدأت الرحلات العلمية في سبيل جمع الحديث وتلقيه من قبل التابعين وأتباعهم ليسمعوا ما فاتهم أو ليؤكدوا ما عندهم من روايات، وكما برز بعض الصحابة ولمعت أسماؤهم في خراسان فقد انطبع تلاميذهم بطابعهم وساروا على نهجهم وحلوا محلهم، وحملوا لواء العلم ونشره من بعدهم وكان من أشهر التابعين في خراسان **الربيع بن زياد** سمع من أبي كعب وغيره من الصحابة .. وقد كان عامل معاوية بن أبي سفيان على خراسان. ومنهم همام بن خناس العبدي سكن مرو وكان ممن صحب عبد الله بن عمر بن الخطاب وسمع منه، ومن مشاهير التابعين بخراسان أيضا **يحيى بن عقيل الحذاء**، **والزبير بن عدي الهمداني**، وهو آخر المشاهير بخراسان من التابعين . (3) وعمت حواضر

---

(1) أحمد أمين . **فجر الإسلام** . مرجع سابق . ص . 209 .

(2) محمد بن حبان البستي . **مشاهير علماء الأمصار** . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1379هـ/1959م . ص . 59 .

(3) **المصدر نفسه** . ص 125

العالم الإسلامي حركة ونشاط علمي على يد الصحابة رضوان الله عليهم ويمكننا أن نتصور مدارس متنقلة في مختلف الأمصار، روادها الصحابة وكبار التابعين إذ كان يكفي لأهل خراسان مثلا : أن يحل بينهم صحابي حتى يسارعوا إليه ويلتفوا حوله ويسألوه ويستقرءوه القرآن، ويسمعوا منه حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (1)

وعلى كل حال مر العصر الأول ولم يكن تدوين الحديث شائعا إنما كانوا يروونه شفاها وحفظا ومن كان يدون فإنما كان يدون لنفسه ... وفي القرن الثاني بدأت جماعة في الأمصار المختلفة تجمع الحديث الشريف نظرا لموت كثير من الصحابة والتابعين .. وقل الضبط وضعفت ملكة الحفظ، وبدأت حركة الوضع في الحديث نتيجة الخصومات السياسية، والخلافات الكلامية والفقهية، وتساهل بعضهم في باب الفضائل من الترغيب والترهيب مما لا يترتب عليه تحليل حلال أو تحريم حرام (2) ..وقد وجد الكائدون جوا صالحا لبث سمومهم وإلقاء أراجيفهم وأكاذيبهم عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طول البلاد وعرضها مما دعت الحاجة إلى تدوين الأحاديث وكتابتها

ومن الصعب تحديد أي مصر كان له السبق في تدوين الحديث (3) فالفكرة عمت جميع الأمصار من طريق الحج،فالعلماء الذين رحلوا إلى مكة أخذوا فكرة جمع الحديث منها أثناء حجهم ونشروها في بلادهم وجمعوا ما في مصرهم من الحديث .(4)

وقد كان للحديث أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي، فقد أقبل الناس عليه يتدارسونه، ويحفظونه حتى كانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه.فقد كان الحديث أغزر مادة وأوسع دائرة للعلم والثقافة في ذلك العصر، مما جعل كثيرا من المشتغلين بالعلم وطلبه أن يتوجهوا إليه ويتخصصوا فيه ويتكبدوا من أجله المتاعب والصعاب، ويطالعنا في هذا العصر بخراسان عدد عظيم من رجال الحديث الذين أفنوا أعمارهم في الرحلة إلى طلبه، وجمعه وتصنيفه وضبطه وتنقيحه ومن بين العلماء المبرزين في هذا الفن : **النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن مازن بن عمرو بن تميم المروزي (ت 203هـ)** ولد بمرو ونشأ بالبصرة أقام بالبادية وأخذ عن فصحاء العرب،كان ثقة حجة في الحديث ... وراوية للشعر وأيام الناس ... وثقه النسائي، وابن معين، وقيل فيه " كان إماما في العربية

---

(1) محمد عجاج الخطيب . **السنة قبل التدوين** .ط. 5 ، بيروت : دار الفكر، 1981 ،ص . 181

(2) أنظر : أحمد أمين . **فجر الإسلام** . مرجع سابق ، ص . 212، 215 . وانظر أيضا : محمد عجاج الخطيب . **المرجع السابق** . (فصل ابتداء الوضع وأسبابه) ، ص . 187 .

(3) إلا أن الدكتور محمد عجاج الخطيب يحدد تاريخ التدوين الرسمي بقوله : "إنه كان مبادرة من قبل أمير مصر عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي" . **المرجع السابق** . ص . 373

(4) أحمد أمين .**ضحى الإسلام** . مرجع سابق . ج . 2 . ص . 107 .

والحديث، وهو أول من أظهر السنة بمرو .. وجميع خراسان .. واحتجوا به في الصحاح، خرج إلى خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدثين والفقهاء واللغويين والنحاة والأدباء فسار إلى مرو وأقام فيها، وولي بها القضاء، روى عنه الحديث يحي بن معين وإسحاق بن راهويه، وخلق كثير من العباد، ومن تصانيفه كتاب "غريب الحديث" وكتاب "الصفات في اللغة" (1)

ومن علماء العصر المبرزين في الحديث بخراسان أيضا : **أبو بسطام الهياج بن بسطام التميمي الحنظلي الهروي** (ت 197هـ) قال بن حجر : كان يكنى بأبي خالد وغيره من الخراسانيين، وقدم بغداد وحدث بها وروى عنه كثير من أهلها، وكان فصيح اللسان عالما ثقة صدوقا . وكانت فتيا بغداد عليه مدة مكوثه بها، وكان محدثها لم يجتمع ببغداد على أحد ما اجتمع عليه (2)

أما سعيد بن الربيع الحرشي العامري أبو زيد الهروي (ت 211هـ) فقد كان شيخا في الحديث، وهو من شيوخ إمام المحدثين ـ البخاري، وروى له هو ومسلم والترمذي بواسطة عدد كبير من العلماء وكان ثقة صدوقا ذكره ابن حبان في "الثقات" (3)

ونشير أيضا إلى الشيخ **زهير بن محمد التميمي أبو المنذر الخراساني المروزي (ت 162هـ)** قدم الشام وسكن الحجاز وحدث بهما عن كثير من العلماء وروى عنه عدة منهم وذكروا أنه ثقة صدوقا مستقيم الحديث وقد ذكره ابن حبان في "الثقات" (4)

ومن رجال الحديث المعدودين في خراسان أيضا نذكر : **مكي بن ابراهيم بن بشير بن فرقد أبو السكن البرجمي الحنظلي التميمي** (ت ـ 215هـ) من أهل بلخ سمع الإمام مالك بن أنس وعبد الملك بن جريج وغيرهما وقدم بغداد حاجا وحدث بها في ذهابه ورجوعه وروي عنه أحمد بن حنبل والبخاري وروي عنه حفيده محمد بن الحسن بن مكي، ويحي بن يحي النيسابوري، ويحي بن معين .. وكان يقول : "قطعت البادية من بلخ خمسين مرة حاجا ودفعت في كراء بيوت مكة ألف دينار" وكان ثقة مأمونا محله الصدق، ليس به بأس وكان

---

(1) ابن حجر . **تهذيب التهذيب** . ج . 10 ، ص . 437 ، 438 . الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . بيروت : دار احياء التراث العربي ،(د . ت) ، ج . 1 ، ص . 314 ، ياقوت . **معجم الأدباء** . ج 7 ، ص . 218 .

(2) الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج . 14 ، ص . 80 ، ابن حجر . **تهذيب التهذيب** . ج . 11 ، ص . 88 .

(3) ابن حجر . **تهذيب التهذيب** . ج . 4 ،ص . 27 . ابن حبان . **الثقات** . ط . 1 . الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1400هـ/1980م ، ج . 8 ، ص . 265 .

(4) **المصدر نفسه** . ج . 3 . ص . ص . 348 . 350 . ابن حبان . **الثقات** . ج . 6 ، ص . 337 .

ثبتا في الحديث وذكره ابن حبان في "الثقات" (1)

أما **الشيخ أحمد بن محمد بن ثابت بن عثمان بن مسعود بن يزيد الخزاعي أبو الحسن بن شبويه المروزي (ت ـ 230هـ)** فقد كان حافظا ثبتا فاضلا متقنا في الحديث قال عنه النسائي ثقة، وذكره ابن حبان في "الثقات" روى عنه أبو داود ويحي بن معين وهو من أقرانه. (2)

وهناك أيضا **أبو عبد الرحمن النيسابوري (عربي من بني عبد القيس) (ت ـ 237هـ)** محدث زاهد روى عن الإمام مالك وهشيم بن دينار وعدد كبير من العلماء وروي عنه البخاري ومسلم والنسائي واسحق بن راهوية والدارمي والذهلي وغيرهم .. وكان ثقة صدوقا رحل في طلب الحديث وجالس الناس للتحديث. (3)

ونشير أيضا إلى **أبي كامل مظفر بن مدرك الخراساني الحافظ (ت ـ 207هـ)** روي بن حماد بن سلمة والليث وعدة وروى عنه أحمد بن حنبل ويحي بن معين وآخرون وثقة أحمد ويحي وأبوداود والنسائي وغيرهم (4) وتشير كتب التراجم إلى **عبد الله بن محمد بن علي الحافظ أبو علي البلخي (ت ـ 295هـ)** محدث بلخ، صنف كتاب "العلل" وكتاب "التواريخ" قال الخطيب: أحد أئمة الحديث حفظا و إتقانا وإكثار قدم نيسابور فعجزوا عن مذاكرته.(5)

ولا ننسى أن نذكر شيخ المحدثين بخراسان **مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أو الحسن النيسابوري (ت ـ 261هـ)** وهو مؤلف "الصحيح" ـ صحيح مسلم ـ رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر وروى عن أهلها فجمع الحديث واستخرج صحيحه لما إختص به من جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى . وكان كتابه مصدرا كبيرا في حركة رواية الحديث وتدوينه بين النيسابوريين، وانتفع به خلق كثير، ولمسلم كتاب" المسند الكبير على الرجال "، وكتاب "الجامع على الأبواب"، وكتاب" الأسماء والكنى" وكتاب " الأقران" وكتاب"سؤالاته أحمد بن حنبل"وكتاب

---

(1) الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج . 13، ص . 115 ، ابن سعد . **الطبقات** . ج . 7 ،ص . 263 . الذهبي **تذكرة الحفاظ** . ج . 1 ، ص 365 ، ابن حبان . **الثقات** . ج . 7 ، ص . 526 .

(2) ابن حجر . **تهذيب التهذيب** . ج . 1 ، ص . 71 .

(3) **المصدر نفسه** . ج . 1 . ص . 247 . 248 . وانظر : ناجي معروف . **عروبة العلماء المنسوبين للبلاد الأعجمية في المشرق الإسلامي** . ط . 1 . بغداد : مطبعة الشعب ،1974 ، ص . 211 .

(4) الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . ج . 1 ، ص . 357 ، ابن سعد . **الطبقات** . ج . 7 ، ص . 243 .

(5) الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج . 10 ، ص . 93 . ابن العماد . **شذرات الذهب** . ج . 2 ، ص . 219 ، الذهبي **تذكرة الحفاظ** . ج . 2 . ص 690 .

"العلل" وكتاب "مشايخ مالك" ... وكتاب "مشايخ الثوري" .. وكتاب "أوهام المحدثين" وكتاب "أفراد الشاميين" .(1)

ومن الخراسانيين الذين اشتغلوا بالحديث وصنفوا فيه أيضا **أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي (ت ـ 300هـ)** كان أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين والأعلام المشهورين طاف البلاد وسمع من خلائق : "قال الحاكم : كان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال، وقال الذهبي : هو أحفظ من مسلم بن الحجاج، له من الكتب" السنن الكبرى" و" الصغرى" و"مسند علي" و"مسند مالك" وغيرها. (2) ويطول بنا القول لو عددنا أسماء كبار المحدثين الذين أنجبتهم هذه البلاد ...

2 ـ 3 ـ التفسير

ذكرنا "التفسير" عقب "الحديث" لأن التفسير في أول أمره إلى عصرنا الذي نؤرخه قد إتخذ شكل الحديث بل كان جزءا منه وبابا من أبوابه فقد كان يشمل الحديث جميع المعارف الشرعية تقريبا، إذا كان يشمل التفسير، والتشريع، والسير والمغازي، التي كانت ممتزجة ببعضها تمام الإمتزاج فراوي الحديث كان يروي حديثا فيه تفسير لآية من القرآن، أو حديثا فيه حكم فقهي، أو حديثا فيه غزوة من غزوات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم أخذ العلماء مع أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي يجمعون الأحاديث المتشابهة المتعلقة بموضوع واحد ويفصلونها عن غيرها ويرتبون أبوابها كما فعل مالك في الموطأ فقد جمع أحاديث الأحكام ورتبها، وكما فعل محمد بن اسحق فقد جرد الأحاديث المتعلقة بالسيرة وزاد عليها بعضا من أشعار قيلت وأخبار رويت، وكون من ذلك كله السيرة النبوية وهكذا ... ولكن ظل الحديث عند المحدثين ـ كما هو شاملا لجميع الفروع ومنها التفسير فنجد في البخاري ومسلم وغيرها من كتب الحديث أبوابا في التفسير. (3)

إذن نشأ التفسير فرعا من فروع الحديث، يروى فيه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يتعلق بالقرآن من ذكر فضائله وتفسير بعض آياته لأن فهم الإسلام لا يكون إلا عن طريق الإسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة، وبديهي أن العمل بهذه التعاليم وتطبيق تلك النظم

---

(1) الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . ج . 2 ، ص . 588 ، ابن النديم . **الفهرست** . ص .322 .

(2) ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج . 1 ، ص . 59 .

(3) أحمد أمين **ضحى الإسلام** مرجع سابق . ج 2 ، ص 137 . 138

لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان، لما تدل عليه ألفاظ القرآن وهو ما نسميه "بعلم التفسير" (1) وهو يحتاج إلى جملة من المعارف والأدوات لأن التفسير هو "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل علي نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبيان معانيه واستخراج ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ" (2) وعرفوه أيضا بقولهم : "هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية" (3) وكون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المبلغ الأول عن رب العالمين فقد كان يفسر ما غمض من آي الذكر الحكيم، وكان الصحابة رضي الله عنهم يكتفون بالمعنى الإجمالي للآية، ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معانيه تفصيلا فيكفي أن يفهموا من مثل قوله تعالى : "وفاكهة وأبا" (4) أنه تعداد لنعم الله تعالى على عباده لذلك لم يكثر الإختلاف بينهم في فهم القرآن، لأنهم كانوا قليلا ما يستنبطون الأحكام الفقهية من الآيات القرانية وهذا نتيجة عدم وجود المذاهب الدينية والإنتصار للاراء الفقهية. فهم متحدون عقائديا ولم يعرف الإختلاف المذهبي إلا بعد عصر الصحابة رضوان الله عليهم بالإضافة إلى أنهم لم يدونوا شيئا من التفسير في عصرهم فالتدوين لم يبدأ إلا في القرن الثاني للهجرة (5)

وبعد إنتهاء عهد الصحابة بدأت مرحلة جديدة للتفسير في عصر التابعين الذين تتلمذوا على الصحابة فتلقوا غالب علومهم عنهم وكما إشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير اشتهر أيضا بالتفسير أعلام من التابعين في أمصار كثيرة من البلاد الإسلامية ، وقامت في كثير من الأمصار مدارس علمية مختلفة كان أساتذتها الصحابة وتلاميذها التابعون وقد تميز التفسير في هذه المرحلة بإحتفاظه بطابع التلقي والرواية مع اختصاص كل مصر بعلم إمام مصرهم مع ظهور إختلاف في التفسيروإن كان قليلا بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسرين، بالإضافة إلى تسرب كثير من الإسرائيليات والنصرانيات إلى التفسير نتيجة لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، ولا يزال عالقا بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية . (6)

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني . **مناهل العرفان في علوم القرآن** . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د . ت) ، ج . 2 ، ص . 6 .

(2) الزركشي . **البرهان في علوم القرآن** . ط . 3 . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1980 ، ج 1 ، ص . 13 .

(3) محمد عبد العظيم الزرقاني . **المرجع السابق** ج . 2 ، ص 6 .

(4) سورة عبس الآية (31).

(5) محمد حسين الذهبي. **التفسير والمفسرون** . ط . 2 ، (د.م).

(6) **المرجع نفسه** .ج.1 ص. 130.

ثم بعد عصر الصحابة والتابعين خطا التفسير خطوة ثانية حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانت أبوابه متنوعة والتفسير باب من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة،آية آية، من مبدئه إلى منتهاه .بل وجد من العلماء من طوّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث .. فجمع بجوار ذلك ما روي في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين، وكان من هؤلاء العلماء طائفة من علماء خراسان نذكر منهم :

مقاتل بن سليمان بن بشير (ت ـ 150هـ) الأزدي بالولاء الخراساني المروزي أصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة، دخل بغداد وحدث بها وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز وله "التفسير المشهور" أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح وأبي اسحق السبيعي والضحاك بن مزاحم ومحمد بن أبي مسلم الزهري وغيرهم ... وكان اسحق من العلماء الأجلاء حكي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال : "الناس كلهم عيال على ثلاثة، على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمي في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام"

وقد اختلف العلماء في أمر مقاتل فمنهم من وثقه في الرواية ومنهم من نسبه إلى الكذب وترك حديثه لأنه كان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه .. قال الذهبي : "فأما مقاتل بن سليمان المفسر .. فقد لطخ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرا في التفسير" من كتبه "تفسير خمسمائة آية من القرآن" عن الأوامر والنواهي و"وجوه حروف القرآن" و"النسخة الباقية منه بتنقيح تلميذه أبي نصر بعنوان" الوجوه والنظائر في القرآن" وكتاب "الجوابات في القرآن " و"الناسخ والمنسوخ" و"نوادر التفسير" و"التفسير الكبير" وهو أقدم تفسير كامل للقرآن وصل إلينا جمع نسخه من أنحاء العالم. (1)

ومن مشاهير مفسري خراسان أيضا **مقاتل بن حيان أبو بسطام البلخي الخراز (ت ـ 150هـ)** مفسر حافظ للحديث كان عالم خراسان في وقته حدث عن عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم وثقه يحي بن معين وأبو داود وغيرهم وقال الذهبي : "كان إماما صادقا

---

(1) أنظر : عادل نويهض . **معجم المفسرين** . ط . 1 ، بيروت : مؤسسة نويهض الثقافية ، 1983 ، ج . 2 ، ص . 682 ، وانظر أيضا : الداوودي . **طبقات المفسرين** . ط . 1 ، تحقيق علي محمد عمر . القاهرة : مكتبة وهبة ، 1392هـ/1972م . ج . 2 ، ص . 642، ابن سعد . **الطبقات** . ج . 7 ، ص . 263 ، ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج . 4 ، ص . 341 . الذهبي . **ميزان الإعتدال في نقد الرجال** . تحقيق علي محمد البجاوي . بيروت : دار المعرفة ، (د . ت) ، ج . 4 ، ص . 173، الذهبي . **سير أعلام النبلاء** ، ج . 7 ، ص . 201 . ابن حجر . **تهذيب التهذيب** . ج . 10 ، ص . ص . 279 ، 285 . ابن العماد . شذرات الذهب . ح . 1 . ص 227

ناسكا خيرا كبير القدر صاحب سنة واتباع .. من آثاره "تفسير القرآن". (1)

أما **الحسين بن واقد القرشي القاضي (ت ـ 157هـ)** فقد كان عالما بالتفسير قال عنه ابن المبارك ومن مثله ثقة، له من التصانيف في علم التفسير كتاب "وجوه القرآن" وكتاب "الناسخ والمنسوخ" (2) .

ومن أشهر مفسري خراسان، كان الإمام **محمد بن يوسف بن واقد أبو عبد الله الفريابي (ت ـ 212هـ)** عالم بالحديث ومن الحفاظ، حدّث عن الأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهما، وقرئ عليه بمكة، ونزل قيسارية بفلسطين وتوفي بها، قال عنه البخاري : "كان أفضل أهل زمانه" وروى عنه ستا وعشرين حديثا من كتبه "تفسير القرآن" (3) .

ومنهم **سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط (ت ـ 215هـ)** مفسر ونحوي وأديب، دخل بغداد وأقام بها مدة وروى وصنف بها، وكان معتزليا له كتب في التفسير منها "تفسير معاني القرآن" (4) .

وقد برز من مفسري خراسان أيضا: **آدم بن إياس بن عبد الرحمن بن محمد أبو الحسن الخراساني العسقلاني (ت ـ 220هـ)** محدثا ومفسرا كان مشهورا بالسنة شديد التمسك بها، والحض على إعتقادها. أصله من خراسان، وأخذ عن علماء بغداد ثم رحل إلى الكوفة والبصرة والحجاز والشام، ولقي الشيوخ وسمع منهم ثم استوطن عسقلان ـ بفلسطين ـ فنسب إليها وتوفي بها، قال الخطيب البغدادي :"حدث عن شعبة، والليث بن سعد وروى عنه الأئمة الأعلام من المحدثين كالبخاري وأبي حاتم الرازي وأبي زرعة الدمشقي وغيرهم"، وقال الصفدي : "إتفقوا على صدقه وثقته وزهده وورعه" إحتفظ لنا البخاري بـ 281 إقتباسا

---

(1) عادل نويهض . **معجم المفسرين** . مرجع سابق . ج . 2 ، ص . 682 . الداوودي . **طبقات المفسرين** . ج . 2 ، ص . 329 . الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . ج . 1 ، ص . 174 . الذهبي . **ميزان الإعتدال** . ج . 4 ، ص . 171 . الذهبي . **سير أعلام النبلاء** . ج 6 . ص . 340

(2) الذهبي . **سير أعلام النبلاء** . ج 7 . ص 104 . الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . ج . 2 . ص . 676 . ابن العماد . **شذرات الذهب** . ج . 1 . ص . 241 .

(3) عادل نويهض . **معجم المفسرين** . ج . 2 ، ص . 652 . الداوودي . **طبقات المفسرين** . ج 2 ، ص . 292 . الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . ج . 1 ، ص . 376 . الذهبي . **سير أعلام النبلاء** . ج . 10 ، ص 114 . ابن حجر . **تهذيب التهذيب** . ج . 9 . ص . ص 535 . 537 .

(4) الداوودي . **طبقات المفسرين** . ج . 1 ، ص . 185 . ياقوت . **معجم الأدباء** . ج . 4 ، ص . 242 . ابن النديم . **الفهرست** . ص . 52 . ابن العماد . **شذرات الذهب** . ج . 2 ، ص . 36 . القفطي . **إنباه الرواة على أنباه النحاة** . ط . 1 . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة : دار الفكر العربي ، 1406هـ/1986م ، ج . 2 ، ص . 36 .

أخذها من كتبه، من آثاره "تفسير القرآن" جمع فيه أقوال الصحابة والتابعين .(1)

ومنهم أيضا **سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي ـ الطالقاني ـ البلخي ـ أبو عثمان (ت ـ 227هـ)** من حفاظ الحديث الثقات، والمفسرين البارعين إستوطن مكة وتوفي بها ، روى عن حجر بن الحارث وسفيان بن عينية وطبقتهم،وروى عنه مسلم وأبو داود و من آثاره "تفسير القرآن" (2) .

ومن أشهر المفسرين بخراسان الإمام **أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ـ المروزي الأصل (ت ـ 241هـ)** حافظ وفقيه حجة، زاهد ورع وإمام المحدثين وشيخ المفسرين صنف كتابهً المسند، وجمع فيه من الحديث مالم يتفق لغيره، قال ولده عبد الله : "وصنف أبي المسند" و" التفسير" ... و"الناسخ والمنسوخ" و"المقدم والمؤخر في القرآن" و"جوابات القرآن" ودعي إلى القول بخلق القرآن فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على الإمتناع . (3)

وبرز منهم أيضا **محمد بن إبان البلخي المعروف بحمدويه (ت ـ 244هـ)** محدث وفقيه ومفسر من أهل بلخ مولدا ووفاة رحل فسمع من سفيان بن عينية وطبقته حدث عنه الجماعة سوى مسلم، قال الداودي : جمع وصنف التفسير (4)

وظهر في خراسان أيضا **جعفر بن محمد بن الحسن المستفاض أبو بكر الفريابي (ت ـ 300هـ)** عالم بالحديث والتفسير، طاف كثيرا من البلدان ولقي الأعلام وعاش فترة في بغداد .. ولما دخلها استقبل فيها بالطبول وكان يحضر مجلسه بها نحو عشرة آلاف من أصحاب المحابر، مات ببغداد، من آثاره كتاب "علوم القرآن"، وكتاب "فضائل القرآن"، (5)

---

(1) الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج 7 . ص . 27 . ابن العماد . **شذرات الذهب** . ج . 2 . ص . 47 . الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . ج . 1 . ص . 409 .

(2) الذهبي . **ميزان الإعتدال** . ج . 1 . ص . 391 . ابن حجر . **تهذيب التهذيب** . ج . 4 . ص . 89 . الذهبي . **سير أعلام النبلاء** . ج . 10 . ص . 586.

(3) الداوودي . **طبقات المفسرين** . ج . 1 . ص . 70 . ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج . 1 . ص . 47 . الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج . 4 . ص . 412 . الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . ج . 2 . ص . 431 . الذهبي . **سير أعلام النبلاء** . ج . 11 . ص . 177 . الأصفهاني . **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** . ط . 3 . بيروت : دار الكتاب العربي . 1980 . ج . 9 . ص . 161 .

(4) الداوودي . **طبقات المفسرين** . ج . 1 . ص . 396 . عادل نويهض . **معجم المفسرين** . مرجع سابق . ج . 2 ص . 464 . الذهبي . **سير أعلام النبلاء** . ج . 11 . ص . 115 . الذهبي . **ميزان الإعتدال** . ج . 3 . ص 454 . الذهبي. **تذكرة الحفاظ** . ج . 2 . ص . 498 .

(5) الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج . 7 . ص . 199 . الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . ج . 2 . ص . 693 . ابن العماد . **شذرات الذهب** ج . 2 . ص . 235 . الزركلي . **الأعلام** . ج . 2 . ص 127 .

2 ـ 4 ـ الفقه :

لقد أدت العناية الكبيرة بالقرآن والسنة إلى إزدهار الحركة الفقهية لأنهما يمثلان المصادر الثابتة للفقه الإسلامي، وكل خدمة لتلك المصادر ينعكس أثرها على الفقه لأنها توفر للفقهاء جهدا وتمنحهم رؤية متجددة للنص سواء من حيث الثبوت أو من حيث الدلالة، لذلك عرف ابن خلدون علم الفقه بقوله "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه". (1)

وقد اتخذ الفقه أيضا في مراحله الأولى شكل الحديث بل كان جزءا من أجزائه وفرعا من فروعه ولم يتخذ الفقه شكلا منظما .. فقد كانت السنة تشمل حديث صلاة بجانب حديث جهاد بجانب حديث ميراث، بجانب حكم فقهي في قضية من القضايا، بجانب حديث لتفسير آية .. وهكذا. وعلى هذا فمن الصعب أن نفصل في القرن الأول الهجري بين تدوين السنة وتدوين الفقه .. نظرا لأن سمة الرواية كانت تميزهم جميعا .

وعن حركة التدوين الفقهي فقد بدأت بشكل منظم وواسع بعد منتصف القرن الثاني للهجرة، ومع مطلع العصر العباسي إزدهرت الحركة الفقهية ومن مظاهر إزدهارها(2) تدوين المصادر الشرعية وتوفير الحرية للمجتهدين مع تشجيع الدولة للحركة العلمية.والشيء الذي يلفت النظر في هذه المرحلة هو بداية ظهور إتجاهات مختلفة من حيث الطبيعة والبيئة، والمكان، ومؤثرة في كل من يتلقى العلم في ظل هذه الظروف،ومن أهم تلك الإتجاهات التي بدأت تتكون ببطئ وتتقدم بثبات وتتضح بجلاء مايلاحظه المرء من منهج محافظ استطاع أن يفرض نفسه في "المدينة" متأثرا بما كان قائما فيها من حيث توافر الحديث الذي كان متيسرا في بيئة المدينة ومحفوظا لدى علمائها. ومنهج آخر يختلف من حيث المنطلق عن منهج المدينة نشأ في العراق، بما كان قائما في العراق من ظروف تفرض سيطرة الرأي على الحديث خوفا من الأخذ بالأحاديث الموضوعة التي كانت منتشرة بشكل كبير في العراق (3)

وقد تأثرت خراسان بهذا المنهج الأخير لكونها في الفترة الأولى تابعة للعراق إداريا وتحكمها نفس الظروف للمشابهة بين عناصر السكان وطبيعة الفكر السائد .

ويمكن القول إجمالا أنه قد برز في خراسان خلال فترة البحث علماء أجلاء في الفقه كان

---

(1) ابن خلدون . **المقدمة** . ص . 798 .

(2) محمد فاروق النبهان . **المدخل إلى التشريع الإسلامي** . ط . 2 . بيروت : دار القلم ، الكويت : وكالة المطبوعات . 1981 . ص 179 .

(3) **المرجع نفسه** . ص . 135 .

لبعضهم أبحاث رائعة ونظرات صائبة قدمت للحياة العلمية خدمات جلى وأمدتها بروح من التفكير الإسلامي جديد، وفي مقدمتهم الإمام **داود بن نصير أبو سليمان الطائي** (1) **الخراساني (ت ـ 165هـ)** كان فقيها عالما بالقرآن والعربية ومما قالوه فيه : لو أن داود وزن بأهل الأرض لوزنهم فضلا وعلما.كان دائم الإشتغال بالعلم قيل جلس مع أهل العربية فصار رأسا فيهم/ثم مع علماء القرآن كذلك،ثم مع المحدثين حتى صار إمامهم ثم جالس الإمام أبا حنيفة وتفقه عليه حتى لم يتقدم عليه أحد، ولم يكن في حلقة أبي حنيفة أرفع صوتا منه ثم ترك ذلك وتخلى للعبادة (2) وكذا **النعمان بن عبد السلام بن حبيب التيمي** (3) **(ت ـ 183هـ)** أصله من نيسابور نقله أبوه أياء فتنة أبي مسلم الخراساني إلى أصبهان ثم سار به إلى البصرة، تفقه على سفيان الثوري وكان يجالس أبا حنيفة وزفر، وقد روى عنهما(4)

ومن فقهاء خراسان المبرزين نذكر أيضا : **نوح بن أبي مريم المروزي (ت ـ 173هـ)** الذي كان يلقب "بالجامع "لأنه أول من جمع فقه أبي حنيفة وقيل لأنه كان جامعا بين العلوم له أربعة مجالس ـ مجلس للأثر ـ ومجلس لأقاويل أبي حنيفة ـ ومجلس للنحو ـ ومجلس للشعر، روى عن الزهري ومقاتل بن حيان وكان على قضاء مرو لأبي جعفر المنصور .(5)

ومن مشاهير فقهاء خراسان أيضا **أبو مطيع البلخي (ت ـ 197هـ)** راوي كتاب الفقه الأكبر عن أبي حنيفة، روى عن أبي عون وهشام بن حسان ومالك بن أنس وإبراهيم بن طهمان وروى عنه أحمد بن منيع وغيره وتفقه عليه أهل بلاده، وكان ابن المبارك يجله لدينه وعلمه، توفي بعدما ولي قضاء بلخ .(6)

أما **أبو زكريا الحسين بن الوليد أبو عبد الله القرشي النيسابوري (ت.. 202هـ)** فقد كان يوصف بأنه فقيها سمع الإمام مالك بن أنس وابن أبي ذئب وسفيان الثوري وعددا كبيرا من أعلام العلماء وروي عنه أحمد بن حنبل وغيره كثير .. وكان ثقة

---

(1) طيء : قبيلة من كهلان من القحطانية ، كانت منازلهم باليمن ، ومنهم بطون كثيرة في العراق والشام ومصر ، ولما ارتد العرب تمسكت طيء بالإسلام وحاربت مع المثنى في العراق سنة 14هـ . ومع علي بن أبي طالب في صفين ... انظر : عمر رضا كحالة . **معجم قبائل العرب** . ج . 2 ، ص . ص . 689 . 691 .

(2) الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج . 8 ، ص . 347 ، ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج . 2 ، ص . 29 .

(3) التيمي : نسبة إلى تيم وهي عدة بطون منها : بطن قريش من بني مرة بن كعب بن لؤي ... منهم أبو بكر الصديق التيمي ، والصحابي طلحة بن عبيد الله ... أنظر : عمر رضا كحالة . **المرجع السابق** . ج . 1 ، ص . 138 .

(4) ناجي معروف . **عروبة العلماء المنسوبين للبلاد الأعجمية في المشرق الإسلامي** . **مرجع سابق** ، ص . 115 .

(5) ابن قطلوبغا . **تاج التراجم في طبقات الحنفية** . بغداد : مكتبة المثنى ،1962 ، ص . 20 .

(6) **المصدر نفسه** . ص 87 .

سخيا جوادا وكان يغزو الترك في كل ثلاث سنين .. وكان أوثق من بخراسان في زمانه .(1)

وبرز في الفقه أيضا **إبراهيم بن رستم أبو بكر المروزي (ت ـ 211هـ)** أحد أعلام الفقه أخذه عنه محمد بن الحسن وروى عنه النوادر أيضا، وروى عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم وأسد بن عمرو وتفقه عليه الجم الغفير وروى الدارمي عن ابن معين توثيقه، وعرض عليه المأمون القضاء فامتنع، مات بنيسابور. (2)

ونعدّ من فقهاء خراسان كذلك **أحمد بن عبد الله بن أيوب الحنفي أبو الوليد بن أبي رجاء الهروي (ت ـ 232هـ)** روى عنه البخاري وغيره وكان إمام عصره بهراة في الفقه طلب العلم مع أحمد بن حنبل، وهو من شيوخ النسائي وذكره ابن حبان في "الثقات"(3)

أما أحمد بن حاج بن القاسم أبو عبد الله العامري النيسابوري (ت ـ 237) فقد كان شيخ الحنفية بنيسابور وهو صاحب لمحمد الشيباني .(4)

ومن فقهاء خراسان المشهورين **إسحق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم بن مطر الحنظلي التميمي المروزي أبو يعقوب بن راهوية (ت ـ 238هـ)** كان أحد أئمة الإسلام وأحد كبار الشافعية، وعالم خراسان في عصره كانت ولادته بمرو سنة 161هـ وهو أحد الحفاظ الكبار طاف البلاد لجمع الأحاديث وأخذ العلم عنه أحمد بن حنبل والإمام البخاري والإمام مسلم والإمام الترمذي والإمام النسائي وغيرهم،وكان ثقة قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : "إسحق عندنا إمام من أئمة المسلمين".وقال الدرامي : "ساد إسحق أهل المشرق والمغرب بصدقه"،وشهد له الخطيب البغدادي بقوله : "إجتمع له الحديث والفقه والصدق والورع ورحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن وله تصانيف كثيرة)،وقال ابن حنبل عنه أيضا : "لا أعلم لإسحق نظيرا، ولم يعبر الجسر إلى خراسان مثله، توفي بنيسابور. (5)

وكتب التراجم والطبقات تغص بعدد كبير من الفقهاء الذين زخرت بهم الحياة العلمية في خراسان يطول البحث في إحصائهم .

---

(1) الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج . 8 ، ص . ص . 143 ، 144 ، ناجي معروف. **عروبة العلماء** . مرجع سابق ، ص . 235 .

(2) ابن قطلوبغا . **تاج التراجم في طبقات الحنفية** . ص . 3 .

(3) ابن حجر **تهذيب التهذيب** . ج . 1 ، ص . ص . 46 ، 47 ، ناجي معروف . **المرجع السابق** . ص . 200

(4) ناجي معروف . **المرجع السابق** . ص . 207 .

(5) الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج. 6، ص.ص. 345، 355، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج.1،ص.179، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج.2 ، ص.ص. 433، 435، الشيرازي. **طبقات الفقهاء**. ط.2، بيروت: دار الرائد العربي. 1981، ص.94، ابن حجر . **تهذيب التهذيب**. ج.1، ص.ص. 216، 219، الأصفهاني.**حلية الأولياء**. ج.9 ، ص. 234، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج.2، ص. 89.

الفصل الثالث

3ـ إسهامات الخراسانيين في العلوم العقلية

3 . 1 ـ علم الفلك :

لم يعرف العرب قبل الإسلام شيئا عن علم الفلك، اللهم إلا فيما يتعلق برصد بعض الكواكب والنجوم الزاهرة وحركاتها، بالنظر إلى الخسوف والكسوف، وعلاقاتها بحوادث العالم من الحظ والمستقبل، والحرب والسلم، والمطر والظواهر الطبيعية، بالإضافة إلى أنها كانت دليلهم في أسفارهم وأكثر أحوالهم، فكانوا إذا سألهم سائل عن الطريق المؤدي إلى البلد الفلاني قالوا: " عليك بنجم كذا » فيسير في جهته حتى يجد المكان . وربما استعانوا على ذلك أيضا بذكر مهاب الرياح يعبرون بها عن الجهات.. وكان عندهم لمطلع كل نجم وصف يدل على تأثير ذلك في الطقس على اعتقادهم (1). وقد أطلق العرب على القضايا التي تبحث في هذه الأمور" علم التنجيم " .

ولما جاء الإسلام بين فساد الإعتقاد بالتنجيم لأنه يحبط العمل الصالح، ويوهي الصلة بين العبد وربه، ويزعزع الإيمان المطلق بالقضاء والقدر . ولفت القرآن الكريم أنظار المؤمنين إلى ايات الله في الكون، وحركات الكواكب السيارة، والنجوم الطوالع .. لمعرفة عظمةالله تعالى، وبيان قدرته، وجاء في كثير من مواضع القرآن الكريم ذكر ظواهر فلكية منها قوله تعالى : والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون »(2)،وقوله أيضا : « فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم"(3) وقوله : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون »(4)

إنطلاقا من هذه النصوص وغيرها، اهتم المسلمون " بعلم الفلك " ووضعوا له قواعد وأسسا، منها ما هو قديم فاقتبسوه، ومنها ما هو جديد اخترعوه، وأصبح " علم الفلك " علما قائما بذاته ضمن العلوم العقلية التي ازدانت بها الحياة العلمية في الدولة الإسلامية .

---

(1) أنظر : جرجي زيدان . **تاريخ التمدن الإسلامي** . مرجع سابق . ج . 2 . ص .12.

(2) سورة : **يس** (الآية : 39).

(3) سورة : **الواقعة** . (الآية : 76).

(4) سورة : **الأنعام** . (الآية : 98).

ويعرف ابن خلدون علم الفلك بقوله : " هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة، والمتحركة .. ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك التي لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية، وهذه الهيئة صناعة شريفة، وليست على ما يفهم في المشهور أنها تعطي صورة السموات، وترتيب الأفلاك، والكواكب بالحقيقة، بل إنما تعطي أن هذه الصورة والهيئات للأفلاك لزمت عن هذه الحركات، وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازما لمختلفين، وإن قلنا إن الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم، ولا يغطي الحقيقة بوجه على أنه علم جليل، وهو أحد أركان التعاليم، ومن فروعه علم الأزياج(1) وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء، واستقامةورجوع .. وغير ذلك . يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة، ولهذه الصناعة قوانين في معرفة الشهور والأيام، والتواريخ الماضية، وأصول متقررة في جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين، وتسمى الأزياج"(2)

ومما لا شك فيه أن علم الفلك تقدم تقدما كبيرا في العصور الإسلامية وخاصة زمن الدولة العباسية (3) كغيره من فروع المعرفة ـ فقد كانت مواقيت الصلاة مثلا من بعض مسائله التي يجب معرفتها فهي تختلف من موقع إلى موقع ومن يوم إلى يوم .. ولا يخفى أن حسابها يقتضي معرفة عرض الموقع الجغرافي، وحركة الشمس في البروج، وأحوال الشفق الأساسية، وهناك صلاة الكسوف أو الخسوف التي تقتضي معرفتها معرفة استعمال الأزياج الدقيقة، وهناك أيضا هلال رمضان (4)، وفي هذا يقول كارولو نللينو في كتابه " علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى " : " لا يخفى على من اعتبر أمور الدين الإسلامي، ولو

---

(1) الأزياج : جمع ـ زيج : وهو عبارة عن جداول مسجلة فيها حركات الشمس والقمر والأرض والنجوم ، ومساراتها ، وأقدم الأبحاث المدونة فيه " زيج بطليموس " .أنظر : علي عبد الله الدفاع . **أثر العرب والمسلمين في تطوير الفلك** .ط .3 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1985 ، ص 17.

(2) ابن خلدون . **المقدمة** . ص. 907.

(3) إلا أن الدكتور أنور الرفاعي يرى أن اهتمام العرب المسلمين بعلم الفلك . كان في أواخر العصر الأموي زمن خالد بن يزيد ترجم أول كتاب للفلك ، وهو كتاب "عرض مفتاح النجوم " المنسوب لهرمس الحكيم ، وقد تمت ترجمته قبل سقوط الدولة الأموية بسبع سنين . الإسلام في حضارته ونظمه . ط .2 ،دمشق : دار الفكر، 1982 ، ص 661

4ـ قدري حافظ طوقان : **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك** .ط. 2 ، القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1954 ، ص.ص .87 ، 88.

قليلا، ما وقع بين بعض أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات،وبين بعض الظواهر الفلكية من الإرتباط الواضح الجلي، إن أوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد إلى بلد، ومن يوم إلى يوم، فيقتضي حسابها معرفة عرض البلد الجغرافي وحركة الشمس في فلك البروج،، وأحوال الشفق الأساسية، ومن شروط الصلاة الإتجاه إلى الكعبة، فيستلزم ذلك معرفة سمة القبلة أي حل مسألة من مسائل علم الهيئة الكروية، مبنية على حسابات المثلثات و من أحب صلاة الكسوف يحسن التأهب لها قبيل انكساف الشمس أو القمر، ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة حساب حركات النيرين، واستعمال الأزياج المتقنة »(1)

وزاد اهتمام الناس بعلم الفلك وعظمت رغبتهم في معرفته زمن الخليفة المنصور الذي أولع بعلم الفلك وشجع العلماء وأغدق عليهم العطايا، وحثهم على ترجمة ما ألفه إقليدس، وأرشميدس، وبطليموس، وترجمة جميع كتب اليونان في هذا الميدان، وفي عصر الرشيد وابنه المأمون، صاغ المسلمون كل أسماء النجوم والكواكب لدى ترجمتهم لأعمال الفلكي الكبير إبرخس (Hipparch)، ودليله الموقع بقلم بطليموس (PTOLEMOUS)مع عدم إغفال أسمائها القديمة التقليدية .. الأمر الذي جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة فيما بعد أسماء ذات مصدر عربي أخذه الغرب فيما بعد (2). وقد أدت مدرسة بغداد الفلكية في زمن الرشيد والمأمون أعمالا مهمة في هذا الميدان يقول غوستاف لوبون : " كانت بغداد مركزا مهما لمباحث علم الفلك، ولكنها لم تكن المركز الوحيد لهذه المباحث. فالمراصد التي كانت قائمة في البلاد الممتدة من آسيا الوسطى إلى المحيط الأطلنطي كثيرة، فمنها ما كان في دمشق، وسمرقند، والقاهرة، وفارس، وقرطبة .. ».(3)

ومن الذين برزوا في هذا العلم، وقدموا خدمات جليلة، ودراسات قيمة أسرة خراسانية تُدعى " أبناء موسى بن شاكر الثلاثة " محمد وأحمد والحسن، فقد أظهروا عجائب الحكمة في هذا الميدان (4)

وقد أفسح المأمون لهؤلاء الفلكيين دارا في أعلى ضاحية من بغداد، لرصد النجوم رصدا دقيقا علميا، وإجراء قياسات مثيرة للإعجاب .. وقد كان هؤلاء الفلكيون الخراسانيون يعملون مجتمعين على وضع جداول الفلك " المجربة " أو " المأمونة " كما يسمونها، وهي

---

(1) نقلا عن : علي عبد الله الدفاع . **أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك** . مرجع سابق ،ص .31

(2) زيغريد هونكه . **شمس العرب تسطع على الغرب** . ط .5 ، بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، 1981 . ص 118

(3) غوستاف لوبون . **حضارة العرب**. ط .4 ،ترجمة عادل زعيتر . القاهرة : (د.ن) . 1964 ، ص .456.

(4) ابن النديم . **الفهرست** . ص. 376.

مراجعة دقيقة لجداول بطليموس القديمة (1).

،ولم يكن المأمون خليفة فحسب بل كان رجل علم أيضا فقد أرسل حملتين لقياس درجة من محيط الأرض، وهذا أول عمل علمي جبّار تكرسه دولة في سبيل الحصول على حقيقة علمية مجردة ـ عبر التاريخ ـ ومما لا ريب فيه أن الخليفة الذي يأمر بالقيام بهذا العمل كان يعرف الحقيقة التالية " وهي أن الأرض كروية مما ورد في كتب اليونان » (2)، وبناء على ذلك أصدر أمره إلى الإخوة الثلاثة للقيام بقياس درجة واحدة من محيط الأرض، وجهز حملتين لذلك، وقد ورد وصف هاتين الحملتين في كتاب " الزيج الحاكمي الكبير " لابن يونس المصري، وهو الآن على شكل نسخة خطيه محفوظة في مكتبة " ليدن " (3) . وقد أورد ابن خلكان هذا الوصف على الشكل التالي :

« إن المأمون كان مغرى بعلوم الأوائل وتحقيقها، ورأى فيها أن دورة الكرة الأرضية أربعة وعشرين ألف ميل ـ كل ثلاثة أميال فرسخ .. فأراد المأمون أن يقف على حقيقة ذلك، فسأل بني موسي، فقالوا نعم : هذا قطعي، وقال أريد منكم أن تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر، هل يتحرر ذلك أم لا؟، فسألوا عن الأراضي المتساوية في أي البلاد هي، فقيل لهم صحراء سنجار في غاية الإستواء، وكذلك وطآت الكوفة، فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون بأقوالهم، ويركن إلى معرفتهم بهذه الصناعة، وخرجوا إلى سنجار، وجاءوا الصحراء المذكورة، فوقفوا في موضع منها، فأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات، وضربوا في ذلك الموضع وتدا، وربطوا فيه حبلا طويلا، ثم مشوا إلى الجهة الشمالية . على استواء الأرض من غير انحراف إلى اليمين أو إلى الجهة الشمالية . على استواء الأرض من غير انحراف إلى اليمين أو إلى اليسار حسب الإمكان، فلما فرغ الحبل نصبوا في الأرض وتدا آخر، وربطوا فيه حبلا طويلا . ومشوا إلى جهة الشمال أيضا كفعلهم الأول، ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتبهوا إلى موضع ذلك القدر الذي قدروه من الأرض بالحبال، فبلغ ستة وستون ميلا وثلثا ميل . ثم عادوا إلى الموضع الذي ضربوا فيه الوتد الأول وشدوا فيه حبلا، وتوجهوا إلى الجنوب، ومشوا على الإستقامة، وعملوا كما عملوا في جهة الشمال، ثم أخذوا الإرتفاع فوجدوا القطب قد نقص عن ارتفاعه الأول درجة، فصح حسابهم، وحققوا ما قد روا من ذلك، فلما عاد بنو موسى إلى المأمون وأخبروه بما صنعوا .

---

(1) زيغريد هونكه . **شمس العرب تسطع على الغرب** . مرجع سابق . ص .119.

(2) عبد الرحيم بدر . **علم الفلك عند العرب** . عمان : منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ،1405هـ /1985م . ص .22.

(3) **المرجع نفسه** . ص .23.

وكان موافقا لما رآه في الكتب القديمة، من استخراج الأوائل، طلب تحقيق ذلك في موضع آخر، فسيرهم إلى أرض الكوفة ، وفعلوا ما فعلوا في سنجار فتوافق الحسابات، فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء في ذلك ».(1)

ولم يلبث محمد وأخواه أن قاموا أيضا بقياسات فلكية أخرى، فاقت ما قام به بطليموس من قبل، حتى أن البيروني الكبير (2) قال : " إني أرى أنه بوسع المرء أن يعتمد على ما قام به أبناء موسى من أبحاث وملاحظات، ذلك أنهم وضعوا في سبيل البحث عن الحقيقة كل قواهم، وكانوا الوحيدين في عصرهم، الذين برعوا في طرقهم الفلكية، وفي حسن استعمالهم لها، كما أنهم تركوا المجال لغيرهم من العلماء للتحقق من صحة قياساتهم ودقتها »(3).

وقد وضع الإخوة الخراسانيون الكتب الفلكية، وعالجوا فيها لأول مرة بالعربية موضوعات فلكية هامة منها كتاب في قياس مساحات مسطحة أو مستديرة ترجمه إلى اللاتينية (جيرارد الكريموني، GERHARD UON CREMONA)(4) وعرف في بلاد الغرب باسم كتاب الإخوة الثلاثة " ووضع محمد بن موسى مع أحد إخوته أيضا ساعة نحاسية كبيرة الحجم، وقاما بأدق الحسابات سيما ما يتصل منها بطلوع بعض الكواكب الهامة، وهبوطها في الدوران النهاري أو السكني، ونقل حسابات دقيقة معقدة إلى آلات حساسة مدهشة هي بالفعل معجزات فنية تدفع على الإعجاب .

وعندما ذهب الطبيب ابن ربان الطبري (2) إلى مرصدهما في القصر قال بعدأن أخذ منه العجب كل مأخذ : " في مرصد سامراء رأيت آلة بناها الأخوان محمد وأحمد إبنا

---

(1) ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج 4 ، ص .48 ، 49

(2) البيروني (362 هـ ـ 448 هـ) أبو الريحان محمد بن أحمد : من أشهر العلماء المسلمين في العلوم الهندسية والفلكية. ألف كتاب " **القانون المسعودي في الهيئة والنجوم** " ووضع عددا من الرسائل في الجغرافيا الرياضية .. وتصل مؤلفاته نحو 417 كتابا وبحثا ، منها أيضا " **كتاب العمل بالإسطرلاب** " ، وكتاب " **الآثار الباقية من القرون الخالية** " وله أيضا " **الإستشهاد باختلاف الأرصاد** " . أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ج.4 ، ص. 397 ،مادة (البيروني)

(3) زيغريدهونكه . **شمس العرب تسطع على الغرب** . مرجع سابق ، ص .119 ، 120

(4) جيرارد الكريموني (GERHARD -UNO GREMONA): (1114م ـ 1187م) : من أقدم المستشرقين الغربيين نقل إلى اللاتينية فلسفة الكندي ، وغير ذلك من الكتب العربية النفيسة المتعلقة بالطب ، والفلك ، والفلسفة ، والرياضيات .. أنظر : زيغريد هونكه . **شمس العرب** . مرجع سابق ، ص .183

(5) ابن ربان علي بن سهل بن ربان الطبري : ولد في مرو بخراسان عام 193هـ ، وهو طبيب سرياني أصلا ولغة أقام في طبرستان واعتنق الإسلام ، من مؤلفاته " **فردوس الحكمة** " وكتاب " **الدين والدولة** " . أنظر : ابن أبي أصيبعة . **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** . ط.3 ، بيروت : دار الثقافة . 1981 ، ج 2 ، ص 242

موسى،وهي ذات شكل دائري تحمل صور النجوم، ورموز الحيوانات في وسطها، وتديرها قوة مائية، وكان كلما غاب نجم في قبة السماء اختفت صورته في اللحظة ذاتها في الآلة، وإذا ما ظهر نجم في قبة السماء، ظهرت صورته في الخط الأفقي من الآلة »(1)

ومن جهود الإخوة الثلاثة في علم الفلك أيضا حساب مساحة الأشكال المستوية والكروية الذي شكل تطويرا هاما لكتابي "أرخميدس " عن حساب مساحته الدائرية، وعن " الكرة الأسطوانة " والذي استعمل فيه الإخوة الثلاثة منهج الإستنزاف لدى (يودوكس »، ومفهوم الكميات المتناهية الصغر لدى أرخميدس، والذي كان بالغ التأثير في الشرق الإسلامي، وفي الغرب اللاتيني معا(2)

وقد برز أيضا مشاهير من خراسان في علم الفلك منهم **أبو معشر جعفر بن محمد البلخي** (**ت 272هـ**) وكان منزله في الجانب الغربي بباب خراسان، تعلم علم النجوم بعد سبع وأربعين من عمره، وكان فاضلا، حسن الإصابة، من أهم مولفاته كتاب "المدخل الكبير" وكتاب "المدخل الصغير" وكتاب "زيج الهزارات" وكتاب "المواليد الكبير" الذي لم يتمه، وخرج منه كتاب " هيئة الفلك "واختلاف طلوعه " وكتاب الهيلاج " وكتاب " القرانات " الذي كتب به إلى ابن البازيار (3)، وله أيضا كتاب " تحويل سني العالم " وكتاب " الإختيارات على منازل القمر "، وكتاب " إثبات علم النجوم " وكتاب " تفسير المنامات من النجوم "وكتاب " طبائع البلدان وتولد الرياح " (4)

كما ظهر في خراسان في علم'لفلك أيضا **حبش بن عبد الله المروزي** الملقب بالحاسب أحد أصحاب الأرصاد، وقد جاوز المائة سنة.عاش بعضها في عصر المأمون وله من الكتب " كتاب " عمل الأسطرلاب " وكتاب " الرخائم والمقاييس " وكتاب " الأبعاد والأجرام " وكتاب " الزيج المأموني " وكتاب " عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمائلة والمنحرفة ". (5)

وهكذا ساهم هؤلاء الخراسانيون وغيرهم في دفع عجلة الحضارة خطوات عملاقة إلى الأمام وذلك في الميدان الذي تخصصوا فيه، من ابتكار الآلات الفلكية للرصد، إلى تدوين المعلومات الرصدية عن القبةالسماوية وأحوال السماء في جداول فلكية هي " الأزياج " إلى

---

(1) زيغريد هونكه .**شمس العرب تسطع على الغرب**. مرجع سابق . ص 122 .

(2) ابن البازيار : هو محمد بن عبد الله بن عمر بن البازيار ، تلميذ حبش بن عبد الله المروزي وكان فاضلا مقدما في صناعة النجوم ، وله من الكتب **"كتاب الأهوية "** ، وكتاب **"المواليد"** و**"تحويل سني الموالد "** . أنظر : ابن النديم . الفهرست ص .385.

(3) ابن النديم . **الفهرست** .ص .386.

(4) **المصدر نفسه** . ص. 384

تصحيح الآراء والنظريات الفلكية التي ورثوها عن اليونان، بالإضافة إلى وضع أسس جديدة لعلم فلك جديد عن الكون مختلفة عن الصورة التي خلفها بطليموس، وقد أفاد الغرب بعد ذلك من كل ذلك، فكانوا بحق أساتذة العالم . والحضارة الحديثة مدينة لهم بالفضل لأياديهم البيضاء على الإنسانية جمعاء .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2.3 ـ الطب :

يعتبر المسلمون في مقدمة الشعوب التي أولت للطب عناية فائقة، فقد طوروا ميدانه، وأبدعوا فيه، وأضافوا إليه منجزات جديدة قدمت للبشرية خدمات جلّى في أخطر ميدان في حياة الناس.

وقد كان الطب في الجاهلية بدائيا يعتمد على التعاويذ والكهانة، أكثر من اعتماده على الإستقصاء، ومعرفة أسباب المرض قبل وضع العلاج، ولكن رغم ذلك فقد وجد إلى جانب العرافين جماعة من الأطباء تقدم النصح السليم للمرضى، وتصف لهم بعض الأعشاب والنباتات منهم " الحارث بن كلدة الثقفي " وابنه " النضر بن الحارث بن كلدة اللذان تعلما الطب في جند يسابور، " وابن أبي رمثة التميمي "الذي كان جراحا مشهورا، و " الشمر دل بن قباب الكعبي النجراني ". (1)

وقد ظل الطب في صدر الإسلام يتصدر العلوم التي ينبغي معرفتها، لحاجة الناس إليها، قال القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي : " إن العرب في صدر الإسلام لم تعن بشيء من العلوم إلا بلغتها، ومعرفة أحكام شريعتها، حاشا صناعة الطب، فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا إليها » (2)

وقد كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أناس يعلمون الطب،ويعملون به، ذكر ابن الجوزي عن هشام بن عروة قال : " كان عروة بن الزبير » يقول لعائشة رضي الله عنها : " يا أماه لا أعجب من فقهك، أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر، وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر، وكان من أعلم الناس، ولكني أعجب من علمك بالطب، فضربت على منكبه وقالت : " أي عروة ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثم ». (3)

وروى أبو داود عن سعيد قال : " مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلي الله عليه وسلم يعودني، فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردهما على فؤادي، فقال : إنك مفؤود إئت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه يتطبب »(4) وفي " الموطأ " عن زيد بن أسلم " أن رجلا في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم أصابه جرح فاحتقن الجرح بالدم وأن الرجل دعا رجلين من

---

(1) أحمد عيسى بك . **تاريخ البيمارستانات في الإسلام** .ط .2، بيروت : دار الرائد العربي . 1981 ، ص. 7.

(2) ابن صاعد . **طبقات الأمم** . مصر : المكتبة التجارية ، (د .ت) ،ص. 63.

(3) ابن الجوزي . **صفة الصفوة** . ط .4 ،بيروت : دار المعرفة ، 1986 ، ج .2. ص .32.

(4) الخزاعي : **تخريج الدلالات السمعة** . ط .1 . تحقيق إحسان عباس . بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1985، ص 667.

بني أنمار فنظر إليه، فزعما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لهما : أيكما أطب ؟ فقال : أو في الطب خير يا رسول الله ؟ فزعم زيد أن رسول الله قال : أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء » (1)

إنطلاقا من هذه النصوص وغيرها راح المسلمون يعنون بميدان الطب ويؤسسون له المستشفيات وكانت تسمى " البيمارستانات " ولعل أول نواة لهذه المؤسسات كانت زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن إسحاق في " السير " قوله : " كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة « الأسلمية » في مسجده كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وقد كان رسول الله قد قال لقوم حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعود من قريب » .(2)

ثم بنيت البيمارستانات في الإسلام وأصبح لها دور خاصة ويذكر صاحب " الخطط " أن أول من بنى البيمارستانات في الإسلام وادارا للمرضى «الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي سنة 88 هـ، وجعل في البيمارستان الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق ..» (3)

وتطورت بعد ذلك وأصبحت مراكز للتمريض ولتعليم الطب وتخريج الأطباء .. في تخصصات كثيرة مثل الصيدلة، والجراحة، والحجامة،والبيطرة، والعطارة (4)

ويصف غوستاف لوبون مشافي المسلمين في ذلك الوقت بقوله : " كانت مشافي العرب كمشافي أوربا في الوقت الحاضر، ملاجئ للمرضى، وأماكن لدراسة الطب . وكان الطلاب يتلقون دروسهم في فرش المرضى أكثر مما يتلقونها في الكتب ولم تقلدهم جامعات أوربا في القرون الوسطى إلا قليلا » .(5)

وانتشرت صناعة الطب كغيرها من العلوم في حواضر العالم الإسلامي في ذلك العصر . وكان من بين تلك الحواضر ـ أهم مدن خراسان ـ مرو، ونيسابور، وسرخس ... وظهر بها أطباء برزوا في علم الطب وأفادوا، وقدموا تصانيف وأجادوا، وبلغوا من المقصد قاصيته، وملكوا من شرف هذا العلم ناصيته .. وكان من أشهر هؤلاء :

---

(1) الإمام مالك بن أنس ـ **الموطأ** ، رواية يحي بن يحي الليثي .ط .11 ، إعداد أحمد راتب عرموش . بيروت : دار النفائس، 1990 . ص .673

(2) الخزاعي . **تخريج الدلالات السمعية** . ص .663.

(3) المقريزي . **الخطط** . ج .2 ، ص. 405

(4)- SLEIM AMMAR : MEDECINS ET MEDECIN DE L'AUBE DE L'ISLAM A L'AGE D'OR . PARIS . EDITION TOUGUI 1984 . P 124

(5)- GUSTAVE LE BON : LA CIVILISATION DES ARABES ITALIE : SYRACUSE - EDITION 69 - 161. P 390

أبو العباس أحمد بن الطيب بن محمد بن مروان السرخسي (ت 283هـ) .

كان متقنا في علوم كثيرة من القدماء والعرب، حسن المعرفة جيد القريحة، بليغ اللسان، مليح التصنيف، والتأليف، حسن العشرة، مليح النادرة، سمع الحديث وروى شيئا منه .. ولما أذاع سرا كان قد أفضى إليه به الخليفة المعتضد قبض عليه وقتله .

ولأحمد بن الطيب السرخسي من الكتب : كتاب " النفس " وكتاب " المدخل إلى صناعة الطب " نقض فيه على حنين بن إسحق كتاب " المسائل " وله كتاب " الطبيخ " ألفه على الشهور والأيام للمعتضد، وكتاب " زاد المسافر وخدمة الملوك " وكتاب " ماهية النوم والرؤيا " وكتاب " العقل " وكتاب " في أدب النفس " إلى المعتضد " وكتاب " المدخل إلى علم الموسيقى " ورسالة السالكين وطرائف اعتقاداتهم وكتاب في منفعة الجبال . وكتاب " اللهو والملاهي ونزهة المفكر الساهي " في الغناء والمغنيين والمنادمة والمجالسة، وأنواع الأخبار والملح صنفها للخليفة ...) .[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ـ ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء . ج2 . ص 191

3.3 ـ التصوف : (*)

لما كان التصوف قد شغل ناحية هامة من نواحي الحركة العقلية الإسلامية . بل العالمية من جهة، وكان أعلام فلاسفة الإسلام الذين ظهروا في العصور التالية للعصر الذي نبحث فيه كالغزالي، والفارابي، وابن سينا لهم في التصوف آراء نظرية، وخطط عملية تسترعي العناية من جهة أخرى، فقد وجب علينا أن نعرض في بحثنا لهذه الناحية الخطيرة من نواحي الفكر الإسلامي، ونكشف عن طبيعة الفكر الصوفي الذي اصطبغت به أقاليم كثيرة في أنحاء الدولة الإسلامية، وبخاصة منها في خراسان، مع إبراز أعلام كانت لهم الصدارة في هذا الميدان، فقادوا حركة الزهد والتصوف، ونظروا لها، وأقاموا مدارس لا تزال تعاليمها مؤثرة في فكر الإنسان المعاصر في تلك المنطقة، ولكن قبل ذلك : ما هو التصوف ؟

لغة : اختلف مؤرخوا التصوف قديما وحديثا في وجه اشتقاق كلمة " تصوف .. وتعددت دلالتها عندهم، واختلفت معانيها، بينهم كثيرا، فمن قائل أنهانسبة إلى " الصوفة " لأن الصوفي مع الله كالصوف المطروحة لا تدبير لها .

ـ أو "أهل الصفة " وهم طائفة من الصحابة انقطعوا عن الدنيا، وتفرغو للعبادة وكانوا يقيمون في صفة " بمسجد رسول الله صلي اللهعليه وسلم

ـ أو من " الصفاء " لأن الصوفي رجل صفا لله فسمي الصوفي .

ـ أو نسبة إلى " قبيلة بني صوفة " وهي قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية، وتنسب إلى رجل يقال له " صوفة " كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام، وجاء أناس لمشابهتهم إياه في الإنقطاع إلى الله فسموا بالصوفية . (1)

والحقيقة أن هذه الوجوه كلها لا تقوم على أساس من دليل أو سند من حجة، ولعل الأرجح، والأقرب إلى العقل، مذهب القائلين بأن الصوفي نسبة إلى " الصوف " وأن المتصوف مأخوذ منه أيضا، فيقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال : تقمص إذا لبس القميص، فلهذا القول وجه سائغ في الإشتقاق وهو قول كبار العلماء ممن كتبوا في التصوف(2)

(*) كثير من المؤلفين الإسلاميين لا يعدون علم التصوف من العلوم الفلسفية العقلية في حقيقة أمره . ولكنهم يرونه قريب الشبه بهذه العلوم ويرون أن الفلسفة طغت عليه في بعض أدوار تدرجه فصبغته بالصبغة الفلسفية العقلية .أنظر : مصطفى عبد الرازق . **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية** . ط .3 ،القاهرة : مكتبة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1386هـ/1966م ، ص 74 ، 75.

(1) أنظر : دائرة المعرف الإسلامية . مادة " التصوف "

(2) ابن تيمية . **مجموع الفتاوي** . مكة المكرمة : مطبعة الحكومة ، 1389هـ ، ج 11 ، ص .6 ، ابن خلدون . **المقدمة** .ص. 363

ومما يمكن الإستدلال به لهذا الرأي ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله:" لقد سلك فج الروحاء سبعون نبيا حجاجا عليهم ثياب الصوف. ولقد صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا » .

اصطلاحا : ـ وكما تباينت أقوال العلماء في معنى " التصوف " لغة،فإنهم اختلفوا أيضا في مفهومه اصطلاحا، نظرا لأن التصوف يرتبط بأحوال المتصوف ومواجده وأذواقه، وقد كانت هذه الظاهرة ملحظا للشيخ أحمد زروق حتى قال في قاعدتيه، الثانية والثالثة : " وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ الألفين، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه .. والإختلاف في الحقيقة الواحدة إن كثر دل على بعد إدراك جملتها، ثم هو إن رجع لأصل واحد يتضمن جملة ما قيل فيها، كانت العبارة عنه بحسب ما فهم منه، وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله، واعتبار كل واحد على حسب مناله منه علما، أو عملا، أو حالا، أو ذوقا، أو غير ذلك، والإختلاف في التصوف من ذلك، فمن ثم ألحق الحافظ أبو نعيم رحمه الله ـ بغالب أهل حليته عند تحليته كل شخص ـ قولا من أقواله يناسب حاله قائلا : وقيل إن التصوف كذا ».(1)

ولو استقصينا مجموعة تعريفات " التصوف " يظهر لنا صدق هذا الحكم الذي قال به الشيخ زروق . وقد أورد نيكلسون (NICKLSON) (2) مجموعة من التعريفات لمشاهير من الصوفية منها . قول بشر الحافي الخراساني (ت ـ 227هـ) : الصوفي من صفا قلبه لله»

وقول ذي النون المصري (ت ـ 245 هـ) لما سئل عن التصوف قال : " هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شيء، فآثرهم الله عز وجل على كل شيء »

وقول الجنيد البغدادي (ت 297هـ) عن التصوف : " هو تصفية القلوب حتى لا يعاودها ضعفها الذاتي، ومفارقة أخلاق الطبيعة .. ومجانبة نزوات النفس، ومنازلة الصفات الروحية، والتعلق بعلوم الحقيقة،وعمل ما هو خير إلى الأبد، والنصح الخالص لجميع الأمة، والإخلاص،مراعاة الحقيقة واتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الشريعة ».

وسئل أبو سعد الخزاز (ت ـ 268 هـ) عن التصوف فقال : " الصوفي من صفى ربه قلبه فامتلأ قلبه نورا، ومن حل في عين اللذة بذكره الله ".

---

(1) أحمد زروق : قواعد التصوف . ط .2 . القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية . 1976 . ص .3، 4.

(2) نيكلسون NICKLSON . **في التصوف الإسلامي وتاريخه**. ترجمة أبو العلا عفيفي. القاهرة : (د .ن)، 1969 ، ص .28 . 29.

3 ـ 3 ـ 1 ـ البيئة الخراسانية والزهد :

كانت خراسان قبل دخول الإسلام معقلامن معاقل القومية الفارسية، مع مجاورتهم للترك المنتشرين في أطرافها، إلى انتشار بعض الثقافة الصينية فيها، مع وجود بيئة " الغنوصيين كذلك " . (1)

وبما أن الزهد أو التصوف نزعة إنسانية وجدت في كل دين، وفي كل حضارة.فقد كان للفرس نزعة صوفية من مختلف المذاهب تحاول التوفيق بين الأديان وتمزج الدين بالفلسفة، وقد أسس أنو شروان (531 ـ 579م) في جند يسابور معهدا للدراسات الفلسفية والطبية، وكان معظم أساتذته من المسيحيين النسطوريين ... » (2) ولا بد أن يكون لكل هذا أثر في الحياة العقلية والروحية الإسلامية فيما بعد في بلاد الفرس عامة، وفي خراسان على الخصوص .

ولكن كما حدث ذلك في خراسان، حدث أيضا في بلاد الشام، كما حدث في البصرة والكوفة، فقد كانت تيارات فكرية مختلفة، ووجد نساك من الفرس الأقدمين من أتباع زرادشت، وماني، ومزدك، كما كانت أيضا مسرحا للفكر الهندي، ومدخلا له، ووجد إلى جانب من يمثل الروح الإسلامية الخالصة، من يمثل الإتجاهات الغنوصية والأجنبية. (3)

ولم تكن خراسان بدعا بين البلاد أوالمناطق العربية الأخرى، فقد سادها ولو متأخرا كل العوامل التي مرت بغيرها من المناطق، وتفاعلت تلك العوامل لتنشأ بعد ذلك حركة روحية تصدر عن الإسلام وحده (4) . بالإضافة إلى أن بيئة خراسان كانت بيئة صالحة لنشوء مثل هذا الإتجاه دون مقاومة (5) فهي المرتع الأول للتشيع الذي شهد حركة تصوف واسعة في القرن الثاني والثالث للهجرة .

---

(1) الغنوصيون : GNOSTICTS : هم أتباع مدرسة دينية فلسفية في القرون الأولى من المسيحية . كانت تمزج للاهوت المسيحي وديانات الشرق القديمة.والأفلاطونية الجديدة. والفيثاغورية . وكان الغنوصيون يؤمنون بصلة أولى روحية لا يمكن إدراكها تتبدى في الفيض . وتتعارض مع العالم المادي . الذي هو مصدر " الشر " وكان الزعيمان الغنوصيان لمسيحيان هما : فالنتيوس : المصري . وباسيلديس السوري . أنظر : **الموسوعة الفلسفية** . وضع لجنة من العلما . الأكاديميين السوفيات. ترجمة سمير كرم . ط .6 ، بيروت : دار الطليعة . 1987 ، ص. 321

(2) دي بور : **تاريخ الفلسفة في الإسلام** . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . د ت) ،ص. 24.

(3) علي سامي النشار . **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** . ط. 1. مصر : دار المعارف . 1969 . ج. 3 . ص. 54

(4) **المرجع نفسه** . ص 543

(5) Jaquelme CHABBI : " REMARQUES SUR LE DéVELOPEMENT HISTORIQUE DES MOUVEMENTS ASCéTIQUES ET MYSTIQUE AU KHURASAN (STVDIA IS . LAMICA) PARIS . G.P MAISONNEUSE) LAROSE P.2

ومهما يكن من شيء فقد أغفل مؤرخو الزهد والتصوف التطرق إلى ذكر الزهاد الأقدمين في فارس وخراسان، وكيف كانت الكوفة والبصرة المصدران الأساسيان للحياة الروحية في فارس وخراسان وسنرى فيما بعد ـ أن عبد الله بن المبارك، وابراهيم بن أدهم يأخذان طريقهما أو رحلتهما الأولى إلى عباد البصرة، حيث يلتمسان منهم وفيهم حياة الروح .. ثم ما يلبث أن يظهر في بلخ .. بلد العبادة الأول في خراسان ـ طائفة من الرواد الأول للتصوف(1).

3 ـ 3 ـ 2 ـ أعلام التصوف في خراسان :

برز من الزهاد والمتصوفة في خراسان في القرن الثاني والثالث أعلام أثْروا حركة التصوف وكان من أبررهم : **إبراهيم بن أدهم البلخي** (**ت ـ 162هـ**) ولد في بلخ على أسرّة الترف،وفي جو الثراء العريض، فقد ولد وفي فمه ـ كما يقال ـ ملعقة من ذهب، ونشأ في جو من الأبهة، وفي نعيم من نعيم الدنيا لا يحده عسر (2) وقيل عنه أنه كان أميرا " حاكما" في بلخ، ولكنه زهد في الحكم، ولبس الصوف، وهام على وجهه في البلاد، يعيش من كسب يده من حراسة البساتين وغير ذلك . ومع هذه البدايات الغريبة للتصوف الخراساني نجد إبراهيم بن أدهم ينزل البصرة والإسكندرية، ومكة، والشام . (4)، فيكون بذلك قد صدر عن سياحة (4) والتي كانت معروفة حينئذ في الكوفة عند سفيان الثوري الذي كان من شيوخ إبراهيم بن أدهم (5)، ويروى أنه كان من تلاميذ أبي حنيفة (6)، وكان أبو حنيفة يقول عنه . " إنه يشتغل بخدمة مولاه، ونحن نشتغل بخدمة أنفسنا"، وكان إبراهيم بن أدهم يلبس الصوف والعباء (7) وذلك شعار زهاد الكوفة الصادر عن التشيع، ويؤكد الخوانساري هذا الإتجاه فيروي " أن الإمام الباقر لما عزم الإنتقال من الكوفة إلى المدينة رافقه إبراهيم بن أدهم متشيعا مع بعض العلماء » (8)، وإن انتسابه إلى قبيلة بني عجل المشهورة بحبها لآل

---

(1) علي سامي النشار . **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام** . مرجع سابق ، ص .543

(2) شهاب الدين السهروردي : **عوارف المعارف** . تحقيق عبد الحليم محمود ، محمود بن شريف . (د . م) : مطبعة السعادة ،(د . ت) ، ج. 1 ، ص. 57

(3) السلمي : **طبقات الصوفية** . ط .3، تحقيق نور الدين شريبه . القاهرة : مكتبة الخانجي .1986، ص. 27.

(4) السياحة : هي الخروج والتطواف بين البلدان لزيارة أرباب التصوف لأخذ الطريقة والميثاق عنهم . أنظر مثلا : السلمي . **طبقات الصوفية** . ص. 61 ،103 ، 326 ، 354 .

(5) السلمي . **طبقات الصوفية** . ص .27

(6) الهجويري . **كشف المحجوب** . دراسة وترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل . بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1980 ، ص .314

(7) **المصدر نفسه** . ص. 51

(8) الخونساري . **روضات الجنات** . طهران : 1382هـ / 1962 م ، ج .1 . ص .145

البيت، وإلى قبيلة بكر بن وائل المعروفة بأن قسما منهم كان من أتباع الإمام علي رضي الله عنه (1)، يوضح الحكايات الواردة عن ارتباطه بآل البيت، ولكن ذلك لا يدل أبدا على تشيع إبراهيم بن أدهم، فالكتب التي ألفت في تراجم الرجال قديما، لا تذكر اسمه بين أتباع الأئمة(2).

وقد تركت شخصية إبراهيم بن أدهم، وأحواله، وأقواله آثارا مهمة في تاريخ التصوف الإسلامي خلال مراحل تشكله الأولى، فهو يعد نموذجا للزهد والتجرد، والترفع عن الدنيا في أدب العرفان والتصوف، كان أبو حنيفة، يخاطبه بكلمة "سيدنا".. وأطلق عليه الجنيد لقب " مفاتيح العلوم ابرهيم » (3)

وقد تجاوزت شهرة إبراهيم بن أدهم حدود العالم الإسلامي، وتركت أثرا في الآداب الأوروبية، فالسائح والمؤرخ الإيطالي " نيقولا مانوجي (MANUC- NICCOLAO CI)الذي زار بلاط الماغول في الهند في القرن الحادي عشر/ السابع عشر ميلادي، ذكر قصة تتعلق بإبراهيم بن أدهم في كتابه " تاريخ المغول " ونظم الشاعر الإنكليزي " لي هانت (Leigh Hont) 1784 ـ 1859م) قصيدة رائعة باللغة الإنكليزية بعنوان " إبراهيم بن أدهم " تتحدث عن حلم رأى فيه إبراهيم جبريلا يكتب في لوح أسماء عشاق الحق (4)، إلى جانب ذلك كان شجاعا جسورا في انتقاد أصحاب المقامات ولم يكن يحذر توجيه اللوم إلى المرائين والمتكالبين على الدنيا . ولا نرى في أقواله شطحات مثل التي تنسب إلى أبي يزيد البسطامي والحلاج، كما لا نلاحظ فيها أثرا للموضوعات التي ظهرت بعد ذلكفي التصوف والعرفان، مثل الفناء والبقاء والتوحيد الشهودي .. والصحو.والسكر، والغيب والحضور . وما إلى ذلك من أفكار نظرية ظهرت في التصوف الإسلامي .. لقد أقام منهجه الصوفي وطريقته على الزهد والعبادة، والرياضة، والمجاهدة، وذم الدنيا، والفرار من الميول النفسية والإبتعاد عن كل شيئ يبعد عن ذكر الله وعبادته،، ولهذا أثرت شخصيته كثيرا في تكامل الأخلاق،والتحكم بآداب السلوك عند المتصوفة .(5)

وبرز أيضا في القرن الثاني للهجرة في خراسان العلامة الرباني الزاهد عبد الله

---

(1) الثقفي. **الغارات** . تحقيق جلال الدين محدث (د.م) : (د.ن)، 1355هـ، ج.1، ص. 338.

(2) انظر : السلمي. **طبقات الصوفية** . ص. 27، الأصفهاني. **حلية الأولياء**. ج.7 ، ص. 367، 396، وج . 8. ص.3 ، 58، الكتبي. **فوات الوفيات** . ج.1 ، ص.3 ، دائرة المعارف الإسلامية . ج .1 ،ص. 33 .

(3) الهجويري . **كشف المحجوب** . ص. 315

(4) فتح الله مجتبائي . **إبراهيم بن أدهم في الموسوعة الإسلامية الكبرى** .مجلة " **الراصد** " ،دمشق . المستشارية الثقافية الإيرانية ، تشرين الأول . 1992 ،ع .24 ، ص. 26.

(5) **المرجع نفسه** . ص 27

بن المبارك (ت ـ 181 هـ)(1). ولكنه مولى قبيلة حنظلة العربية، ولذلك دعي ابن المبارك بمولى بني حنظلة، وقد تجول في مدن خراسان ثم ذهب إلى بغداد حيث صاحب علماء الصوفية، وعقد المجالس معهم ثم حج، واستقر في مكة مدة،حيث درس موطأ مالك بن أنس، ثم رجع إلى مرو في خراسان، وعقد له مجلس الحديث هناك، وكان العلماء في مرو منقسمين إلى قسمين : قسم يتبع أصحاب الحديث، والقسم الآخر يتبع مذهب أبي حنيفة، إلا أن ابن المبارك تمكن من الجمع بينهما في مجلسه، وبنى لكلا الفريقين رباطا ثم ذهب إلى مكة وحج ثانية، وانضم بعد ذلك مع المجاهدين لمحاربة الروم في طرسوس، وعند رجوعه من الجهاد توفي في مدينة "هيت" . (2)

ويعتبر ابن المبارك من أوائل الذين صنفوا في الزهد، والفقه،وعلوم القرآن والحديث، فقد جمع الأحاديث في كتابين أحدهما سماه " الأربعين " والآخر " سنن الفقه "، وكذلك ألف كتابا في تفسير القرآن، وآخر في قتال المشركين سماه" الجهاد " وقيل : إن أشهر كتبه هو ما كتبه في الزهد وسماه " الزهد والرقائق " إلا أن مؤلفاته ـ عدا كتاب الزهد والرقائق ـ لا تزال مفقودة .(3)

وتجمع المصادر التاريخية على أن ابن المبارك تمكن من إدخال الكثير من المسيحيين في الدين الإسلامي، ومن أشهر الذين دخلوا الإسلام على يديه هو أبو الحسن محمد بن علي الماسرجسي الذي أصبح أحد علماء الحديث في مرو (4) .

وبالرغم من أن أكثر علماء الصوفية تأثروا بأفكار المرجئة فإن ابن المبارك رفض جميع الأفكار الغريبة عن الصوفية،وخاصة أفكار المرجئة وقال بهذا الصدد : « أنا خالفت المرجئة في ثلاثة أشياء : فإنهم يزعمون الإيمان قولا بلا عمل، وأنا أقول هو قول وعمل، ويزعمون أن تارك الصلاة لا يكفر، وأنا أقول : إنه يكفر، ويزعمون أن الإيمان لايزيد ولا ينقص وأنا أقول : إنه يزيد وينقص » (5)

---

(1) الأصفهاني . **حلية الأولياء** . ج 8 ، ص 162 ، الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج 10 ، ص. 152 ، الذهبي . **تذكرة الحفاظ** . ج .1 ، ص. 274 ، ابن سعد . **الطبقات** . ج.7 ، ص. 263 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** . ج .2 ، ص .237 . ابن العماد الحنبلي . **شذرات الذهب** . ج. 1 ، ص. 295

(2) هيت : وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير . وخيرات واسعة .. أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج .8 ، ص .486.

(3) حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** . (د .م) : دار الفكر . 1982 ، ج .1، ص.51، ابن النديم . **الفهرست** . ص. 319

(4) ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج .3 ، ص .340 ، الخطيب . **تاريخ بغداد** . ج 7 ، ص. 352

(5) الشعراني . **الطبقات الكبرى** . القاهرة : دار الفكر العربي ، (د . ت) . ج.1 . ص .52

وينقل لنا القشيري في رسالته بعض الأقوال في تعاليم الصوفية العائدة إلى ابن المبارك : ففي باب الخشوع، والتواضع، يقول ابن المبارك : « التكبر على الأغنياء، والتواضع للفقراء من التواضع » (1)، ويقول في باب الحسد : « الحمد لله الذي لم يجعل قلب أميري ما جعل في قلب حاسدي » (2)، وفي باب التوكل يقول : « من أخذ فلسا من حرام ليس بمتوكل »(3)، وفي باب الجود والسخاء يقول : « سخاء النفس عما في أيدي الناس،أفضل من سخاء النفس بالبذل » (4) وفي باب الفقر يقول : « إظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر » (5)، وقال في باب المحبة : « من أعطى شيئا من المحبة، ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع ». (6)

وبرز من شيوخ خراسان في التصوف أيضا : **الفضيل بن عياض الطالقاني الفنديني**(7)(**ت ـ 187 هـ**) وهو زاهد مشهور من كبار السادات .. قدم الكوفة، وسمع الحديث بها ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات بها ، أخذ عنه خلق كثير منهم الإمام الشافعي، وسفيان الثوري، كان في أول عمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد (8)، وسرخس ثم تاب، ويعلل البعض ذلك أنه كان يعشق جارية فبينما هويتسور الجدران إليها سمع قارئا يتلو : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله،وما نزل من الحق ». فقال : بلى يا رب قد آن، فرجع وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة فقال بعضهم : نرتحل، وقال بعضهم : حتى نصبح فإن فضيلا في الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل، وآمنهم من خوف .. وقد كانت للفضيل مناقب كثيرة نذكر منها :

أن الرشيد قال له يوما : ما أزهدك ؟ قال الفضيل : أنت أزهد مني قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأني أزهد في الدنيا،وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية، والآخرة باقية .. ومن كلام الفضيل ..إني لأعصي الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي، وقال : لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام لأنه إذا صلح أمن العباد.. وكان الفضيل ثقة،

---

(1) القشيري . **الرسالة القشيرية** . بيروت : دار الكتاب العربي ، (د.ت) . ص .69

(2) **المصدر نفسه** . ص. 73

(3) **المصدر نفسه** . ص .79

(4) **المصدر نفسه**. ص .115

(5) **المصدر نفسه** . ص .124

(6) **المصدر نفسه** . ص. 146

(7) ـ فنين : قرية من قرى مرو . أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج .6 . ص .402

(8) ـ أبيورد : مدينة بين سرخس ونسا.

نبيلا، صالحا، صدوقا، مأمونا، صحيح الحديث . (1)

ومن مشاهير التصوف في خراسان ظهر **شقيق بن ابراهيم بن علي الأزدي البلخي** [ت ـ 194 هـ] . زاهد صوفي، وهو صاحب ابراهيم بن أدهم، وقد أخذ عنه طريق التصوف، يقول عنه السلمي : " وهو من مشاهير مشايخ خراسان "، نشأ شقيق نشأة مترفة، فقد كان أبوه وجده من كبار الأثرياء ومع هذا الغنى فإن شقيقا حينما وصل إلى مرحلة النضج من عمره لم يشأ أن يعيش عيشة البطالة المنغمسة في الملذات . وإنما أخذ في العمل الجاد الدائب ـ وعلى الخصوص في مجال التجارة ـ ولم يكن شقيق في أثناء سياحاته الكثيرة في التجارة منصرفا إلى التجارة فحسب وإنما كان يفتح عينيه على كل ما يصادفه، ويحاول ما استطاع أن يلاحظ وأن يستفيد.ويذكر أنه لما خرج إلى بلاد الترك للتجارة في صغره، دخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعالمهم : إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهذا الخلق خالق، ليس كمثله شيء، رازق كل شيء، فقال له : ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق كيف ؟ فقال : زعمت أن لك خالقا قادرا على كل شيء، وقد تغيبت إلى هاهنا لطلب الرزق، فقال شقيق، فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع وتصدق بجميع ما يملك، وطلب العلم، كما أنه كان من كبار المجاهدين، استشهد في معركة " كولان " (2) فيما وراء النهر . من أقواله : " من أراد أن يعرف معرفته بالله، فلينظر إلى ما وعده الله،ووعده الناس، بأيهما قلبه أوثق "، وقال أيضا : « من خرج من النعمة، ووقع في القلة، ولا تكون القلة عنده أعظم من النعمة، وقع في غمين، غم في الدنيا، وغم في الآخرة، ومن خرج من النعمة، ووقع في القلة، وكانت القلة أعظم عنده من النعمة التي خرج منها، كان في فرحين : فرح في الدنيا، وفرح في الآخرة »

ومن قوله :" طهر قلبك من حب عروض الدنيا، حتى يدخل فيه حب الآخرة، وثواب الله عز وجل » (3)

---

1) أنظر : ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج.3 ، ص. 215 ، 217 ، وانظر أيضا : الذهبي . **المصدر نفسه**. ج.1 ، ص .245 ، 246 ، ابن حجر . تهذيب التهذيب . ج.8 ، ص. 294 ، 297 . ابن الأثير . **الكامل** . حوادث سنة 187 هـ

2) كولان : بلدة في حدود الترك من ناحية ما وراء النهر .

3) السلمي . **طبقات الصوفية** . ص .61 . الأصفهاني . **حلية الأولياء** . ج.8 ، ص .58 ، ابن خلكان . **وفيات الأعيان** . ج .2 ، ص. 171 . الذهبي : ميزان الإعتدال . ج.2 ، ص. 279 ، الكتبي . **فوات الوفيات** . ج 2 . ص. 105 ـ 106 ، ابن حجر . **لسان الميزان** . ط .2 ، بيروت . منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . 1971 ، ج. 3 ، ص. 151 . ناجي معروف . ـ 106 ، ابن حجر . **لسان الميزان** . ط .2 ، بيروت . منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . 1971 ، ج. 3 ، ص. 151 . ناجي معروف . **عروبة العلماء** . مرجع سابق ، ص .163.

- ومن متصوفة العصر في خراسان برز أيضا **بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي** [ت - 227 هـ] كان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد . وقد تفرد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط الفضول وكان كثير الحديث إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية وكان يقول :" ليس الحديث عدة الموت .. وإنما الحديث اليوم طرق من طلب الدنيا واللذة، وما أدري كيف يسلم صاحبه،وكيف يسلم من يحفظه لأي شيء يحفظه.وكان المأمون يقول : " لم يبق أحد في هذه الكور يستحى منه غير هذا الشيخ - يعني بشر بن الحارث» وكان إبراهيم يقول : " قد رأيت رجالات الدنيا ولم أر مثل ثلاثة : رأيت أحمد بن حنبل، وتعجز النساء أن تلد مثله - ورأيت بشر بن الحارث من قرنه إلى قدمه مملوءا عقلا، ورأيت أبا عبيد القاسم بن سلام كأنه جبل نفخ فيه علم »، من أقواله المأثورة : " لا تجد حلاوة العبادة، حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد »، وروى عنه حسن المسوحي قال :رآني بشر بن الحارث يوما باردا وأنا أرتعد من البرد، فنظر إلي وقال :

قطع الليالي مع الأيام في خلق ** والنوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى وأجدر بي من أن يقال غدا ** إني التمست الغنى في كف مختلق
قالوا رضيت بذا ؟ قلت القنوع غنى ** ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري ** فلست أسلك إلا واضح الطرق

ولما توفي بشر بن الحارث حُشر الناس لجنازته.(1)

وظهر في أواخر القرن الثالث الهجري في خراسان، العلامة الفيلسوف المتصوف الحاكم **أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي** [ت - 285 هـ](2) من أبناء مدينة ترمذ (3)، اتهم بالبدعة فطرد من ترمذ، وذهب إلى بلخ حيث صاحب المتصوفة : أبا تراب النخشبي، وابن خضرويه، وابن الجلاء وغيرهم . ثم ذهب إلى نيسابور عام 282 هـ حيث روى الحديث

---

(1) أنظر : السلمي . **طبقات الصوفية** . ص. 39 ، الأصفهاني . **حلية الأولياء** . ج .8 ، ص .336 ، ابن خلكان **وفيات الأعيان** . ج.1 ، ص .248 ، الخطيب : تاريخ بغداد . ج.7 ، ص .67 ، 80 ، ابن سعد . الطبقات. ج .7 ، ص246.ابن الأثير . الكامل . ج .5، ص 267 . ابن حجر . تهذيب التهذيب . ج .1 ، ص .444 ، 445 ، ذجي معروف . **عروبة العلماء** .. مرجع سابق .ص. 190

(2) أنظر في ترجمة : الهجويري . **كشف المحجوب** . ج .1 ، ص. 353 ، السلمي . **طبقات الصوفية** . ص .217، الأصفهاني .**حلية الأولياء** . ج. 10 ، ص. 233

(3) ترمذ : مدينة من أمهات المدن في خراسان راكبة على نهر جيحون .أنظر : ياقوت . **معجم البلدان** . ج .2 ، ص 382.

هناك إلى أن توفي بها. ولقد ترك الحاكم الترمذي أثرا كبيرا على أبناء بلدته من المتصوفة حيث قيل : إن فرقة من الصوفية نشأت هناك بعد وفاته، وأطلقت عليها اسم " الحاكمية " . والحاكم الترمذي يعتبر من المتضلعين في الفقه الحنفي، كما أنه يعتبر من أكابر الكتاب الذين لهم باع كبير في علوم التصوف، والكلام، والفلسفة، وهو أول من كتب كتابا حول تاريخ الصوفية، وتراجم رجال التصوف سماه " تاريخ المشايخ " وهو مفقود، ولكنه وصلت إلينا مقتطفات منه، من خلال كتاب الصوفية الذين جاءوا من بعده . (1)

وأشار ماسينيون (MASSIGNON) لذلك إلى أن تعاليم الترمذي قد استمرت لقرون عديدة من خلال مؤلفاته، ويظهر تأثيره بصورة خاصة في الأندلس، حيث أن المتصوف ابن عربي جاء بعده بثلاثة قرون فدرس مؤلفاته وتأثر بها وخاصة كتابه " ختم الولاية " وقدم لنا ماسينيون قائمة بكتبه الموجودة والمفقودة منها :

ـ كتاب " ختم الولاية " ـ كتاب " علل العبودية "، وكتاب " الأكياس والمغترين " وكتاب " رياضة النفس "، وكتاب " نوادر الأصول "، وكتاب " الدر المكنون في أسئلة ما كان وما يكون ـ وكتاب " الحق وأسراره " » .. ولقد أشار ماسينيون إلى أننا من خلال دراستنا لكتب الترمذي نجدها مطولة ..ولكنها غنية بالمعلومات الوثائقية حول الصوفية والفقه، وعلم الكلام(2)

ومن حكمه: « من شرائط الخدام التواضع والإستسلام .. » . (3)

كما ظهر في خراسان خلال القرن الثالث الهجري ثلاث شخصيات مهمة في تاريخ التصوف في المشرق الإسلامي وهي : ابن خضرويه، وحمدون القصار،وأبو عثمان الحيري هؤلاء الثلاثة كونوا مدرسة للتصوف في خراسان تدعى بالملامية أو الملامتية.(4)وكان **أبو حامد أحمد**

---

(1) مبيد محمد نوري . **أعلام الصوفية في خراسان في القرنين الثاني والثالث الهجري** . مجلة " آداب الرافدين " العراق : جامعة الموصل . تشرين الثاني، 1971، ع.2 . ص. 204

(2)– MASSIGNON : ESSAI SUR LES ORIGINES DU LEXIQUE TECHNIQUES DE LA MYSTIQUE MUSLUMANE . PARIS 1992 P 256-259 .-

(3) الشعراني . **الطبقات الكبرى** ج.1 ، ص. 78

(4) الملامتية : هم الذين يسترون صلاحهم بأمور يتداولها العوام ليست بمخالفات ولا معاص ، ومن أقوالهم المشهورة التي تبرهن على وجود أفكار المرجئة لوقت متأخر قولهم :" الملامتية هي خوف القدرية ، ورجاء المرجئة " ، ومن تعاليمهم . الإيمان بوجوب إقام الواجبات المناطة بهم وعدم المطالبة بحقوقهم ، كما أنهم يؤمنون بحرمان أنفسهم من ملذات الحياة ، ولو فرضت عليهم بالقوة ، ويؤمنون أيضا بالصبر والتواضع ، والإعتذار عن مواجهة الظالم ، ويؤمنون كذلك بعدم إشغال أنفسهم بمساوئ الغير ، لأنهم مشغولين بمراقبة أنفسهم باستمرار ، والعمل من أجل تحسينها .

حول تعاليم الملامتية أنظر : **أبو العلا عفيفي** . رسالة الملامتية . مجلة " كلية الآداب " القاهرة ، 1942 ، ع .6 ، ص 47 . 104

المعروف بابن خضرويه أول من اتخذ طريقه الملامتية في التصوف وقيل إنه ذهب إلى بسطام في قومس، حيث تعلم الصوفية على يد أبي يزيد طيفور البسطامي [ت ـ 234 هـ]، ثم جاء إلى نيسابور حيث توفي هناك سنة (240 هـ).(1)

ولقد أشار الهجويري إلى أنه كتب في مواضع عديدة في التصوف إلا أن مؤلفاته مفقودة، ولكن وصلتنا أقواله وحكمه من خلال كتابات الصوفية بعده، ومن أقواله : " من أحب أن يكون الله معه في جميع الأحوال فليلزم الصدق فإن الله مع الصادقين » (2)،وقال أيضا : " لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة » (3)

وهناك أيضا **أبو صالح حمدون بن أحمد القصار النيسابوري** الذي لعب دورا هاما في نشر تعاليم الملامتية بنيسابور، وكان فقيها يذهب مذهب سفيان الثوري، وقيل إنه تزعم طائفةمن الصوفية سميت بعد وفاته باسمه " القصارية " (4) من أقواله : " من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال". (5) .

وتولى حركة الملامتية من بعده في خراسان حمدان القصار **أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الحيري** (ت ـ 298 هـ) تتلمذ على يد شاه شجاع الكرماني، ويحي بن معاذ الرازي، وقد ورد نيسابور، وصحب بها أبا جعفر الحداد (ت ـ 270 هـ) وأصبح من مشايخ المدينة في التصوف وتزعم طائفة الملامتية . ومن أقواله : " لا يكمل الرجل حتى تستوي في قلبه أربعة أشياء : المنع والعطاء، والعز، والذل » (6)، وقال أيضا : " من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة . ومن أمّر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة، قال الله تعالى : وإن تطيعوه تهتدوا » (7)

(1) السلمي . **طبقات الصوفية** . ص .103 ، الشعراني . **الطبقات الكبرى** . ج .1 ، ص .70

(2) الأصفهاني . **حلية الأولياء** . ج .10 ، ص. 42

(3) القشيري . **الرسالة القشيرية** .ص .17

(4) السلمي . **طبقات الصوفية** . ص .123 ، الأصفهاني . **حلية الأولياء** . ج.10 ، ص .231

(5) الشعراني . **الطبقات الكبرى** . ج .1 ، ص. 72

(6) السلمي : **طبقات الصوفية** ص 170 ، ابن العماد . **شذرات الذهب** ج 2 . ص 230 ، الهجويري . **كشف المحجوب** . ج .1 .ص. 344 ، الشعراني . **الطبقات الكبرى** . ج. 1 ، ص .74

(7) القشيري . **الرسالة القشيرية** ص .20

ومن كل ما تقدم يمكن أن نخلص إلى القول بأن حركة التصوف في خراسان كانت نابعة في أغلبها من تعاليم الإسلام مع تأثر قليل في المعالجة الصوفية، واستخدامها في بعض الأحيان أدوات فكرية دخيلة من رواسب الفكر الفارسي والهندي القديمين .. إلا أن التأثير الوحيد الملموس بشكل واضح في الفكر الصوفي هو مبادئ المرجئة . ويبدو أن هذا التأثير ظاهر في فترة متأخرة وذلك عن طريق تعاليم الملامتية أيضا . كما أخذ الفكر الصوفي طابعه الفلسفي واصطبغ بالصبغة العقلية بعد القرن الثالث للهجرة في خراسان .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

بعد أن انتهينا من الحديث عن الخراسانيين ودورهم السياسي والعلمي في العصر العباسي الأول يحسن أن أشير إلى أهم النقاط التي تعرض لها هذا البحث.

- فقد أوضحت أن علاقة العرب بأهل خراسان كانت قائمة قبل الإسلام،وقد تمثلت خاصة بين الفرس وبين المناذرة اليمانيين في الحيرة، وتبين لنا من خلال البحث أن خراسان كان لها دور في تاريخ الحضارة الإنسانية، مما جعل أهل خراسان يقبلون على الحياة العلمية في العصر الإسلامي فيبدعوا في شتى علومها من آداب ، وفنون، وثقافة ... وعلمنا أن العرب الفاتحين انساحوا في بلاد خراسان ينشرون الإسلام واللغة العربية، واستقروا في حواضر جديدة جعلوا منها قواعد صلبة انطلقت منها الجيوش الفاتحة إلى بلاد ماوراء النهر إلى حدود الصين . وقد أوردت الرد على المطاعن التي وجهت إلى تاريخ تلك الفترة ، لبيان أن ماقيل عن اضطهاد العرب لأهل خراسان الأصليين ، ماهو إلا مجرد أوهام وأغاليط كادت لكثرة ترديدها تصل إلى مرتبة الحقائق التي ينقلها لاحق عن سابق . وقد تجلى بوضوح وبالأدلة التاريخية أن الفتح الإسلامي لم يغير من أحوال المغلوبين ، ولم يزدها سوءا، بل إن العرب أفلحوا في حماية البلاد من غزو الترك ، أحسن مما أفلح في ذلك ملوك الساسانيين . ولم يتدخل العرب في شؤون البلاد الداخلية، بل تركوا إدارة البلاد في أيدي المرازبة ، والدهاقين .. هذا إلى أن العرب لم يتدخلوا حتى في المسائل الدينية للأعاجم، فقد كان الأساس في المعاهدات التي يُفرض فيها دفع إتاوات أن يبقى أهل البلاد على دينهم ، بل كان للأعاجم أن يبقوا على دينهم حتى في المدن التي كان يسكنها العرب، أما ماكان من التفريق بين العرب والعجم ، فلم يكن إلا حالات فردية ، متفرقة لا تصلح أن تكون حكما عاما على سياسة العرب في خراسان.

ومن بين أهم ما تعرض له البحث من قضايا هو أن الصراع القبلي الذي التهب بين لعرب في خراسان كان للإدارة الأموية فيه دور كبير، فقد استطاعت السلطة الأموية أن وجه هذا الصراع بالقدر الذي تخدم به مصالحها وتوفر به الأمن والإستقرار لولاتها في راسان . بالإضافة إلى أن الصراع القبلي كانت له أسباب كان مبعثها المطامع الشخصية المصالح الإجتماعية والإقتصادية .

. أما فيما يتعلق بالدعوة العباسية فإنه بخلاف ما كان سائدا في الأفهام أن الثورة العباسية أعجمية فارسية فقد أوضح البحث أن هذا القول متهافت قديم ينقصه التحقيق العلمي، والموضوعية في البحث ، والحقيقة أن المحرك الحقيقي كانوا هم العرب الخراسانية يساعدهم في ذلك الموالي والفرس،فالذي قام بالنشاط الفكري زعيم النقباء سليمان بن كثير الخزاعي وهو يماني، ومعه النقباء وأكثرهم يمانيون عرب .. وقام بالنشاط العسكري قواد يمانيون، وفي مقدمتهم قحطبة بن شبيب الطائي وابنه الحسن.

على أننا لاحظنا بأن الفرس لم يكونوا إلى جانب طرف واحد فقط من الطرفين المتنازعين . العباسي والأموي . بل وجدناهم يحاربون في صفوف المعسكرَيْن، وعلى هذا فالثورة العباسية لم تكن عنصرية كما فهمها بعض المؤرخين ممن تأثروا بالفكر الشعوبي، أو بالدراسات الإستشراقية الهادفة إلى تشويه تاريخنا ، وابرازه في صورة عنصرية ، دموية، مقيتة.

. ومما أوضحه هذا البحث أيضا أن العباسيين رغم استئثارهم بالسلطة دون العلويين، واستغلال شعار الدعوة للرضا من آل البيت للوصول إلى غايتهم المنشودة، ثم التنكيل برجالاتهم وعلى رأسهم أبو مسلم الخراساني، فإنهم بقوا على الخط الإسلامي الصحيح فرفضوا أي فكر دخيل على الأمة، يزعزع عقيدتها ، ويهز أركان الإيمان الأثيلة في القلوب . فراحوا ينكلون بالحركات المتمردة على السلطة والتي كانت تحمل في طياتها الأفكار الشاذة والمنحرفة والدخيلة، كحركة سنباذ ، وأستاذ سيس، والمقنع الخراساني وغيرها من الحركات التي ظهرت في خراسان.

* ولكن إقليم خراسان ظل معطاء وخدوما لدولة بني العباس فقد شارك أهله في الوزارة كأسرة الفضل بن سهل، وفي الجيش "كالفرقة الخراسانية" ، وفي الإمارة "أسرة بني طاهر".

. أما عن دور الخراسانيين في الحياة العلمية فقد تبين لنا من خلال البحث أن الخراسانيين لم يكن لهم دور سياسي فحسب بل إنهم لما آمنوا بفضل العلم، وضرورة التعلم ، رحلوا إلى حواضر العلم، واجتمعوا إلى المشايخ من الفقهاء، والمفسرين، والقراء ، والمحدثين ، فنالوا القسط الأوفر منها ، ثم رجعوا إلى بلادهم ينشرون هذا العلم كاملا غير منقوص.

. ولاشك أن اهتمام الخلفاء العباسيين ووزرائهم بالعلم أثرى العلوم وجعل سوقها نافقة، ومؤلفاتها دافقة، وآية ذلك ، دور العلم، وخزائن الكتب، والمؤسسات التعليمية ، وحركة الوراقة ، التي أوضحت لنا هذا الإهتمام ، وتلك الرعاية .

وعن إسهامات الخراسانيين في العلوم النقلية فقد برز لدينا من أهل خراسان جلة من العلماء أثروا الحياة العلمية في هذا الميدان، فكان منهم القراء ، والمفسرون ، والمحدثون، والفقهاء .. وواضح من خلال الترجمات الواردة في هذا الشأن أن اهتمام الخراسانيين في مطالع العصر العباسي، كانت منصبة جلها إلى العلوم الشرعية ، فهي المنهل الأول الذي تُعرف به الشريعة ، ويُفهم به الدين .. وقد كان ذلك العهد هو العصر الذهبي لنشأة تلك العلوم منهجا وتدوينا ، وعلى العكس من ذلك فإن اسهام الخراسانيين في العلوم العقلية كان أكثر زخما ، وأوسع شمولا بعد القرن الثالث للهجرة، وذلك عندما تشبعت الروح الإسلامية بالنص الشرعي، وانطلقت بعد ذلك تبحث عن الإبداع في العلوم العقلية التي من أهم أدواتها الحجاج العقلي، والجدل الفكري .

والواقع أن إقليم "خراسان" لا تزال منادح القول فيه واسعة وآفاق البحث في تاريخه الحضاري رحبة وخاصة فيما يتعلق بالعلوم التي برز فيها الخراسانيون وأبدعوا مما لم يرد في هذه الرسالة كعلم الكلام ، والأدب ، والتصوف بعد القرن الثالث الهجري ، وفي العلوم البحتة كالهندسة ، والحساب ، والكيمياء .. وإلى غيرها من العلوم التي ازدهرت أيام الدولة السامانية في خراسان . فأملي أن تجد هذه الموضوعات العناية الكافية للإهتمام بها والبحث فيها وجمع شتاتها، بقراءة جديدة بناءة ، خادمة لتاريخنا وحضارتنا بفكر إسلامي المنطلق والوجهة . وبذلك يستوي البِناء قائما شامخا عليه من رُوح مُنشِئه طابَعٌ وبُرهَانٌ .

- قائمة المصادر
- قائمة المراجع
- مقالات الدوريات
- الرسائل الجامعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر

القرآن الكريم .

1) ـ **ابن أبي أصيبعة** ، أبو العباس موفق الدين .

ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ط . 3 ، بيروت : دار الثقافة ، 1981 .

2) ـ **ابن الأثير** ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد .

ـ الكامل في التاريخ ، ط . 5 ، بيروت : دار الكتاب العربي . 1985 .

ـ اللباب في تهذيب الأنساب ، بيروت : دار صادر ، 1400هـ/1980م .

3) ـ **ابن أعثم** ، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي .

ـ كتاب الفتوح ، ط . 1 ، بيروت : دار الندوة الجديدة ، (د . ت) .

4) ـ **ابن تيمية** ، تقي الدين أحمد .

ـ مجموع الفتاوى ، مكة المكرمة : مطبعة الحكومة . 1389هـ .

5) ـ **ابن الجزري** ، أبو الخير محمد بن محمد .

ـ غاية النهاية في طبقات القراء ، ط . 1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1982 .

6) ـ **ابن الجوزي** ، جمال الدين أبو الفتوح الفرج عبد الرحمن .

ـ تلبيس إبليس ، بيروت : دار الرائد العربي ، (د . ت) .

ـ صفة الصفوة ، ط . 4 ، بيروت : دار المعرفة ، 1986 .

ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط .1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ،1992.

7) ـ **ابن جماعة** ، أبو اسحق ابراهيم الكناني .

ـ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، بيروت : دار الكتب العلمية ، (د . ت).

8) ـ **ابن حبان** ، محمد بن حبان البستي .

ـ الثقات، ط . 1 ، الهند : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية 1400هـ/1980م.

ـ مشاهير علماء الأمصار ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1379هـ/1959م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

9) ـ **ابن حجر** ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني .
ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (د . ت) .
ـ تهذيب التهذيب ، ط .1 ، حيدر اباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ، 1327هـ/1909م .
ـ لسان الميزان ، ط .2 ، بيروت : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1971 .
10) ـ **ابن حزم** ، أبو محمد علي بن محمد .
ـ جمهرة أنساب العرب ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، مصر : دار المعارف ، 1962.
11) ـ **ابن حوقل** ، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي .
ـ صورة الأرض ، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، (د . ت) .
12) ـ **ابن خلدون** ، عبد الرحمن بن محمد بن ولي الدين التونسي .
ـ المقدمة ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1982 .
13) ـ **ابن خلكان** ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد .
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ط . 1 ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1367هـ .
14) ـ **ابن سعد** ، محمد بن سعد بن منيع .
ـ الطبقات الكبرى ، ط .1 ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1410هـ/1990م .
15) ـ **ابن سعيد** ، أبو الحسن علي بن موسى .
ـ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ط .1 ، عمان : (د . ن) ، 1982 .
16) ـ **ابن صاعد** ، الأندلسي .
ـ طبقات الأمم ، مصر : المكتبة التجارية ، (د . ت) .
17) ـ **ابن الصلاح** ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري .
ـ علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، بيروت : المكتبة العلمية ، 1401هـ/1981م .
18) ـ **ابن الطقطقي** ، محمد بن علي بن طباطبا .
ـ الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، 1966 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

19) ـ **ابن عبد البر** ، أبو عمر يوسف .
ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله : دار الكتب العلمية ، (د . ت)
20) ـ **ابن عبد ربه** ، أبو عمر أحمد بن محمد .
ـ العقد الفريد ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1402هـ/1982م .
21) ـ **ابن العماد** ، أبو الفلاح عبد الحي .
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، (د . ت) .
22) ـ **ابن قتيبة** ، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري .
ـ الشعر والشعراء ، ليدن : مطبعة بريل . 1902 .
23) ـ **ابن قطلوبغا** ، أبي العدل زين الدين قاسم .
ـ تاج التراجم في طبقات الحنفية ، بغداد : مكتبة المثنى ، 1962 .
24) ـ **ابن كثير** ، أبو الفدا إسماعيل بن عمر .
ـ البداية والنهاية في التاريخ ، بيروت : دار الفكر ، 1402هـ/1982م .
25) ـ **ابن منظور** ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم .
ـ لسان العرب ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون ، القاهرة : دار المعارف ، (د . ت).
26) ـ **ابن النديم** ، محمد بن إسحق .
ـ الفهرست ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، (د . ت) .
27) ـ **ابن هشام**
ـ سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، (د . م) : دار الفكر ، 1981 .
28) ـ **أبو الفداء** ، اسماعيل بن علي بن عماد الدين .
ـ المختصر في أخبار البشر ، بغداد : مكتبة المثني . (د . ت) .
29) ـ أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده ، لمؤلفه من القرن الثالث الهجري . تحقيق عبد العزيز الدوري ، عبد الجبار المطلبي ، بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر . 1971
30) ـ **الأزدي** ، أبو زكريا يزيد بن محمد .
ـ تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة ،القاهرة : طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . 1967

31) ـ **الإصطخري** ، أبو اسحق ابراهيم بن محمد .
ـ مسالك الممالك ، ليدن : (د . ن) . 1927 .
32) ـ **الأصفهاني** ، أحمد بن عبد الله بن اسحق .
ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط . 3 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1400هـ/1980م .
33) ـ **البخاري** ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل .
ـ صحيح البخاري ، بيروت : دار الفكر ، 1981 .
34) ـ **البغدادي** ، عبد القاهر بن طاهر .
ـ الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد زاهر بن الحسن الكوثري ، (د . م) ، 1948
35) ـ **البلاذري** ، أحمد بن يحي .
ـ فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، عمر أنيس الطباع ، بيروت : دار النشر للجامعيين ، 1957 .
36) ـ **الثعالبي** ، أبو منصور بن إسماعيل .
ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر مطبعة السعادة ، 1377هـ .
37) ـ **الثقفي** ، ابراهيم بن محمد .
ـ الغارات ، تحقيق جلال الدين محدث ، (د .م) : (د . ن) . 1355هـ .
38) ـ **الجاحظ** . أبو عثمان عمرو بن بحر .
ـ البيان والتبيين ، ط . 4 ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت : دار الفكر 1367هـ/1948م .
ـ الحيوان ، ط . 3 ، بيروت : دار مكتبة الهلال ، 1990 .
ـ المحاسن والأضداد ، ط .1، تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي ، القاهرة : مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي ، 1938 .
39) ـ **الحاكم** ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري .
ـ معرفة علوم الحديث ، ط . 4 ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، 1980 .
40) ـ **الخزاعي** ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ تخريج الدلالات السمعية ، ط . 1 ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت : دار الغرب الإسلامي 1985.

41) ـ **الخطيب** ، الحافظ أبي بكر أحمد بن عمر البغدادي .

ـ تاريخ بغداد ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (د . ت) .

ـ الكفاية في علم الرواية ، ط . 1 ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، (د . ت) .

42) ـ **الخوارزمي** ، محمد بن أحمد بن يوسف .

ـ مفاتيح العلوم ، القاهرة : مطبعة الشرق بمصر ، 1342هـ/1932م .

43) ـ **الداوودي** ، الحافظ شمس محمد بن علي بن أحمد .

ـ طبقات المفسرين ، ط . 1 ، تحقيق علي محمد عمر ، القاهرة : مكتبة وهبة،1392هـ/1972م .

44) ـ **الذهبي** ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان .

ـ تذكرة الحفاظ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (د . ت) .

ـ سير أعلام النبلاء ، ط . 1 ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، حسين الأسد بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1401هـ/1981م

ـ العبر في خبر من غبر ، ط . 1 ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1405هـ/1985م .

ـ كتاب دول الإسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، محمد مصطفى ابراهيم (د . م) : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1974 .

ـ معرفة القراء الكبار علي الطبقات والأعصار ، ط . 1 ، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1404هـ/1984م .

ـ ميزان الإعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، بيروت : دار المعرفة ، (د . ت) .

45) ـ **السلمي** ، أبو عبد الرحمن .

ـ طبقات الصوفية ، ط . 3 تحقيق نور الدين شريبه ، القاهرة : مكتبة الخانجي،1406هـ/1986م .

46) ـ **السمعاني** ، أبو سعد عبد الكريم بن منصور .

ـ أدب الإملاء والإستملاء ، ليدن : (د . ن) ، 1952 .

47) ـ **السهروردي** ، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه .
ـ عوارف المعارف ، تحقيق عبد الحليم محمود ، محمد بن الشريف ، (د . م) : مطبعة السعادة ، (د . ت) .
48) ـ **السيوطي** ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .
ـ تاريخ الخلفاء ، بيروت : دار الفكر ، (د . ت) .
49) ـ **الشابشتي** ، أبو الحسن علي بن محمد .
ـ الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، بغداد : مطبعة المعارف ، 1951 .
50) ـ **الشعراني** ، عبد الوهاب .
ـ الطبقات الكبرى ، القاهرة : دار الفكر العربي ، (د . ت) .
51) ـ **الشهرستاني** ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم .
ـ الملل والنحل ، ط . 2 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1992 .
52) ـ **الشيرازي** ، أبو اسحق .
ـ طبقات الفقهاء ، ط . 2 ، بيروت : دار الرائد العربي ، 1401هـ/1981م .
53) ـ الطبري ، محمد بن جرير .
ـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصر : دار المعارف ، (د . ت) .
54) ـ **العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، لمؤلف مجهول** .
ـ الجزء الثالث ، بغداد : مكتبة المثنى ، (د . ت) .
55) ـ **القزويني** ، زكريا بن محمد بن محمود .
ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر . 1399هـ/1979م.
56) ـ **القشيري** ، أبو القاسم عبد الكريم .
ـ الرسالة القشيرية ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (د . ت) .
57) ـ **القفطي** ، جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي .
ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ط . 1 ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 1406هـ/1986م .
58) ـ **القلقشندي** ، أبي العباس أحمد بن علي .
ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة : دار الكتب المصرية ،

1340هـ/1922م.

59) ـ **الكتبي** ، محمد بن شاكر .

ـ فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت : دار الثقافة ، (د . ت)

60) ـ **مالك** ، بن أنس .

ـ الموطأ ـ رواية يحي بن يحي الليثي ، ط . 10 ، إعداد أحمد راتب عمروش ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1985 .

61) ـ **الماوردي** ، علي بن محمد بن حبيب المصري .

ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط. 1 ، القاهرة : (د . ن) ، 1909 .

ـ أدب الدنيا والدين ، مصر : المكتبة العلامية ، (د . ت) .

62) ـ **المبرد** ، أبو العباس محمد بن يزيد .

ـ الكامل في اللغة والأدب ، (د . م) : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د . ت) .

63) ـ **المسعودي** ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي .

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط . 3 ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر : مطبعة السعادة ، 1377هـ/1958م .

64) ـ **المقدسي** ، مطهر بن طاهر .

ـ كتاب البدء والتاريخ ، باريس : (د . ن) ، 1916 .

65) ـ **المقدسي** ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن [illegible]

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط . 2 ، ليدن : (د . ن) ، 1327هـ/1909م.

66) ـ **المقريزي** ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي .

ـ كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ـ (المعروف بالخطط المقريزية) ، القاهرة : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع (د . ت) .

67) ـ **النويري** ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط . 2 ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، 1347هـ/1929م .

68) ـ **الهجويري** ، علي بن عثمان .

ـ كشف المحجوب ، دراسة وترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل ، بيروت . دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1980 .

69) ـ **ياقوت** ، أبو عبد الله بن عبد الله الحموي .

ـ معجم البلدان ، ط .1، القاهرة : مطبعة السعادة ، 1323هـ/1906م .

70) ـ **اليعقوبي** ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي .

ـ تاريخ اليعقوبي ، ط . 1 ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1413هـ/1993م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

. قائمة المراجع .

1) ـ **أمين ، أحمد** .

ـ ضحى الإسلام ، ط . 10 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (د . ت) .

ـ فجر الإسلام ، ط . 10 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1969 .

2) **بدر ، عبد الرحيم** .

ـ علم الفلك عند العرب . عمان : منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، 1405هـ/1985م .

3) ـ **بور ، دي**

ـ تاريخ الفلسفة في الإسلام . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، (د . ت) .

4) ـ **البيلي ، أحمد** .

ـ الإختلاف بين القراءات ، ط . 2 ، بيروت : دار الجيل ، 1988 .

5) ـ **حسن ، ابراهيم حسن** .

ـ تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والإجتماعي ، ط . 7 ، مصر : مكتبة النهضة المصرية . 1964 .

6) ـ **حسن ، حسن الحاج** .

ـ حضارة العرب في عصر الجاهلية ، ط . 1 ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1984 .

7) ـ **حسن ، زكي محمد** .

ـ الفنون الايرانية في العصر الاسلامي ، ط . 1 . مصر : دار الكتب ، (د .ت) .

ـ الصين وفنون الإسلام ، بيروت : دار الرائد العربي ، 1981 .

8) ـ **حمادة ، محمد ماهر** .

ـ المكتبات في الإسلام ـ نشأتها وتطورها ومصائرها ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1978 .

9) ـ **الحوفي ، أحمد محمد** .

ـ تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، ط . 3 ، مصر : دار النهضة مصر للطباعة النشر ، 1978

10) ـ **حيدر ، محمد علي** .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ الدويلات الإسلامية في المشرق ، القاهرة : عالم الكتب ، (د . ت) .

11) ـ الخضري بك ،محمد .

ـ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، ط . 1، تحقيق الشيخ محمد العثماني ، بيروت : دار القلم ، 1406هـ/1986م .

12) ـ الخطيب ، عبد الله مهدي .

ـ الحكم الأموي في خراسان ، ط . 1 ، بغداد : دار التربية ، 1975 .

13) ـ الخطيب، محمد عجاج .

ـ السنة قبل التدوين ، ط . 5 ، بيروت : دار التربية ، 1975.

14) ـ خليفة ، حاجي

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (د . م) : دارالفكر ، 1402هـ/1982م .

15) ـ الخليلي ، جعفر .

ـ موسوعة العتبات المقدسة ، ط . 2 ، بيروت : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1987 .

16) ـ الخونساري ، محمد باقر .

ـ روضات الجنات ، طهران : (د . ن) ، 1382هـ/1962م .

17) ـ الدفاع ، علي عبد الله .

ـ أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك ، ط . 3 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1985 .

18) ـ الدوري ، عبد العزيز .

ـ الجذور التاريخية للشعبوية ، ط . 3 ، بيروت : دار الطليعة ، 1981 .

ـ مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، 1961 .

19) ـ ديورانت ، ول .

ـ قصة الحضارة ، ط . 3 . توجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1965 ، مج 1 .

20) ـ الذهبي ، محمد حسين .

ـ التفسير والمفسرون ، ط . 2 ، (د . م) : (د . ن) . 1976 .

21) ـ الرفاعي ، أنور .

ـ الإسلام في حضارته ونظمه ، بيروت : دار الفكر ، 1973 .

22) الرفاعي ، محمد بن عبد الحميد .

- الدور الإيراني في العصر الأموي ، القاهرة : كلية دار العلوم ، (د . ت) .

23) - **ريسلر ، جاك ، س .**

- الحضارة العربية ، ترجمة غنيم خبدون ، (د . م) : الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د . ت) .

24) - **رينولد ، نيكلسون .**

- في التصوف الإسلامي وتاريخه ، ترجمة أبو العلا عفيفي ، القاهرة : (د . ت) ، 1969.

25) - **الزرقاني ، محمد عبد العظيم .**

- مناهل العرفان في علوم القرآن ، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د . ت).

26) - **الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله .**

- البرهان في علوم القرآن ، ط . 3 ، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1980 .

27) - **الزركلي ، خير الدين .**

- الأعلام ، ط . 5 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1980 .

28) - **زروق ، أحمد بن محمد .**

- قواعد التصوف ، ط .2 ، القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، 1979 .

29) - **زيدان ، جرجي .**

- تاريخ التمدن الإسلامي ، بيروت : منشورات مكتبة الحياة ، (د . ت) .

30) - **سالم ، السيد عبد العزيز .**

- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت : دار النهضة العربية . 1981 .

- تاريخ الدولة العربية ، بيروت : دار النهضة العربية . 1971 .

31) - **السامرائي ، حسام الدين .**

- المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية ، ط .2 ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 1403هـ/1982م .

32) - **السباعي ، مصطفى .**

- السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي ، ط .4 ، (د . م) : (د . ن) ، 1985 .

33) - **سرور ، جمال الدين .**

- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ط .6 ، القاهرة : (د . ن) ، 1979 .

34) - **السلومي ، عبد العزيز .**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ ديوان الجند ، نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون ، ط .1 ، مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ، 1406هـ/1986م .

35) ـ **شاكر ، محمود .**

ـ خراسان ، ط . 4 ، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1406هـ/1986م .

36) ـ **شاكر ، مصطفى .**

ـ دولة بني العباس ، ط .1 ، الكويت : وكالة المطبوعات ، 1973 .

37) ـ **الشريف ، أحمد إبراهيم ، وآخر .**

ـ العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط . 1 ، مصر : دار الفكر العربي ، 1966.

38) ـ **شفق ، رضا زاده .**

ـ تاريخ الأدب الفارسي ، ترجمة محمد موسى هنداوي ، (د . م) : دار الفكر العربي ، 1947 .

39) ـ **شكري ، فيصل .**

ـ المجتمعات الإسلامية في القرنين الأول والثاني للهجرة ، ط .5 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1981 .

40) ـ **شلبي ،أحمد .**

ـ تاريخ التربية الإسلامية ، ط . 5 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1977.

ـ حركات فارسية مدمرة ضد الإسلام والمسلمين عبر العصور ، ط . 1 ، القاهرة : (د . ن) ، 1978 .

ـ المسيحية ، ط . 8 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1984 .

ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ، ط . 8 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1985 .

41) ـ **شيبة الحمد ، عبد القادر .**

ـ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، المدينة المنورة : مطبوعات الجامعة الإسلامية ، (د . ت) ، ص . 103 .

42) ـ **صالح ، محمد أمين .**

ـ العرب والإسلام ـ من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية ، القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ، 1984 .

43) ـ **صفوت ، أحمد زكي .**

ـ جمهرة رسائل العرب ، بيروت : المكتبة العلمية ، (د . ت) .

44) ـ **الصوفي ، عبد اللطيف .**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات ، ط . 1 . دمشق : دار طلاس للدراسات والرجمة والنشر ، 1987 .

45) ـ **ضيف ، شوقي .**

ـ تاريخ الأدب العربي ، ط .10 ، مصر : دار المعارف ، (د . ت) .

46) ـ **طوقان ، قدري حافظ .**

ـ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، ط .2 . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1954 .

47) ـ **العبادي ، أحمد مختار .**

ـ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، الكويت : منشورات ذات السلاسل ، 1985 .

48) ـ **عبد الرزاق ، مصطفى .**

ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، ط . 3 ، القاهرة : مكتبة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1389هـ/1966م .

49) ـ **العدوي ، ابراهيم أحمد .**

ـ المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية ، مصر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، 1961 .

50) ـ **عسيري ، مريزن سعيد عسيري .**

ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ط . 1 ، مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي 1987 .

51) ـ **العظم ، رفيق .**

ـ كتاب أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة ، ط . 6 ، بيروت : دار الرائد العربي ، 1983 .

52) ـ **عطار ، أحمد عبد الغفور .**

ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور ، ط . 1، مكة المكرمة : (د . ن)، 1401هـ/1980م .

53) ـ **عطوان ، حسين .**

ـ الدعوة العباسية ـ تاريخ وتطور ، بيروت : دار الجيل ، (د . ت) .

ـ الدعوة العباسية ـ مبادئ وأساليب ـ ، بيروت : دار الجيل ، (د . ت) .

ـ الشعر العربي في خراسان في العصر الأموي ، ط . 1 ، بيروت : دار الجيل ، 1974.

54) ـ **العلبي ، أكرم حسن .**

ـ التقويم ، ط . 1 ، بيروت : المصادر ، 1991 . (استفاد منه البحث في التحويل بين

الهجري والميلادي) .

55) ـ **العلي ، صالح أحمد .**

ـ دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام ، ط . 1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1983 .

ـ إمتداد العرب في صدر الرسلام ، ط . 2 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1403هـ/1983م .

56) ـ **عمر ، فاروق .**

ـ بحوث في التاريخ العباسي ، ط . 1 ، بيروت : دار القلم للطباعة ، 1977 .

ـ التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، ط 2 ، بيروت : دار إقرأ ، 1406هـ/1985م.

ـ الخلافة العباسية ، ط . 1 ، دبي : دار القلم للنشر والتوزيع ، 1984 .

طبيعة الدعوة العباسية . ط . 1 ، بيروت : دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، 1389هـ/1985م

ـ العباسيون الأوائل ، بيروت : دارالإرشاد ، 1970 .

57) ـ **عيسى بك ، أحمد .**

ـ تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط . 2 ، بيروت : دار الرائد العربي ، 1981 .

58) ـ **فلهاوزن ، يوليوس .**

ـ تاريخ الدولة العربية ، ط .2 ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة : (د .ن) ، 1968 .

59) ـ **كحالة ، عمر رضا .**

ـ معجم قبائل العرب ـ القديمة والحديثة ، ط .2 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1968 .

60) ـ **الكروي ، إبراهيم سليمان .**

ـ نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ط .2 ، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1989 .

61) ـ **كرم ، سمير .**

ـ الموسوعة الفلسفية ، ط .6 ، بيروت : دار الطليعة ، 1987 .

62) ـ **كمال ، أحمد عادل .**

ـ سقوط المدائن ـ ونهاية الدولة الساسانية ، ط .5 ، بيروت : دار النفائس ، 1987 .

63) ـ **اللحام ، ماجد .**

ـ معجم المعارك الحربية ، ط .1 ، بيروت : دار الفكر المعاصر 1990 .

64) ـ **لوبون ، غوستاف .**

ـ حضارة العرب ، ط . 4 ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة : (د . ن) ، 1964 .

65) ـ **لومبار ، موريس .**

ـ الإسلام في مجده الأول ، ط . 1 ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1975.

66) ـ **ليسترنج ، كي .**

ـ بلدان الخلافة الشرقية بغداد : مطبعة الرابطة ، 1954

67) ـ **متز ، آدم .**

ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ط . 4 ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، (د . م) : دار الكتاب العربي . 1967 .

68) ـ **المصري ، جميل عبد الله .**

ـ الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية زمن الدولة الأموية ، ط . 1 عمان : دار أم القرى للنشر والتوزيع ، 1989 .

ـ الموالي وموقف الدولة الأموية منهم ، ط . 1 ، عمان : (د . ن) ، 1408هـ/

69) ـ **المصري ، حسين مجيب .**

ـ صلاة بين العرب والفرس والترك ، القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية ، 1971 .

70) ـ **مصطفى ، مسعود أحمد .**

ـ أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990.

71) ـ **معروف ، بشار عواد .**

ـ حضارة العراق ، ج . 8 ، بغداد : (د . ن) ، 1985 .

72) ـ **معروف ، ناجي .**

ـ عروبة العلماء المنسوبين للبلاد الأعجمية في المشرق الإسلامي ، ط . 1، بغداد : مطبعة الشعب . 1974

ـ علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ، بغداد : مطبعة الإرشاد ، 1393هـ/1973م .

73) ـ **منتصر ، عبد الحليم .**

ـ تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، ط . 4 ، مصر : دار المعارف ، 1971 .

74) ـ **ناجي ، حسن .**

ـ القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي ، ط . 1 ، (د . م) : منشورات إتحاد

المؤرخين العرب ، 1980 .

75) ـ **النبهان ، محمد فاروق .**

ـ المدخل إلى التشريع الإسلامي ، ط . 2 ، الكويت : وكالة المطبوعات ، بيروت . دار القلم ، 1981 .

76) ـ **النجار ، محمد الطيب .**

ـ الموالي في العصر الأموي ، ط . 1 ، مصر : دار النيل للطباعة ،1949 .

77) ـ **النشار ، علي سامي .**

ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ط . 1 ، مصر : دار المعارف ، 1969 .

78) ـ **هوتكه ، زيغريد .**

ـ شمس العرب تسطع على الغرب ، ط .5 . ترجمة فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، 1981 .

79) ـ **وافي ، علي عبد الواحد .**

ـ فقه اللغة ، ط . 5 ، القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ،1962 .

. المراجع الأجنبية .

1 _ Gustave le Bon : La Civilisation Des Arabes
ITALIE : imprimé Par IMAG , syracuse - editon 161/69
2 Massignon : Essai sur les Origines sur lexique techniques De la Mystique Musulmane - Paris : 1922
3 _ SLEIM AMMARA : Médecins et Médecine De l'Aube de l'islam A L'age Dor - Paris : edition tougui . 1984 .

مقالات الدوريات

1 **أمين** ، حسين .

* الدعوة العباسية . مجلة **"المؤرخ العربي"** . بغداد : 1979 . ع . 10

2 . **الحديثي** ، قحطان عبد الستار .

* حركات الخوارج في خراسان في القرنين الثاني والثالث للهجرة . مجلة **"كلية الآداب"**. العراق : جامعة البصرة ، 1979 ، س . 5 ، ع . 6 .

3 ـ **رؤوف** ، عماد عبد السلام .

* دعوة أبي هاشم وحزبه ـ دراسة في فجر الدعوة الإسلامية ، مجلة **"الأستاذ"**، بغداد : كلية التربية . 78 . 1979 . ع 2

4 ـ **طه** ، سليم .

* التعريب وكبار المعربين في الإسلام . **"سومر"** ، بغداد : مديرية الآثار العامة . 1979 ، م 32 ، ج .1 ، 2 .

5 ـ **عفيفي** ، أبو العلاء .

* رسالة الملامتية ، مجلة **"كلية الآداب"** . القاهرة : 1942 . ع . 6 .

6 ـ **العلي** ، صالح أحمد .

* إستيطان العرب في خراسان ، مجلة **"المجمع العلمي العراقي"**، بغداد: 1981.م 32.

7 ـ **عليان** ، ربحي مصطفى .

* حركة الوراقين في الحضارة العربية الإسلامية ، مجلة **"مجمع اللغة العربية الأردني"**، عمان : ربيع الثاني 1412هـ/1991م ، س . 15 ، ع . 41

8 ـ **عمر** ، فاروق .

* الجند الأموي والجند العباسي ـ دراسة في تطور العسكرية في العصرين الأموي والعباسي . مجلة **"المورد"** العراق : 1979 . ع . 41 .

* الألوان ودلالتها السياسية في العصر العباسي الأول . مجلة **"كلية الآداب"** ، العراق : جامعة البصرة ،1972 . ع . 6

* سياسة المأمون تجاه العلويين ، مجلة **"كلية الآداب"** ، بغداد : 1973 ، ع . 16.

9 ـ **مجتهائي** ، فتح الله .

* ابراهيم بن أدهم في الموسوعة الإسلامية الكبرى ، مجلة **"الراصد"** تعريب ياسر صادق .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* ابراهيم بن أدهم في الموسوعة الإسلامية الكبرى ، مجلة "الراصد" تعريب ياسر صاري ، بيروت : تشرين الأول 1992 ، ع . 24 .

10 ـ **معروف** ، ناجي .

* مدارس ماقبل النظامية ، مجلة "المجمع العلمي العراقي" ، العراق : 1973 ،ج . 22 .

11 ـ **نوري** ، مفيد محمد .

* أعلام الصوفية في خراسان في القرنين الثاني والثالث الهجري ، مجلة "آداب الرافدين" ، العراق : جامعة الموصل ، تشرين الثاني 1971 ، ع . 2 .

12 ـ **هدارة** ، محمد مصطفى .

الفضل بن سهل ، مجلة "العربي" الكويت : نوفمبر 1966، ع . 96 .

13 - JAcqueline - CHABBI:

Remarques sur le dévelopement Historique Ascétique et mystique Au KHurasan (stvida Islamica) . XLVI. G . P Maisonneuse LAROSE . Paris

ـ الرسائل الجامعية ـ

(1) ـ **إمام** ، محمد أبو محمد :

* نظام الحكم في العصر العباسي الأول ، مكة المكرمة : كلية الشريعة ـ جامعة أم القرى ، 1408هـ/1988م . (رسالة ماجستير) .

(2) ـ **العفنان** ، عبد الرحمن فريح .

* القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي ـ دراسة تاريخية حضارية ، مكة المكرمة : قسم الدراسات العليا التاريخية ،الحضارية ـ كلية الشريعة ـ جامعة أم القرى 1412هـ/1992م (رسالة دكتوراه) .

(3) ـ **مندورة** ، ابتسام أكرم .

* أوضاع الدولة العباسية وعلاقاتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي مكة المكرمة : قسم الدراسات العليا للتاريخ الإسلامي والحضارة ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، 1410هـ/1990م (رسالة دكتوراه) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس الأعلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ فهرس الأماكن والبلدان ـ

جرى ترتيب الأسماء في هذا الفهرس ترتيبا ألفبائيا، مع عدم اعتبار (أل) التعريف في الترتيب أينما وجدت.

ـ أ ـ

ـ آمل 9 .
ـ أبيورد 41.
ـ إربل 119.
ـ أرمينيا 73 .
ـ أصبهان 105 .
ـ أصفهان 84 .
ـ الأنبار 65 .
ـ الأهواز 94 .

ـ ب ـ

ـ بابل 9.
ـ باذ غيس 17 ، 73 ، 86.
ـ بار 22 .
ـ بحر الخزر 1.
بحر الديم 92
ـ البحرين 6.
ـ بخارى 61 ، 62 ، 79 ، 80 .
ـ البروقان 21 ، 23 ، 30 .
ـ بسطام 8 ، 164
ـ البصرة 17.18.19.20.35.48.50.57.90.94.116.129. 134.139.156.157.
ـ بغداد 93.95.96.99.101.116.125.129.138.139.146. 159.
ـ بلخ 2 - 3.10.13.21.23.30.56.57.62.111.130.134. 157.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

. بنانة 22 .
. بوشنج 17 . 100 . 105 119 .
. بونية 22 .

- ت -

. تركستان 1 .
. ترمذ 162

- ج -

. الجابية 26
. جند يسابور 14 114 151 156

- ح -

. الحجاز 94 . 135 . 139 . 143 .
. الحميمة 47 50
. الحيرة 3 4 5 6

- خ -

. خوارزم 1 61
. الخورنق 22

- د -

. دمشق 42 43 146

- ذ -

. ذي قار 5 .

- ر -

الرخجين 86

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الرقة 12 ، 96 ، 102.
- الرملة 22.
- الري 71 ، 72 ، 73 ، 74 ، 82 ، 104.

- س -

- سامراء 149 .
- سجستان 1 ، 13 ، 73 ، 105.
- سرخس 7 ، 41 ، 96 ، 153 ، 160.
- سمرقند 10 ، 19 ، 33 ، 125 ، 146.
- السند 48 ، 49 ، 105.
- السوس 85.
- سيفذنج 22.

- ش -

- الشاش 19.
شروين 104.

- ط -

- الطالقان 8 ، 17 ، 20 ، 42
- طبرستان 7 ، 9 ، 72 ، 73 ، 104.
- الطبسين 7.
- طخارستان 7 ، 57.

- ع -

- العراق 3 - 4،17،18،19،20،27،28،30،31،45،72،95.
100،101،102،103،112،135،141،143.
عسقلان 139 .
- عمان 5.
- عين الوردة 46.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- غ -

- غزنة 1.

- ف -

- الفرياب 17.
- الفسطاط 20 .
- فنين 22 .

- ق -

- القاهرة 146.
- قرطبة 146.
- قومس 1 . 7 . 55 . 164.
- قوهستان 1.
- قيسارية 139 .

- ك -

- كربلاء 45.
- كردآباد 9.
- كرمان 84 . 104 . 105.
- كش 79.
- كشميهين 19.
- الكوفة 147.139.129.116.94.63.52.50.49.20.18.17
157.156.149.
- كيسوم 101 . 102 .

- م -

- ما وراء النهر 1 . 7 . 30 . 31 . 43 . 48 . 57 81.79.78.
- مرج راهط 26 . 34 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- مرو 55.54.50.42.41.36.35.32.21.19.17.12.10.7.2
.120.116.114.111.101.100.95.93.82.62
.159.153.143.134.132.123.122
- مزار شريف 3 .
- المغرب 94.
- مكة 4 . 133
- الموصل 94 .

- ن -

- نسا 41 . 55
- نهاوند 6 .
- نهر جيحون 1 . 3 . 7 . 21 . 23 .
- نهر هاري 3 .
- نيسابور .82.74.72.71.54.42.41.22.17.12.9.8.7.2
.162.153.143.135.122.119.116.111

- هـ -

- هراة 2 - 143.101.73.56.42.41.23.20.17.10.7.3 .
- الهند 92 .
- هيت 159 .

- ي -

- اليمامة 5 .
- اليمن 4 - 143.112.94.52.30.5

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

جرى ترتيب الأسماء في هذا الفهرس ترتيبا ألفبائيا ، مع عدم اعتبار (أل) التعريف في الترتيب أينما وجدت .

ـ أ ـ

آدم بن إياس ، 139 .

إبراهيم بن أدهم ، 157 .

إبراهيم بن ذكوان ، 90 .

إبراهيم بن رستم ، 143.

إبراهيم بن محمد بن علي ، 52 ، 55 ، 61 .

إبن الأشعث ، 34 .

إبن البازيار ، 149.

إبن الجلاء ، 162 .

إبن حبان ، 119 ، 120.

إبن خضرويه ، 162، 163 ، 164.

إبن ربان الطبري ، 148 ، 149.

إبن غاضرة الأسدي ، 119.

إبن فورك الأنصاري ، 119.

إبن يونس المصري ، 147.

أبو أيوب المورياني ، 89 .

أبو بسطام الهياج ، 134 .

أبو جعفر المنصور، 65 ، 66 ، 67 ، 68 ، 69 ، 70 ، 72 ، 73 ، 74 ، 81 ، 82 ، 85 ، 90 ، 99 ، 112 ، 146 .

أبو حاتم الوراق ، 127.

أبو السكن البرجمي ، 110 ، 134.

أبو سلمة الخلال ، 50 ، 63 ، 88 .

أبو الصيداء ، 37 ، 38 .

أبو العباس السفاح ، 49 ، 59 ، 65 ، 88 .

أبو عثمان الحيري ، 163 ، 164.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو عثمان الصابوني ، 119 .
أبو عكرمة السراج ، 51 .
أبو عمرو الشاري ،86 .
أبو عون الأسدي ،76 .
أبو مسلم الخراساني ، 32 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ، 61 ،62 ،63 ، 65 ،66 ،67 ،68 ، 69 ، 70 ، 71 ،77.
أبو مطيع ، 142.
أبو معشر بن محمد ، 149.
أبو نصر العياضي ، 120.
أبو نعيم بن أبي نصر ، 130.
أحمد بن أبي خالد ، 102 ، 103.
أحمد بن حاج ، 143.
أحمد بن حنبل ، 110 ، 111 ، 134 ، 135 ، 140 ، 143 ، 162.
أحمد بن داود ، 104.
أحمد بن شبويه ، 135.
أحمد بن شعيب ، 136 .
أحمد بن الطيب ، 153.
أحمد بن موسى ، 146 ، 149.
أحمد بن نصر ، 130.
الأحنف بن قيس ، 6 - 7 - 8 ، 16 ، 35 ، 36 ، 132.
أستاذ سيس ، 69 ، 73 ، 74 ، 81 .
إسحق بن راهوية ، 111 ، 134 ، 135 ، 143.
أسد بن عبد الله القسري ، 21 ، 23 ، 30 ، 57.
أسيد بن عبد الله الخزاعي 54 ، 55.
أفراسياب ، 10.
أمية بن عبد الله ، 27 ، 33.
أمير بن أحمد البشكري ، 17.
أنوشروان 6 ، 13 ، 156.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ب -

بحير بن ورقاء ، 27 .

البختري بن أبي درهم ، 19.

بريدة بن الحصيب ، 132.

بشر الحافي ، 162.

بطليموس ، 148 .

بكار بن مسلم ، 74 .

بكير بن ماهان ، 49 ، 50 .

بها فريد ، 72 ، 74

بيوراسب ، 11.

- ج -

جبريل بن يحي ، 79 ، 80 .

جديع بن علي الكرماني ، 32 ، 50 ، 54 ، 55

جستينيان ،13 .

جعفر بن محمد ، 63 ، 140.

الجنيد بن عبد الرحمن 19 ، 23 ، 31 ، 43 .

جهم بن زحر ، 19 ، 31 .

- ح -

الحارث بن حسان ، 7 .

الحارث بن سريج ، 37 .

الحارث بن كلدة ، 151.

حارثة بن النعمان ،7.

حبش بن عبد الله ، 149.

الحجاج بن يوسف ، 19 ، 27 ، 28 ، 29 ، 34 ، 84 .

حذيفة بن اليمان ، 128.

حسان بن مالك الكلبي ، 26.

حسان بن محمد ، 119.

الحسن بن سهل ،94 ، 96.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحسن بن موسى ، 146 .
الحسين بن علي ، 45 .
الحسين بن واقد ، 139 .
الحسين بن الوليد ، 142.
الحصين بن المنذر ، 19.
الحكم بن عمرو ، 132.
حمدون القصار ، 163 ، 164.
حمزة بن أترك ، 86 .
حميد بن قحطبة ، 76 ، 79.

- خ -

خارجة بن مصعب ، 130 .
خازم بن خزيمة ، 50 ، 74 ، 82 .
خالد بن ابراهيم الذهلي ، 50 .
خالد بن عبد الله القسري ، 30 .
خالد بن يزيد 26 .
خلف الأحمر ، 131 .
خلف المصري ، 95 .
خليد بن عبد الله الحنفي ، 17

- د -

داود بن علي ، 48
داود بن نصير ، 142.

- ر -

ربعي بن عامر ، 7.
الربيع بن زياد ، 18 ، 20 ، 21 ، 132.
رفيدة الأسلمية ، 152 .
روح بن زنباع ، 34 ، 89 .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ز -

الزبير بن عدي ، 132 .

زرادشت ، 156 .

زفر بن الحارث ، 34 .

زهير بن محمد ، 134.

زو ، 10 .

زياد بن أبي سفيان ، 17 ، 18

زياد بن أبيه ، 83 .

زياد بن صالح ، 50 ، 61 ، 62 ، 63 ، 125 .

- س -

سابور ،3 - 6 .

سالم بن سلام ، 50

سعد بن أبي وقاص ، 20 ، 128.

سعد بن معاذ ، 152.

سعيد بن الربيع ، 134.

سعيد بن عبد العزيز ، 31

سعيد بن مسعدة ، 139.

سعيد بن منصور ،140.

سعيد الحرشي ، 30 ، 31

سلم بن زياد ، 19.

سليمان بن عبد الملك ، 29 ، 46

سليمان بن كثير ، 48 ، 50 ، 51 ، 53 ، 55 ، 61 ، 101.

سنباذ ، 69 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 ، 81

سهل الصعلوكي ، 119.

سورة بن المبارك ، 130.

سويد بن مقرن ، 7.

سيا وخش ، 13.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ش -

شبل بن طهمان ، 50 .

شريك بن شيخ ، 61 .

شقيق بن ابراهيم ، 161 .

الشمردل بن قباب ، 151

شيبان الحروري ، 32 .

- ص -

صحار بن فلان العبدي ، 7.

- ض -

الضحاك بن قيس ،26.

ضرار بن حصين ، 19.

- ط -

طاهر بن الحسين ، 93 96 ،100.101 ، 102 ، 103 ، 106 ، 115

طلحة بن رزيق ، 50 ، 115 .

طلحة بن طاهر ، 103 .

طهمورت ، 8 - 9 - 11 .

- ع -

عبد الله بن أبي عقيل ، 18.

عبد الله بن ادريس ، 113.

عبد الله بن الحسن ، 63 .

عبد الله بن حوذان ، 19.

عبد الله بن خازم ، 16 ، 27 ، 33

عبد الله الزبير ، 26 ، 45 ، 128.

عبد الله بن طاهر 101 ، 102 ، 103 ، 104.

عبد الله بن عامر ، 16 ، 21 .

عبد الله بن عباس ، 45.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الله بن علوان ، 19 .
عبد الله بن المبارك ، 157 ، 158 ، 159 ، 160.
عبد الجبار الأزدي ، 69 ، 81 ، 82 ، 83 .
عبد الرحمن بن الحارث ، 128.
عبد الرحمن بن نعيم ، 19.
عبد العزيز بن عمران ، 95 .
عبد الملك بن مروان ، 27 ، 28 ، 33 ، 34 ، 48 ، 48 ، 132.
عبيد الله بن زياد ، 46 ، 83 .
عبيد الله بن السري ، 102.
عبيد الله بن عبد الحميد ، 31.
عبيد الله بن علي ، 19.
عبيد الله بن محمد بن الحنفية ، 46 .
العتابي ، 12.
عثمان بن عفان ، 8 ، 16 ، 128 ، 129.
عروة بن الزبير ، 151.
عطية بن بعثر ، 85 .
علي بن أبي طالب ، 45 ، 46 ، 49 .
علي الرضا ، 95 ، 96.
عمر بن الخطاب 6 - 7 - 8 ، 16 ، 20 ، 96 ، 97 ، 128.
عمر بن علي بن الحسين ، 63 .
عمر بن هارون ، 129.
عمر بن هبيرة ، 31
عمرو بن سعيد بن العاص ، 26 .
عمرو بن الليث ، 105 .
عمرو بن مسلم ، 19 ، 30 .
عمرو بن المنذر ، 6
عمرو بن هند ، 4
عيسى بن حمزة الهمذاني ، 49 .
عيسى بن كعب ، 50 .
عيسى بن ماهان ، 62 ، 63 ، 86 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عيسى بن يزيد الجلودي ، 103.
عيسى بن يونس ، 113

ـ ف ـ

الفضل بن الربيع ، 91 .
الفضل بن سليمان ، 50 .
الفضل بن سهل ، 91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95 ، 96 ، 101.
الفضيل بن عياض ، 160

ـ ق ـ

القاسم بن سلام ، 131
القاسم بن مجاشع ، 50 .
قتيبة بن تفشاوة ، 62 .
قتيبة بن مسلم ، 19 - 20 ، 28 ، 29 ، 34 .
قحطبة بن شبيب ، 50 ، 55
قريط بن أبي رمثة ، 132
قطري بن الفجاءة ، 83 ، - 84 .
قيس بن الهيثم ، 16 - 17.
قمبيز ، 3.
قورش ، 3.

ـ ك ـ

كيكاووس ، 13 .

ـ ل ـ

لاهز بن قريظة ، 50 ، 51 ، 61.
لهراسب ، 11
ليث بن نصر ،79.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- م -

المازيار ، 104.
مزدك ، 156 .
مالك بن أنس ، 130 ، 134 ، 136
مالك بن الهيثم ، 50
المأمون (الخليفة) ، 87.91.92.94.95.96.100.101.102.103، 104 ،113 ،120.
162.149.147.146.
ماني ، 156 .
محمد بن إبان ، 140.
محمد بن إبراهيم الحميري ، 62
محمد بن الحسين ، 110 ، 115.
محمد بن الحسين بن شهريار ، 130
محمد بن الحنفية ، 45 - 46 .
محمد بن سليمان ، 90 .
محمد بن طاهر ، 12 ، 105.
محمد بن علي بن عباس ، 46 ، 49 ، 50 ، 51 .
محمد بن علي الترمذي ، 162
محمد بن علي الماسرجسي ، 159
محمد بن موسى ، 146 ، 149
محمد بن يوسف ، 139.
المختار بن أبي عبيدة ، 45 - 46.
مروان بن الحكم ، 26 ، 30 ، 34 .
مروان بن محمد ، 30 ، 32 .
مسلم بن الحجاج ، 135 ، 136.
مسلم بن سعيد الكلابي ، 30 ، 31 .
مطرف بن عبد الله ، 7
مظفر بن مدرك ، 135.
معاذ بن مسلم ، 80 .
معاوية بن أبي سفيان ، 17 ، 34 ، 83 .
معاوية بن يسار ، 90.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المغيرة بن شعبة ، 83.
مقاتل بن حيان ، 138.
مقاتل بن سليمان ، 138.
المقنع الخراساني ، 69 ، 70 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78 ، 79 ، 80 ، 81.
مليد بن حرملة ، 85 .
منوشهر ، 9.
المهلب بن أبي صفرة ، 27 - 28 ، 83 - 84
موسى بن رباح ، 85.
موسى بن كعب التميمي ، 50.
ميسرة العبدي ، 50.

- ن -

نافع بن الأزرق ، 83.
نافع بن خالد الطاهي ، 17.
نصر بن شبث ، 94 ، 101 ، 102
نصر بن سيار ، 30 ، 31 ، 32 ، 54 ، 56 ، 61.
النضر بن الحارث ، 151.
النضر بن شميل ، 116 ، 133.
النعمان بن عبد السلام ، 142.
نعيم بن خازم ، 94.
نعيم بن مقرن ، 7
نوح بن أبي مريم ، 142 ، 143
نوفل بن هاشم ، 4 .

- هـ -

هارون الرشيد ، 73 ، 86، 87، 90 ، 91 ، 92 ، 99 ، 112 ، 113، 124 ، 125 ، 146.
هرثمة بن أعين ، 94 ، 95 ، 96.
هشام بن عبد الملك ، 19 ، 30 ، 43.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- و -

وكيع بن أبي سود ، 29.
الوليد بن عبد الملك ، 28 ، 29 ، 152.
الوليد بن يزيد ، 30.

- ي -

يحي بن خالد بن برمك ، 91 ، 114.
يحي بن عقيل ، 132.
يحي بن معاذ ، 95.
يحي بن يحي ، 110 .
يحي بن يزيد ، 78.
يزدجرد ، 7 - 8 ، 123.
يزيد بن معاوية ، 19 ، 26 .
يزيد بن المهلب ، 29 ، 31 .
يزيد بن الوليد ، 30 .
يعقوي بن الليث ، 105 .
يوسف البرم ، 80 ، 85 ، 86.
يونس بن عبد الأعلى ، 102.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية